

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُيُوتِ الْقُرْطُبِي

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٨٧

خطب الشيخ القرضاوي

٢٤

إعداد

المكتب العلمي للشيخ



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿تَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا
طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ
يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا
فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يَقْتُرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خُذُوا العطاءَ ما دام عطاءً، فإذا صار رشوةً على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه؛ يمنعكم الفقر والحاجة، ألا إنَّ رَحَى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إنَّ الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنَّه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم فإذا عصيتموهم قتلوكم، وإن أطمعتموهم أضلوكم». قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟ قال: «كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نُشِرُوا بالمناشير وحُمِلُوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله». رواه الطبراني.







الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٥)(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا فِيمَا كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِيهِ مِنْذُ أَسَابِيعٍ فِي مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي امْتَلَأَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَمَلَأَ بِهَا عُقُولَ النَّاسِ وَأَدْمَغَتْهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ.

مِنْ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ مَا تَحَدَّثْنَا عَنْهُ فِي عِدَّةٍ خُطَبٍ عَنِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ذَكَرْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالْعَدْلِ، وَإِقَامَةِ الْحَقِّ، وَمَقَاوِمَةِ الْبَاطِلِ، وَالْإِنْتِصَافِ لِلضَّعْفَاءِ وَالْمَظْلُومِينَ، كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَيِّدُنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَلْقِيسَ مَلِكَةَ سَبَأَ الَّتِي عَدَلَتْ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، ثُمَّ آمَنَتْ وَأَسْلَمَتْ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَحَدَّثْنَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَهُوَ مَلِكٌ مُؤْمِنٌ.

الملوك والحكام الظلمة:

وَالْآنَ نَتَحَدَّثُ عَنِ الْفِتَّةِ الْأُخْرَى، عَنِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ الَّذِينَ لَا يَعْدِلُونَ وَلَا يَقِيمُونَ الْقِسْطَ فِي الْأَرْضِ، وَهَؤُلَاءِ مَعْظَمُ الْمُلُوكِ

(١) أُلْقِيََتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، بِتَارِيخِ ١١ يَنَايِرَ ٢٠١٣ م.

والْحُكَّامَ لِلْأَسْفِ، كما قالت ملكة سبأ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. لا تعني الملوك إذا دخلوا بلادهم يفسدونها، لا، إنما تعني الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين لها وغالبين يفسدونها، هم مع البلاد بالإفساد، ومع العباد بالإذلال، ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، هذا شأن الملوك وشأن الاستعمار حينما يدخل بلدًا يذل العباد ويفسد البلاد.

وحكى القرآن عن قوم نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢١، ٢٢]. وقال القرآن عن قوم هود وهم عاد: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]. وكذلك قوم صالح وهم ثمود: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ [الشعراء: ١٥٠ - ١٥٢].

وذكر القرآن الملك الذي كان في عهد سيّدنا إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. بعض المفسرين قال عن هذا الملك: إنه النمرود. والقرآن لم يذكر لنا اسمه، ولذلك لا نرتب على ذلك حكمًا، القرآن يذكر لنا القصص ولا يهتم بالأسماء ولا بالتواريخ ولا بما يُعنى به المؤرخون من التفاصيل، إنما يذكر لنا رؤوس العبر.

فرعون مصر:

أهم من ذكره القرآن نموذجًا للظلم والطغيان والاستكبار والفساد والعلو في الأرض والمكر بعباد الله هو فرعون مصر، وكلمة (فرعون)

ليست اسمًا لملك، إنما هي لقب لكل ملوك مصر في ذلك العهد، أو في تلك العهود، ملك مصر يلقب بفرعون، وملك الفرس يلقب بكسرى، وملك الروم يلقب بقيصر، وملك الحبشة يلقب بالنجاشي، وهكذا فهذه ألقاب لملوك.

اهتم القرآن بفرعون، وذكر في عدد من السور قصته مع موسى ﷺ، موسى أحد المرسلين الكبار الذين بعثهم الله بآياته إلى بني إسرائيل وإلى فرعون وملئه، ذكره الله تعالى في سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وفي سورة الأعراف أطال في ذكر موسى وفرعون، وفي سورة الشعراء، وطه، والقصص، وفي سور كثيرة من القرآن الكريم.

إن فرعون علا في الأرض:

حدثنا الله عن هذا الملك الجبار الذي ادّعى الألوهية، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].
وحيثما جاءه موسى بالرسالة قال له: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. لا يسمح بأن يكون هناك إله غيره في هذه المملكة.

قال الله تعالى عن فرعون هذا: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]. استعلى على الناس، واعتبر نفسه فوق الناس، يزعم نفسه إلهًا والناس بشر عاديون، وهو مثلهم، لم يخلق نفسه، ولم يخلق شيئًا مما حوله، السماوات والأرض مخلوقة قبل أن يُولد، كل شيء خلقه الله، ولكنه ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾.

جعل أهلها شيعة:

الأرض هنا أرض مصر، القرآن يذكر مصر بالأرض، كأنها كل الأرض، وهذا تعظيم لأمر مصر، كأن من ملكها ملك الأرض، وهذا الفرعون الذي يقولون: إنه رُمسيس الثاني، الذي له تماثيل معروفة في مصر. جعل أهل البلد شيعة، كان أهل البلد قسمين: أهل البلد الأصليين، والذين انضموا إليهم منذ جاء يوسف عليه السلام وقال لأبيه وإخوانه: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]. وعاش بنو يعقوب أي بنو إسرائيل في مصر منذ عهد يوسف عليه السلام إلى عهد موسى عليه السلام، تكاثروا وعاشوا مئات السنين، فلما جاء الفراعنة اعتبروا هؤلاء كأنما هم دخلاء عليهم، وهم دخلوا مصر واستوطنوها بإرادتهم، لم يدخلوا مصر مستعمرين حتى نقول: لا حق لهم. هكذا اعتبر القرآن بني إسرائيل الذين عاشوا هذه المئات من السنين في أرض مصر أهلها، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾، معناه أن الإنسان إذا عاش سنين متطاوله في بعض البلاد يكتسب جنسيتها، ويصبح من أهلها؛ ما دام قد دخلها بحق، لم يدخلها مستعمراً أو طاغياً على أهلها أو محارباً لها.

استضعاف بني إسرائيل:

دخل بنو إسرائيل مصر بإذن أهلها، وعاشوا فيها معهم، ولكن فرعون أراد أن يبيد بني إسرائيل، ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، أي الذكور، ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾، للخدمة والمتعة، التقتيل والتذبيح لهؤلاء الصغار الذين يولدون فيقتلون، يقتل نفساً زكية بغير نفس، وهذا ظلم أن يُعَذَّبَ الطفل الذي يولد من بطن أمه؛ فلا يجد إلا السكين أو السيف، يُذَبِّحُه تَذْبِيحًا وَيُقَتِّلُه تَقْتِيلًا، فكان هذا من علو فرعون كما قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]، وكما قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]. هذا هو العلو، أن يعتبر نفسه أعلى من الناس، وهو ليس إلا مخلوقاً مثلهم.

وصف الله فرعون بالطغيان والاستكبار، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥]، ووصفه بالفساد والإفساد، كما قال هنا: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. وكما قال في سورة الفجر: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٠-١٢]. جمعوا بين الطغيان والفساد، فهم أهل طغيان وإفساد في الأرض، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغٌ مِّنَ الْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٣، ١٤].

إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ:

هكذا كان شأن فرعون في مصر، عرف أن بني إسرائيل ربّما يكونون خطرًا عليه، وقيل: إن بعض النَّاس قرأ له بعض النبوءات، أو رأوا له بعض الرؤى، أو هو الذي رأى رؤيا. كل هذه أقاويل، على كل حال قرر أنّه لا بدّ أن ينتقم من هؤلاء الناس، ولا بدّ أن يبيدهم شر إبادة، وشر الإبادة من أوّل الأمر، من أوّل أن يولد الطفل، وهذا أعظم فساد في الأرض، أن يُقتل الإنسان بلا ذنب ولا جريرة، خلق الله هؤلاء الأطفال؛ ثمّ تحكم عليهم أنّهم سيكونون ضدك وتقتلهم؟! فهذا من إفساد فرعون، ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وأي إفساد أكثر من قتل الأطفال البراء، الذين لا ذنب لهم! النَّاس يقولون: الصبي كأنه نبي. لا ينبغي للنَّاس أن يقتلوا الصبيان أو يؤذوهم مجرد إيذاء، المفروض أن يُرعى الطفل: الأب يرعاه، والأخ يرعاه، وابن

العم يرعاه، والجار يرعاه، والصديق يرعاه، والرجل يرعاه، والمرأة ترعاه، والكبير يرعاه، والصغير يرعاه، والمجتمع يرعاه، هذا شأن الأطفال، أمّا أن يُذبح الأطفال فهذا شأن الجبابة، الجبروت والطغيان والاستكبار في الأرض، وادعاء الألوهية هو الذي جعل فرعون يُذبح هؤلاء الأطفال.

ميلاد موسى عليه السلام :

ولذلك حينما ولد موسى عليه السلام وُلد في هذا الجو الذي يُذبح فيه الأطفال وهم صغار لا ريش لهم، فأوحى الله إلى أم موسى ألهمها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَاعْلِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]، إذا خفت على ابنك أن يقتله القتلة الطغاة ارميه في البحر، لا أحد يفعل هذا، ولكن هذه المرأة عرفت أن هذا وحي إليها من الله، فصدقت بكلمات ربها، ووضعت الطفل في صندوقه ورمته في البحر، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، تتبعي أثره، والمقصود بالبحر هنا نهر النيل، وكان قصر ملك مصر على نهر النيل، فالناس حينما يبنون قصورهم على هذه الأنهار، ويطلون على هذه المياه الجارية والغزيرة يكون هذا من أبهة الملك، ومن الترف الذي يبحثون عنه، فتتبع أخته أثره.

﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، الله تعالى قال لأم موسى: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَاعْلِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فأمرها، ونهاها، وبشرها بأن ابنها سيرجع إليها وهو طفل، وفوق ذلك سيجعله من المرسلين، فوضعت في البحر، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]، ذهبت إليهم فوجدت الولد كما قال

تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]. كلما جاؤوا له بمرضعة أبي أن يمس ثديها.

وأول ما رآه فرعون أراد أن يقتله؛ فقالت امرأة فرعون، وهي التي آمنت بعد ذلك بموسى، وأصبحت من النساء التي أكملهن الله، من أربع نساء أكملهن الله: آسيا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد^(١)، فقالت امرأة فرعون: ﴿لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. لم يكن فرعون ينجب فقالت: أبقه لنجعله ابنا لنا. فسكت فرعون.

﴿فَالنَّقْطَةُءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، هذه اللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ يسمونها (لام العاقبة) أو (لام الصيرورة)، أي في العاقبة سيكون موسى عدواً لهم، هو لم يلتقطه لهذا، وإنما هو في النهاية كان لهم عدواً وحزناً، كما يقول الإنسان: لدوا للموت، وابنوا للخراب. أنت لم تلد للموت؛ ولكن في النهاية كل مولود يموت، وأنت لا تبني للخراب؛ ولكن كل مبنى سيخرب، فهذه لام العاقبة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]، كانوا ظالمين آثمين، والخطأى: الظالم. المخطئ غير الخطئ، فالمخطئ من يفعل الشيء خطأً، والله تعالى وضع عن الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه^(٢)،

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس، رواه أحمد (٢٩٥٧)، وقال مُخَرَّجُوهُ: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في المناقب (٨٢٩٩)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠١٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١٣٥).

(٢) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والطبراني في الأوسط (٢١٣٧)، والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عباس.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. أي ليس عليكم إثم، قد تكون عليك دية إذا قتلت إنساناً خطأ، لكن ليس عليك إثم؛ لأنك لم ترد قتله ولم تقصد إليه، إلا إذا كنت مهملاً، مثل من ترك سيارته خربة ومع هذا يقودها فساعد هذا على الاصطدام والقتل؛ فيكون عليه نوع من الإثم.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾، جعل الله ﷻ جنود فرعون مثل فرعون، لماذا؟ لأنهم هم الذين يعينونه على ظلم الناس، ولذلك حينما أخذ الله فرعون أخذه ومن أعانه، فرعون وجنوده، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، فخاطؤون بمعنى آثمين، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ»^(١). الذي يحتكر الطعام يحجزه ولا ينزله الأسواق؛ لتغلو أسعاره، الطعام موجود عنده، ولا يرضى أن يبيعه حتى يغلو ويغلو، ثم يبيعه للناس بأعلى الأثمان، هذا آثم، من احتكر فهو آثم.

ذكر المرأة وأثرها:

ونحن نجد في قصّة سيّدنا موسى ذكر النساء أكثر من ذكر الرجال، هل علمتم ما فعل أبو سيّدنا موسى؟ لم نعرف شيئاً، لم يذكر الله تعالى لنا شيئاً عنه، إنّما ذكر لنا أم موسى وما فعلته، وذكر لنا أخت موسى، وذكر لنا امرأة فرعون، وذكر لنا بنت الرجل الذي ذهب إليه موسى وقال له: نجوت من القوم الظالمين. حينما سقى لها في مدين، فسيّدنا موسى مُحاط بعدد من النساء، اللائي كان لهن دور في قصته وفي حياته من أوّل يوم، من أوّل ما وُلد.

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٥)، وأحمد (١٥٧٥٨)، عن معمر بن عبد الله القرشي.

ولم يذكر لنا القرآن اسم أخته، ولا اسم أمه، ولا اسم امرأة فرعون، ولا اسم المرأة التي تزوجها؛ لأن القرآن لا يهتم بذكر الأسماء وهذه الأشياء كما قلت لكم، إنما يهتم برؤوس العبر، ماذا نأخذ من هذه القصة وماذا نستفيد منها؟ هذا ما يهتم به القرآن.

ذهبت أخت موسى إلى آل فرعون وقالت: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾ [القصص: ١٢]. أنا أعرف أناساً طيبين كان عندهم مولود ومات أو غاب، وهم يستطيعون أن يرضعوا هذا الطفل، وهم ناصحون لكم، أي مخلصون لكم، لا يمكن يفرطوا فيه أبداً. فاستجابوا لهذه المرأة التي لا يعرفونها وأعطوها الطفل، وعاد موسى إلى أمه ﴿إِنَّا رَأَوْهُ إِلَيْنَا﴾، رده الله إلى أمه، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣].

نعمة الله على الذين استضعفوا:

حدثنا الله ﷻ عن موسى منذ طفولته ﷺ، لأن الله حينما ذكر علو فرعون في الأرض، وكيف جعل أهلها شيعاً، واستضعف طائفة منهم بتذبيح الأبناء واستحياء النساء، ثم قال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ * وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ * [القصص: ٥، ٦]. إذا كان فرعون يفعل هذا فالله يريد شيئاً آخر، يريد الله أن يمن على هؤلاء المستضعفين في الأرض، الذي يُعَذَّبُونَ وَيُظْلَمُونَ، وتُغْتَالَ حقوقهم ولا يُعترف لهم بشيء، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾، نجعلهم حكاماً في الأرض، ونجعلهم ملوكاً في الأرض، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، يرثون ممالك هؤلاء الطغاة والظلمة، الذين استكبروا على عباد الله، هكذا ذكر الله هذه القضية الكبيرة.

تهيئة الله للأسباب:

وكيف يمكّن الله لهؤلاء المستضعفين في الأرض، كيف يُصبحون هم الوارثين؟ يبين الله لنا كيف يصنع هذا؛ فيأتي بالقصة من أولها، فحينما يريد الله شيئاً يهيئه من الألف إلى الياء، لم يذكر القصة من أول ذهاب موسى إلى فرعون، لا، بل يبين لنا كيف أعد الله هذا الطفل الذي سيزول على يديه ملك فرعون، فرعون الذي ذبح الآلاف وعشرات الآلاف من قبل، فمن قبل موسى وهم يعدون العدة لقطع نسل بني إسرائيل وإفنائهم، فلما أراد الله ﷻ أن يأتي من يزول ملك هذا الفرعون المصري الطاغية على يديه أنجاه الله، وأنجاه الله بأن يتربى في بيت فرعون وتحت سمعه وبصره، هو الذي ينفق عليه ويطعمه ويسقيه، أليس هذا من سخرية الأقدار بهؤلاء الطغاة، الذين يظنون أنفسهم يملكون كل شيء، وهم لا يملكون شيئاً، حتى أنفسهم لا يملكونها، حينما يأتيهم الموت لا يستطيعون أن يردوا الموت، حين يأتيهم المرض لا يستطيعون أن يردوا المرض، حين تأتيهم المصائب لا يستطيعون أن يردوا المصائب.

تربية موسى في قصر فرعون:

الله ﷻ هياً لموسى حينما يُولد أن يذهب إلى قصر فرعون، فرعون الطاغية الذي قتل من بني إسرائيل ما قتل، وذبح ما ذبح: أراد الله أن يكون راعياً لموسى، يتربى في قصره، يخدمه خدمه وحشمه، ورجاله ونساؤه، كُلّ ما يطلبه مجاب، وكل ما يأمر به مطاع، صار ابن فرعون، فعاش في بيته، ويتردد على بيت أمه التي أرضعته، فلا يمنعه أحد أن يتردد على امرأة أرضعته، هم لا يعرفون أنها أمه التي أنجبته، وحملته في بطنها تسعة أشهر!

ظل موسى طوال طفولته وجزءاً من شبابه هكذا حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، بعد أن اشتد واستوى، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، وقال الله تعالى عن سيّدنا يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢]، أمّا عن موسى ﷺ فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾. لأن موسى لم يبلغ بسهولة، بل بلغ بهذه الصعوبات التي مر بها، فمن طفولته ومن شبابه آناه الله هذا الحكم والعلم، كما أتى يوسف من قبل، وكما أتى يحيى من بعد، ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]، فالمحسنون أهل الإحسان والإتقان، وأهل الإحسان إلى الناس أيضاً، هؤلاء هم المحسنون الذين يحبهم الله ويؤيدهم بمعيته، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

فاستغاثه الذي هو من شيعة:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ [القصص: ١٥]، العاصمة التي يعيش فيها فرعون، لم تكن القاهرة، فالقاهرة لم تُوجد إلا في العهد الإسلامي، في المائة الرابعة من الهجرة، لكنها كانت مدينة كبيرة هي عاصمة ملك فرعون، دخلها موسى ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: ١٥]، في حالة سكون، لا هي حالة حرب ولا حالة صراع ولا شيء من هذا، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، اثنان يختصمان في الشارع ويقتتلان: واحد من شيعة موسى من بني إسرائيل المستضعفين، وواحد من المصريين الذين ينتسبون إلى فرعون، وكان رجلاً قوياً مستعزاً بفرعون وجنوده وأتباعه، والرجل الآخر وإن كان قوياً

لكن أضعفه سوء حاله، لم يستطع أن يرد على المصري هجومه وإيذائه فاستغاث بسيدنا موسى!

﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، كل ما فعله سيّدنا موسى هو أنّه لكمه، وبهذه اللكمة قضى عليه، وكان سيّدنا موسى قويًّا في جسمه، وقويًّا في نفسه، وقويًّا في إرادته فأعطاه هذه اللكمة؛ فلم يتحمل الرجل هذه اللكمة وانتهى فيها، قضى عليه، وما كان موسى يريد أن يقضي عليه، هو يريد أن يخلص صاحبه من هذا المتجبر عليه، هو رجل ضعيف ولكنه مستكبر، ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥].

ندم سيّدنا موسى على هذا الذي حدث منه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، ندم في نفسه واستغفر الله وعجل على هذه المصيبة التي وقعت منه، وما كان له بها من نية قاصدة أو عامدة أبدًا، استغفر ربه ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، ولكنه مع هذا قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]. يا رب بما أنعمت عليّ من القوة والإرادة والحرية والقدرة فلن أستخدم هذه النعم بأن أكون عونًا للمجرمين أبدًا، فهذا ليس شأني، أنا عدو للمجرمين، وعدو للظالمين، وعدو لكل من يستخدم نعمة الله في النعمة على عباده والعدوان على خلقه.

فأخذ عهدًا مع الله أن يكون مع أهل الحق دائمًا وليس مع أهل الباطل، مع أهل العدل وليس مع أهل الظلم، مع المستضعفين وليس مع المستكبرين، وأصبح في المدينة خائفًا يترقب، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ هنا نقف عند هذه الفقرة لنحدث عنها في جمعة قادمة إن شاء الله؛ لنستكمل قصّة الفرعون الذي جاء إليه موسى برسالة من ربه فأبى واستكبر وكان من الكافرين.

اللهم هبّ لنا من أمرنا رشدًا، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نتحدث في هذه الخطبة الثانية عن بعض الأمور:

موقف قطر من الربيع العربي:

الأمر الأول هو موقف قطر من مصر، بل الحقيقة موقف قطر من بلاد الربيع العربي كلها، فقد وقفت مع بلاد الربيع العربي من أوّل يوم وإلى اليوم، كان موقف قطر موقفًا رائعًا، يشهد له كل ذي عقل يفكر، وكل ذي عين ترى، وكل ذي أذن تسمع.

وقفت قطر مع تونس أوّل ثورة قامت، وضربت المثل للبلاد الأخرى فكانت قطر مع تونس، والفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي.

ووقفت قطر مع الثورة الثانية، الثورة الكبرى، ثورة مصر، التي علّمت العالم أنّ الثورة في البلد الكبير تكون بمثابة الأستاذ والمُعَلِّم للثورات الأخرى وللناس أجمعين، كان ميدان التحرير الذي قلت للناس فيه: ينبغي أن تسموه ميدان الثورة، ميدان الشهداء. كان ميدان التحرير ميدانًا مُعَلِّمًا للناس، يتعلّم الناس فيه الأخوة على حقيقتها، ويتعلمون الإيثار كما يحبه الله ورسوله، وكما يحبه المؤمنون ويرضونه، كان الأخ يؤثر أخاه، والمرأة تؤثر أختها، الرجال والنساء، والشباب والشيخوخة: يؤثر بعضهم بعضًا، يجوع أحدهم ويترك رغيته ليشبع أخوه، ينام بغير غطاء ليتغطى أخوه، ويتعب ليرتاح أخوه، ويتعرض للرصاصات تأتي من هنا ومن هناك ويُصاب أحيانًا ليفدي أخاه، كانت هذه ثورة مصر، فوقفت قطر مع مصر.

ووقفت قطر مع ليبيا، واستشهد أخونا الإعلامي حسن الجابر من أبناء قطر: وكان مصورا للجزيرة في بنغازي، يوثق أحداث الثورة، ذهب مع إخوانه إلى هذه البلاد ليفدي إخوانه بروحه، ووقفت قطر مع ليبيا، ووقفت قطر مع اليمن تعطي هذه البلاد من نفسها، من أولادها، تعطيهم من أموالها، تعطيهم من روحها، تعطيهم من كل ما تستطيع، وهي الآن ومن أول يوم مع ثورة سوريا التي مر عليها ما يقارب الستين وهي تقاتل في سبيل الله.

كانت قطر بمواقفها الرجولية الفدائية، المؤمنة العربية المسلمة، بمواقفها التي نقدرها ونحترمها ونحبها، والله نحبها لله، نحبها للإسلام، نحبها لأنها وقفت مع الحق بصراحة، لم تقف مع الباطل كما يقف بعض الناس للأسف، بعض البلاد في الخليج تقف مع الباطل، تؤيد الباطل بكل ما تستطيع ولا تقف مع الحق، ولكن وقفت قطر مع الحق. وها هي وقفتها الأخيرة مع مصر، ذهب من قبل أمير قطر وزار مصر ووعدهم بما وعدهم به من مليارات، أكثر من عشرين مليارات تعطيها قطر للاستثمار في داخل مصر، وذهب رئيس الوزراء وأخبرهم أن قطر تدفع الآن خمسة مليارات دولار، مليار منحة من قطر وأربعة مليارات وديعة في خزانة الدولة المصرية، فحيا الله قطر، وحيا شعب قطر، وحيا أمير قطر، وحيا رجال قطر، وحكومة قطر، وكل من يؤيد الحق والخير في قطر حياهم الله.

هذه شهادة أردنا أن نذكرها، نشهد بالخير لأهل الخير، وبالحق لأهل الحق، وبالبطولة لأهل البطولة، لا ندعي لأحد شيئا لم يفعله كما يفعل الكثيرون، لا والله لا نقول إلا الحق، لا يخذلنا عن ذلك مخذل أبداً،

نسأل الله ﷻ أن يجزي قطر خيرًا، وأن يؤيدها بروح من عنده، وبجند من جنده، لتظل دائمًا ناصراً للحق، وليست ظهيراً للمجرمين أبداً.

ثورة سوريا:

الأمر الثاني أن حكومة سوريا ظهر رئيسها في حديث، كما يُقال: أطال الغيبة، وأتى بالخيبة، سكت دهرًا ونطق كفرًا. جاءنا بما يعتبره هو إنقاذًا لسوريا، وهو لا يملك إنقاذ سوريا، هو نفسه مطلوب طرده من سوريا، هو قتل الآلاف المؤلفة من أهل سوريا، خمسة عشر ألفًا قُتلوا، المئات في كل يوم يُقتلون.

مَنْ يقتل هؤلاء؟ يقتلهم بشار الأسد. بماذا يقتلهم؟ يقتلهم بجيشه، بشبيحته، بأسلحته التي اشتراها من أقوات الشعب، من عصارة أرزاق السوريين، من قوت أولاد السوريين، بهذه الأسلحة يقتل هؤلاء الناس، يقتلهم بالدبابات، بالمدافع، بالقاذفات، بطائرات الميج التي أُعدت لتقاتل الجيوش في الميادين الكبرى؛ ولكنه يقاتل بها الشعب الأعزل الذي لا يملك في يده سلاحًا أي سلاح، لا يملك حجرًا، ولا يملك سكينه، ولا يملك سلاحًا أبيض ولا أحمر، لا يملك إلا حنجرته وصوته، هكذا رأينا هذا الشعب من أوّل يوم، حتّى ظهر الجيش السوري الحر، الذي نسأل الله أن يشد أزره، ويحمي ظهره، ويسر أمره، وأن يعينه على عدوه الظالم القاتل الغاصب.

نريد أن نقول لهذا الأسد، وما هو بأسد، إنّما هو وحش كاسر، قاتل متجبر في الأرض، نقول له: ليس لك مكان في سوريا، ارحل عنها، لو وجدت لك مكانًا في غيرها لكان هذا خيرًا لك؛ بدل أن يمسك بك الشعب ويمزقك تمزيقًا، اذهب كما ذهب أمثالك، ذهب زين العابدين

علي في تونس، وذهب حسني مبارك في مصر، وذهب القذافي في ليبيا، وذهب علي صالح في اليمن، أفتبقى أنت دون هؤلاء؟!

حكم الأسر الجمهوريّة:

انتهى حكم الأسر الجمهوريّة، لم تعد هناك أسر تحكمنا إلا الأسر الملكية، والملكية لها ظروفها، رضي الناس من أهلها، فما دام أهلها راضون عنها، وما داموا يحكمون بالعدل بين الناس؛ فهذه لها ظروفها، أمّا البلاد التي تعاهدت على الجمهوريّة، وقام نظامها على الجمهوريّة، فسوريا من أوائل البلاد التي قامت على الجمهوريّة قبل مصر، وقبل هذه البلاد، كيف تُحكم بجمهوريّة ملكية، يظل الرجل أربعين عامًا في الحكم، ثمّ يأتي ابنه فيحكم من بعده، ويريد الابن أن يظل حاكمًا حتّى يموت ويحكم ابنه، ويظل الأحفاد يتوارثون الحكم من الأجداد، أي شيء هذا؟!

أعندك عقل يا بشّار الأسد؟ أتريد أن تحكم سوريا في عصر انتهى فيه الفراعين، ذهبوا فما عاد لهم وجود، الناس يحكمون أنفسهم بأنفسهم، اذهب عن سوريا فقد ألقاك الشعب، وطرحك من وراء ظهره، ورمى بك في الأرض، لست شيئًا مذكورًا عند الناس ولا عند الله.

ونقول للشعب السوري: أنت أيّها الشعب منتصر إن شاء الله، الشعب السوري سينتصر، أنا مؤمن بهذا وأكرره دائمًا وسأظل أكرره، وأعتقد أنّ الوقت قد قرب إن شاء الله.

الجيش الحر هو من يمثل سوريا الحرة:

وأدعو دائمًا الضباط والجنود الذين لا زالوا يعيشون مع هذا الجيش النظامي الظالم: أن يتركوا هذا الجيش، أقول لهؤلاء: اعقلوا وانظروا إلى

أنفسكم، أنتم تقتلون شعبكم، تقتلون آباءكم وأمهاتكم، تقتلون إخوانكم وأخواتكم، لماذا تقتلونهم؟ حرام عليكم والله، كل واحد يُقتل أنتم أيُّها الجنود والضباط المسؤولون عنه، أنتم تستطيعون أن تخرجوا من هذا الجيش؛ فاخرجوا منه في أي وقت استطعتم، وخذوا معكم أسلحتكم، فما قدرتكم أن تأخذوه فخذوه، واذهبوا إلى الجيش الحر، الجيش الحر هو الذي يُمثّل سوريا الحقيقيّة، سوريا المستقلة، سوريا الحرة القادرة على حكم نفسها بنفسها، أنا والله مؤمن أن هذا آتٍ عن قريب، لأن سنة الله أن يخذل الباطل، وأن ينصر الحق، أن يخذل الظلم، وأن ينصر العدل، أن ينصر الخير على الشر، ولهذا نؤمن أن الحق سينتصر، والخير سينتصر، والعدل سينتصر إن شاء الله، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

اللهم إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استرْ عَوْرَاتِنَا، وآمِنْ رُوعَاتِنَا، واحْفَظْنَا من بين أيدينا ومن خَلْفِنَا، وعن أَيْمَانِنَا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتَالَ من تحتنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم انصُرْ إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في الصومال، وانصر إخواننا في بنجلاديش، وانصر إخواننا في ميانمار، وانصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في الأردن، وانصر إخواننا في لبنان، وانصر إخواننا في العراق، اللهم أيدِ إخواننا المظلومين في أرض العراق، اللهم أيدهم بروح من عندك، وقوهم بجند من جندك يا ربّ العالمين.

اللهم أعزّ الإسلام وأيّد المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى، ربّنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وانصُرنا على القوم الكافرين، اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عنا.

ربنا اجعلنا مقيمي الصلاة ومن ذرياتنا، ربنا وتقبل دعاء، ربّنا اغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفرّ عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة؛ إنّك لا تخلف الميعاد.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربّنا إنّك رؤوفٌ رحيم، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا؛ إنّك على كل شيء قدير.





الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٦) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ فِي مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَآخِرُ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ هُوَ الْمُلُوكُ وَالْحُكَّامُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْقُرْآنُ، مِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ الْعَدْلَ فِي الرِّعْيَةِ، وَسَادَ الْقِسْطَ عِنْدَهُ بَيْنَ النَّاسِ، سَوَاءَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَوْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ، فَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَطَالُوتَ، وَذَكَرَ لَنَا الْقُرْآنُ أَيْضًا ذَا الْقَرْنَيْنِ، وَمِنَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْقِيسَ مَلِكَةَ سَبَأَ.

وَذَكَرَ لَنَا الْقُرْآنُ مِنَ الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَ الْكَثِيرِينَ الَّذِينَ حَكَمُوا عَادًا وَثَمُودَ وَقَوْمَ نُوحٍ وَكَثِيرًا مِنَ الْأَقْوَامِ، وَكَانُوا يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلَحُونَ، ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

وَذَكَرْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ فِرْعَوْنَ، وَفِرْعَوْنَ لَقِبَ لِمُلُوكِ مِصْرَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَهَا بِاسْمِ الْفِرَاعَةِ، فَلَيْسَ فِرْعَوْنَ اسْمًا لِلْمَلِكِ، وَلَكِنَّهُ لِقَبِهِ، كَمَا يُلْقَبُ زَعِيمُ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، بِتَارِيخِ ١٨ يَنَآيِرَ ٢٠١٣ م.

الفرس بكسرى، وزعيم الروم بقيصر، وزعيم الحبشة بالنجاشي؛ يُلقب الزعيم والملك المصري بفرعون.

إن فرعون علا في الأرض:

وكان أهم هؤلاء الفراعنة وأكثرهم فرعة وتألها في الأرض هو الملك الذي أراد الله أن يزول ملكه على يد نبي الله موسى، حين قرر الله هذا وأراد، وإذا أراد الله شيئاً هيأ له الأسباب وأزال من طريقه الموانع، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيكُ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٤، ٥]، يريد الله أن يُزيل ملك الفراعنة، ويهيئ لبني إسرائيل المستضعفين الملك في الأرض.

وحينما أراد الله هذا الأمر هيأ له الأسباب، بدأت أقدار الله ﷻ تهَيَّ كيف يزول ملك فرعون المتوطد في الأرض، القائم على الجبروت، وعلى استحلال أرواح الناس ودمائهم، وأموالهم وأعراضهم، هيأ الله تعالى لذلك بميلاد موسى ﷺ، كما ذكرنا في الخطبة الماضية.

هيأ الله ميلاد موسى، وأوحى لأمه أن تلقيه في اليم ولا تخاف ولا تحزن، فإن الله سيرده إليها، وقد رد الله موسى إلى أمه لترضعه، ويبقى موسى في بيت فرعون إلى أن شبَّ وبلغ، وأصبح من الرجال القادرين، وجاءت الحادثة حين استغاثه رجل من شيعته من بني إسرائيل على رجل من القبط، ﴿فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥، ١٦].

وأصبح في المدينة خائفاً يترقب:

وأصبح في المدينة خائفاً يترقب ماذا يفعل القوم به بعد هذه الحادثة؟ هو لم يكن يقصد قتل الرجل، لقد ضربه لكمة فأنتهى أجله فيها، ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٨، ١٩].

عرف موسى أن الخبر تسرب، وأن الناس قد عرفوا أنه هو الذي قتل القبطي؛ فإذا رجل من أقصى المدينة يسعى، جاء من أطراف المدينة من أبعد مكان فيها يهرول ويركض، ﴿قَالَ يَمْوَسَّى ابْنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، جاء ينصح موسى الله، فالملا من آل فرعون وحاشيته ومن حوله يدبرون لموسى مقتلاً، وعرف موسى القضية فتوكل على الله، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، وخرج من مصر متجهاً ناحية مدين، ومدين ناحية الأردن.

خرج موسى إلى هذه المنطقة ليس معه شيء؛ إلا ثوبه ونعله: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، كان يمشي؛ فإذا وجد خضرة أو ماء أو شيء يأكل منه، ليس معه طعام أو شراب أو أي أدوات ولا مال، حتى وصل بعد عدة أيام قضاها ماشياً إلى ماء مدين، وهو بئر يتوافد الناس عليه، ويسقون منه بقرهم وإبلهم وغنمهم.

فسقى لهما:

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]، وجد بنتين كبيرتين تذودان غنمهما عن الناس، لا تزاحمنهم، فسألهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، حتى يسقي أهل

الرعي والإبل والغنم والبقر ويرجعوا، ونبدأ نحن في هذا الجو الخالي
فنسقي غنمنا، وأبونا شيخ كبير لا يستطيع أن يأتي هنا ليقود الغنم، لكننا
نقوم مقامه، ليس لنا إخوة ذكور، بنتان فقط؛ فهما اللتان تقومان بما
ينبغي أن يقوم به الرجال، ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤]، فسقى لهما موسى بقوته، وكان فتياً،
فتى قوياً، طويل النجاد، رفيع العماد، مفتول الذراعين.

ثم جاءته إحدى الفتاتين اللتين سقى لهما، ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى
أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]،
فذهب معها حتّى وصل إلى الأب، النَّاس يقولون: هذا شعيب. لا، ليس
شعيباً، فشعيب بينه وبين موسى سنين طويلة، لكن لعل اسمه شعيب،
لأن النَّاس يسمون في هذه البلاد بالأسماء الكبيرة، أسماء الملوك
والْحُكَّام، والأنبياء والعلماء، والشيوخ والحكماء، فليس شعيباً نبي الله،
ولو كان نبي الله ما أخفى الله عنا هذا، إنّما هو رجل كبير، ذهب إلى هذا
الشيخ الكبير، وقص عليه القصص: قصته مع فرعون وما حدث له، فقال
له: ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥]. أنت الآن في أمان،
وبعيد عن مصر، ولا يستطيعون أن يصلوا إليك.

القوي الأمين:

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأْتِ أَسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾
[القصص: ٢٦]، أفضل من يستخدمه الإنسان في عمله من يتصف بالقوة
والأمانة، القوة: هي القدرة والخبرة، يكون فاهماً عمله جيداً، معه شهادة،
معه كفاءة، معه خبرة طويلة، هذا معنى القوة، فليس المقصود القوة البدنية
فقط، القوة والأمانة، فلا بد من قدرة عقلية وقدرة أخلاقية، إذا كان قوياً؛

ولكنه لصّ فسيسرقك، فما ينفعك هذا، فلا بد من القوة والأمانة، ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨]. قالوا: إنه أوفى عشر سنوات.

آنس من جانب الطور نارا:

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ [القصص: ٢٩]، أراد أن يعود إلى مصر، ﴿ ءَأَنسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾ [القصص: ٢٩]، أخذ في العودة، وفي الليل وفي برد الصحراء أحس بشدة البرد، ورأى من بعيد نارا تشرق، ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩]، ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ [طه: ١١ - ١٦].

وعظه بمواعظ ثم قال له: ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى ﴾ فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ [طه: ١٧ - ٢١]، رأى عصي تهتز كأنها جان، عصا انقلبت إلى كائن حي، شيء غريب، فخاف سيّدنا موسى وولّى مدبراً، ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ [طه: ٢١]، أمسكها؛ فعادت عصا كما كانت، ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ مَخْرُجٌ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه: ٢٢، ٢٣]،

كان سيّدنا موسى أقرب إلى السمرة، فأدخل يده في ثوبه وأخرجها فإذا هي بيضاء، ولكن من غير مرض أو سوء.

اذهب إلى فرعون إِنَّهُ طَغَى:

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٢٤]. الطغيان: مجاوزة الحد في الظلم والإساءة إلى عباد الله، وكان فرعون من الطغاة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الدخان: ٣١]، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصاص: ٤]. يقتل الذكور، ويستبقي الإناث ليستمتع بهن ويخدمهن، اذهب إلى هذا الطاغية برسالتي، حاول أن تحرر بني إسرائيل من ظلم هؤلاء الفراعنة، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِبْهُمْ ﴾ [طه: ٤٧].

حاور الله تعالى موسى هذه المحاورة الطويلة، قال موسى: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ ﴿ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِّسَانِي ﴾ ﴿ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ﴿ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ ﴿ هَؤُلَاءِ أَخِي ﴾ ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴾ ﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه: ٢٥ - ٣٥]. قال له: يا رب، أريد المعونة، شد أزري بأخي. وفي آية أخرى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصاص: ٣٣، ٣٤]، وفي آية أخرى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [طه: ٤٥]. فرعون رجل جبار يمكن أن يقتلنا في لحظة، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: ٤٦].

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا:

اذهبا إليه، ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤]، لا تكونا شديدين عليه، حتّى فرعون هذا الذي قال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [القصاص: ٣٨]، وقال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤]. لم يعترف

بوحداية الله تعالى، ولكن الله ﷻ يتلطف بعباده ويأخذهم بالرفق، ويعاملهم بكل لين، ولذلك قال له سيّدنا موسى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكِّيَ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]. بهذه الصيغة: ﴿هَلْ لَكَ﴾؟ صيغة الاستفهام.

عامله موسى بكل لين، ولكن فرعون رجل مستكبر يدعي لنفسه الألوهية وأنه الرب الأعلى وأنه لا إله غيره؛ فكيف يرضخ لموسى وقومه، يقول: ﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]. كيف يأتي ويدعي أنه رسول؟ فذهب موسى وأرسل الله معه أخاه هارون، وجابها العنيد العتيد، الجبار المستكبر، ﴿فَأَنبَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ﴾ [طه: ٤٧، ٤٨]. فجن جنون فرعون، هذا الفتى الذي التقطه من الصندوق وهو طفل ابن أيام، وقد أراد أن يقتله، فقالت له امرأته: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. امرأة فرعون حمى الله بها موسى من قتله، أراد أن يقتله فرعون في أول الأمر، وأراد أن يقتله حينما قتل الرجل القبطي خطأ، ولكن الله نجاه؛ لأنه يدخر موسى ليواجه فرعون، وليكون زوال ملك فرعون على يد موسى.

هياً الله لموسى وهارون أن يقفا أمام فرعون، يقول له فرعون: ﴿أَلَمْ نُزَكِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِّنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَن عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٨ - ٢٢]. تَمُنُّ عَلَيَّ أَن جَعَلْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ عِبِيدًا عِنْدَكَ!؟

أو لو جئتك بشيء مبين؟!

قال فرعون: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]؟ قال موسى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]. فقال فرعون لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْتَعِينُونَ﴾ قال رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿قال إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٥ - ٢٧]! فأكد موسى الأمر: ﴿قال رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]. فقال فرعون: ﴿لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْإِلَهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. فقال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠]؟ هل تسجنني حتى لو جئتك بالبينة والدليل القاطع، على أنني رسول من الله؟ قال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ٣١]. أين هذا الذي يدل على رسالتك هذه؟

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿ [الشعراء: ٣٢، ٣٣]، قال فرعون للملأ من حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ [الشعراء: ٣٤، ٣٥]. فقال الملأ: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿ [الشعراء: ٣٦، ٣٧]. إذا كان هذا ساحر؛ فعندنا منه مئات وآلاف منتشرين في أنحاء المدن والقرى المصرية، نجمع أعظم السحرة وأمهرهم وأخبرهم، في يوم معلوم، واتفقوا هم وموسى: ﴿قال مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]، يوم عيد عندهم، يتجملون فيه، ويجتمعون بالآلاف المؤلفة.

فجمع السحرة:

كانت أول مواجهة لموسى مع فرعون بالعصا وباليد، ثم انتهوا إلى أنهم سيجمعون السحرة من أنحاء مصر؛ ليواجهوا هذا الساحر الكبير، ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ٣٨]، من المشرق والمغرب، من الصعيد ومن الوجه البحري، من كل أنحاء مصر أرسل إلى الناس أن

يأتوا بالسحرة، ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾، الخبير في السحر، الماهر الذي عرف الناس مهارته في سحره، يأتون بهؤلاء المهرة من كل أنحاء مصر. وجاء السحرة في الميقات المعلوم، ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، حلفوا بعزة فرعون: الإله المتجبر، الذي يملك الأرض والذهب والفضة، والجنود والسلاح، ويتحكم في رقاب الناس، ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]، نحن مطمئنون وحلفنا بعزتك؛ لكن هل لنا أجر على هذا الأمر؟ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢].

إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى:

فلما جاء السحرة قالوا لموسى: ﴿يَكْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]. جاؤوا والناس متجمعون، تعرفون في مثل هذه الحالة فرعون المتأله الجبار، وهناك واحد يتحداه، يقول له: أرسلني من هو أعلى منك، أرسلني الله الذي خلقك وخلقنا وخلق السماوات والأرض، أرسلني إليك لأتحداك وأنت الذي تدعي الألوهية في الأرض. موقف عظيم، وقف الناس ينتظرون ماذا سيحدث، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤]، ﴿قَالُوا يَكْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاهُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٥ - ٦٧]، مئات أو آلاف وضعوا حبالهم وعصيهم وأصبحت في ظاهر الأمر تتحرك في الأرض!

موسى كواحد من البشر أصابته خيفة، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ * وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٨، ٦٩]،

﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿ [يونس: ٨١، ٨٢]، هذا موقف موسى، بعد أن أصابه الخوف، استمسك وعرف أنه صاحب الحق.

بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيتهم، وملأت الساحة الكبرى؛ ألقى موسى عصاه، ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ فغلبوا هنالك وانقلبوا صغرين ﴾ وألقى السحرة ساجدين ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ [الأعراف: ١١٧ - ١٢٢]. وجد السحرة أمامهم شيئاً لا يمكن أن يكون سحراً، يمكن أن يبطل السحر سحراً آخر، ولكن تبقى أدوات السحر كما هي، تبقى الحبال والعصي، ولكنهم حينما ألقى موسى عصاه ابتلعت ما ألقوه، التفتت هذا الإفك وهذا الكذب، ابتلعت هذه العصا أو هذه الحية أو هذا الثعبان المبين تلك العصي والحبال كلها، هذا أمر لا يمكن أن يفعله ساحر، فعرفوا أن هذا ليس من شأن البشر، وإنما هو من شأن خالق القوى والقدر، فخرّوا ساجدين!

آمنّا برب العالمين:

﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿، لم يملكوا إلا أن يعترفوا بالحقيقة، وأن يخشوا لله ساجدين، آمنوا عن علم، عن معرفة، ﴿ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: ٧١]، تؤمنوا من غير إذن مني، من غير تصريح، من غير ترخيص؟! الإيمان عنده يحتاج أن يأذن لهم، هكذا شأن الجبابرة المستكبرين في الأرض، لا يريدون أن يؤمن قلب، ولا أن يقتنع عقل، ولا أن يتحرك جسد؛ إلا بأمرهم، بإذن منهم، ولكن القلوب لا تستأذن أحداً، ﴿ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١]، كيف علمهم؟! أنت الذي جئت بهم من أنحاء البلد، لم يعرفوه من قبل ولم يروه؛ فكيف علمهم؟!

ولكن هكذا يقول الأفاكون والكذابون، حينما لا يجدون حجة تنهض بهم أو ينهضون بها، يقولون كلامًا فارغًا: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقَطِّعْ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا أَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]، سأفعل بكم ما أفعل، تقطيع الأيدي والأرجل، والتصليب في جذوع النخل، أقتلكم وأنتم مصلوبون، وأنتم تعرفون ما عندي من جنود، وما عندي من سلاح، وما عندي من قوة وجبروت!

لن نُؤثرك على ما جاءنا من البينات:

فماذا قال هؤلاء السحرة الذين جلبهم فرعون ليتقوى بهم على موسى، فإذا بهم يصبحون مع موسى ضده؟ نظروا إلى فرعون كأنهم في الأعالي وهو في أسفل سافلين، وقالوا: ﴿لَنُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِن بَيِّنَاتٍ﴾ [طه: ٧٢]، نحن جاءتنا آيات واضحة من عند الله وَجَّهًا، ترينا قدرته، وترينا ضعفك وعجزك وهوانك، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢]، من دقائق كانوا يحلفون بعزة فرعون أنهم الغالبون، الآن لم يحلفوا بعزة فرعون، ولم يعد لفرعون وجود عندهم، يحلفون بالله الذي فطرهم، خلقهم على الفطرة، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]، احكم بما تشاء، لا يستطيع نفوذك أن يصل إلى الحياة الأخرى، التي لا تؤمن بها، فافعل ما شئت في هذه الحياة الدنيا، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى * [طه: ٧٢ - ٧٦].

وقتل فرعون هؤلاء السحرة، كان هؤلاء السحرة هم من أبناء مصر الأصليين، وكانوا الشهداء الأوائل من أتباع موسى ﷺ، استشهدوا في سبيل الله من أجل إيمانهم، ضحوا بدنياهم من أجل آخرتهم، ضحوا بأنفسهم من أجل إيمانهم؛ فكانوا رجالاً أبطالاً، وكانوا قرة عين للمصريين، وانتهت هذه الجولة الأولى بهزيمة فرعون، وإيمان هؤلاء السحرة، وقتلهم شهداء عند ربهم، وتستمر المعركة مع فرعون، لم تنته هذه القصة التي هُزم فيها فرعون، ومن أهم مظاهر هزيمته قتل هؤلاء المؤمنين الذين استنجد بهم فلم ينجدوه، وأصبحوا مع موسى ﷺ، وسنستمر إن شاء الله في المعركة مع فرعون؛ حتى يأخذه الله ومن معه ويغرقهم جميعاً.

اللهم هب لنا من أمرنا رشداً، وانصُرنا على القوم المجرمين، وانصر عبادك المؤمنين على المفسدين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوفٌ رحيم، ادعوا الله يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

دعم قطر لمصر:

نحمد الله وَحَمْدُ أَنْ مَوْقِفَ قَطْرٍ مِنْ الرِّبْعِ الْعَرَبِيِّ مَوْقِفٌ رَائِعٌ وَمَشْرُفٌ دَائِمًا، تَحَدَّثْنَا عَنْ مَوْقِفِ قَطْرٍ فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ، وَأَنْ قَطْرٌ أَرْسَلَتْ رَئِيسَ وَزَرَائِهَا حَمْدَ بَنِ جَاسِمٍ إِلَى الرَّئِيسِ الْمِصْرِيِّ؛ لِيُبَشِّرَهُ أَنَّ خَمْسَةَ مِلْيَارَاتٍ تَدْفَعُهَا قَطْرٌ مُسَانِدَةٌ لِمِصْرٍ، مِنْهَا مِلْيَارٌ مَنَحَةٌ لَا تُرَدُّ، وَأَرْبَعَةُ مِلْيَارَاتٍ وَدِيعَةٌ تَوْضَعُ لِحَسَابِ مِصْرٍ.

وَفِي هَذَا الْأَسْبُوعِ يَذْهَبُ وَزِيرُ مَالِيَةِ قَطْرٍ لِيَطْمَئِنَّ الْحُكُومَةُ الْمِصْرِيَّةُ: أَنَّ قَطْرَ عِنْدَهَا خَمْسَةُ عَشَرَ مِلْيَارًا، تَرِيدُ أَنْ تَدْفَعَهَا لِمِصْرٍ فِي الْاِسْتِثْمَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ؛ تَأْيِيدًا لِلْمَوْقِفِ الْمِصْرِيِّ، وَمُسَانِدَةً لِمَوْقِفِ مِصْرٍ، هَكَذَا تَفْعَلُ قَطْرٌ، وَكُلُّ مَا تَنْتَظِرُهُ هُوَ بَعْضُ الْإِجْرَاءَاتِ وَالتَّسْهِيلَاتِ الْمَطْلُوبَةِ، كُلُّ هَذَا لَتَسَانِدِ مِصْرٍ فِي مَوْقِفِهَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَرِيدُهُ مِنَ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ: الْمُسَانِدَةُ الْحَقِيقِيَّةُ.

هَنَّاكَ بَعْضُ الْبِلَادِ لَا تَسَانِدُ الْعَرَبَ، تَسَانِدُ الْفَرَنْسِيِّينَ أَوْ بَعْضَ الْأُورُوبِيِّينَ، وَتَدْفَعُ الْأَمْوَالَ وَتَقْدِمُ الْأَسْلِحَةَ وَالْأَشْيَاءَ، وَهَؤُلَاءِ مَعْرُوفُونَ بِمَوَاقِفِهِمُ الْمُخْزِيَّةِ وَالْفَاضِحَةِ وَالْمَذَلَّةِ، وَسَنَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ، سَأُفْضِحُ أَسْرَارَهُمْ وَأَكْشِفُ جَرَائِمَهُمْ ضِدَّ الْعَرَبِ وَضِدَّ الْمُسْلِمِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

مَوْقِفَ قَطْرٍ مَوْقِفٌ مَشْرُفٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكْتُبَهُ لَهُمْ حَسَنَاتٍ وَدَرَجَاتٍ عِنْدَهُ، وَأَنْ يَجْزِيَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ قَبْلَ آخِرَتِهِمْ، وَيَعْوِضَهُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

دفعوه، لن يضيع عند الله شيء، الله لا يضيع عنده شيء أبداً، إنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الذكرى الثانية لثورة ٢٥ يناير:

ونريد أيُّها الإخوة أن نتحدث عن إخواننا في مصر أيضاً، نقول لهم: أيُّها الإخوة المصريُّون، في الجمعة القادمة في مثل هذا اليوم ستحل ذكرى مرور سنتين على ثورة ٢٥ يناير، الثورة العظيمة، ثورة مصر التي حررت مصر من الطغاة، حررتها من الظالمين والمجرمين، الَّذِينَ أَكَلُوا أموالها بالباطل سُمًّا حراماً في بطونهم، وهَرَّبُوا المليارات والتريليونات إلى الخارج، وفعلوا ما فعلوا، أنقذ الله مصر من هؤلاء، وأصبح أمر مصر في أيدي أهلها.

ولكن المصريِّين أصابهم ما أصاب غيرهم، أصابتهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، الَّتِي تَفْتِنُ النَّاسَ عن دينهم، عن أخلاقهم، عن شخصياتهم، عن أنفسهم، تضرب بعضهم ببعض، وترمي بعضهم ببعض، هذا ما لا يجوز أبداً، إن هذا ما نحرمة على المصريِّين: أن يجعلوا بعضهم أعداء لبعض، متى كنتم أعداء يا مصريُّون؟ متى كان بعضكم خصماً لأخيه وعدواً لصاحبه؟ كنتم في ميدان التحرير إخوة متحابين: يُؤثر بعضكم بعضاً، ويفدي بعضكم بعضاً، فلماذا تعودون أعداء؟

نحن نريد من يوم الجمعة القادم: أن يكون يوم تعاود للأخوة والمحبة والإيثار، الَّذِي عرفناه أيام الثورة، ما الَّذِي أصابنا؟ ألسنا نحن أبناء الأُمس؟ هل تغيرنا؟ هل تمكن الشيطان منا؟ ما الَّذِي حدث للمصريِّين؛ حتَّى أصبحوا يعادي بعضهم بعضاً، وأصبح بعضهم يتمنى لو هُدمت مصر ولم يحكم الإسلاميون؟ هل الإسلاميون أعداء مصر؟!!

الإسلاميون أبناء مصر، مصر كلها بمسلميها ومسيحييها كلها إسلامية، كلها مؤمنة بربها، كلها تسعى إلى البناء، كلها تسعى إلى الخير، كلهم إخوة، يحب بعضهم بعضًا.

هذا ما نريده من المصريين في يوم الجمعة القادمة ذكرى ثورة ٢٥ يناير، لا نريد أحدًا يستعدي أحدًا على أخيه، أو يظهر قوته عليه، لماذا تعتبر نفسك عدوًا لي؟ أنا لستُ عدوك ولستُ عدوي، أنت أخي وأنا أخوك، الأخوة تقتضي أن يتضامن الجميع، كما قال النبي ﷺ: «المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم»^(١)، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا». وشبَّك النبي ﷺ بين أصابعه^(٢)، هذا ما نريده من الإخوة المصريين في ذكرى مرور عامين على ثورة يناير.

ثورة سوريا:

بقيت كلمة أوجهها لإخواني في سوريا، صار للثورة السورية ما يقرب من السنتين، وهي صابرة مصابرة، مرابطة مجاهدة، لم تحمل سلاحًا، ما حملت بندقية، ولا حملت سيفًا، ولا حملت سكينًا، ولا حملت حجرًا، حتَّى الحصى لم تحمله، أطفال فلسطين كانوا يقاومون بالحجارة والحصى، لكن هؤلاء لم يكن معهم شيء، قاموا يعلنون أنَّهم يريدون الحرية والكرامة لأنفسهم ولشعبهم ولبلدهم.

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرجه: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود

في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

ولكن الحاكم المستكبر الجبار أبى عليهم هذا من أوّل يوم، وبدأ يقتلهم قتلاً: يقتل الرجال والنساء، يقتل الشباب والشيخوخ، يقتل الأطفال الرضع الصغار، الذين لا ريش لهم ولا جناح، يقتل هؤلاء جميعاً.. بشار الأسد وحزبه وجيشه، وطائراته وبوارجه، ومدافعه وراجماته، وكل ما يملك ممّا جمعه من أقوات الشعب السوري، ومن عُصاة أرزاقه، من قوت أولادهم اشتروا هذا السلاح من الروس.

والروس لم يفرطوا في الحكم السوري، وظلوا يؤيدون هذا الحكم بكل قوّة، يقتلون الشعب السوري، يقتلون الآلاف وعشرات الآلاف، حوالي خمسين ألفاً قُتلوا في هاتين السنتين، غير الذين سُجنوا والذين خُطفوا، والذين فُقدوا، كل هؤلاء من ضحايا الحكم السوري ومن وقف معه، وقف معه الروس والصينيون والإيرانيون ضد هذا الشعب.

وأحب أن أقول أيّها الإخوة: حينما أقول: الإيرانيين. لا أقصد الشعب الإيراني كله، أقصد الإيرانيين الذين تعهدوا بذبح الشعب السوري، بقتل الشعب السوري، الآلاف من الشعب السوري الذين قُتلوا، وأكثر منهم آلاف وآلاف عُوقوا، أصيبوا في أعينهم، وفي أيديهم، وفي أرجلهم، وفي أظهرهم، وفي أجسادهم، كل هؤلاء من ضحايا الزبانية من الإيرانيين، أكثر الشعب الإيراني ضد هؤلاء الظالمين، هم فئة لا يزيدون على اثني عشر في المائة من الشعب الإيراني الذين يؤيدون قتل الشعب السوري، ولكن الشعب الإيراني عامة ضد هؤلاء.

أنا زرت إيران أثناء الولاية الثانية للرئيس مُحَمَّد خاتمي؛ فرأيت أناساً غير هؤلاء، رأيت أناساً يؤمنون بالأمة الإسلامية، لا يؤمنون بالشعب الفارسي، ولا يؤمنون بأن أهل الشيعة يجب أن يغلبوا أهل

السنة، وأن يهزموهم في عقر دارهم، وأن يغزوهم في بلادهم، ما رأينا وقتها هؤلاء الذين يتسمرون ويتقوون بالمليارات؛ يأخذونها ليحاولوا أن يغيّروا عقائد الشعوب السنية في آسيا وأفريقيا، ليس هؤلاء الإيرانيين الحقيقيين، الإيرانيون الحقيقيون يقفون مع إخوانهم السنيين ضد هذا الحكم، أصبح سائقو سيارات الأجرة لا يقفون للباسي العمامة، لا يرحبون بهؤلاء الذين صاروا على هذا الغلو المستكبر، حتّى أصبحوا أعداء الناس؛ فعاداهم الناس!

ليس الإصلاحيون وحدهم؛ بل الإصلاحيون وغيرهم من الفئات الأخرى من السنيين وغير السنيين، من الزرادشتيين والمسيحيين، وكل من عدا هذه الفئة القليلة، التي أصبحت تعادي حتّى الشعب الإيراني نفسه، لماذا هذا أيّها الإخوة؟ لماذا تقتلون الناس؟ لماذا تدفعون المليارات ليقتل السوريون، وأمام الناس علناً وبوضوح، وفي الليل وفي النهار، وفي الصباح وفي المساء، وفي الحارات وفي الأزقة وفي الشوارع، في كل وقت وفي كل مكان، تقتلونهم عن طريق جيشكم وعن طريق شبّحتكم!

نحن نقف ضد هؤلاء، نحن مع الشعب السوري، وأقول: إنّ الشعب السوري سينتصر، والله سينتصر وعن قريب إن شاء الله، وسنصلي في المسجد الأموي. وأقول للعلماء المضللّين الذين فقدوا التوفيق والبصيرة، لم تعد عندهم بصيرة يستنيرون بها، ينظرون بها إلى الآفاق، عموا عن كل شيء، وللأسف يُحسبون من العلماء، أقول لهؤلاء: أفيقوا من سباتكم، اخرجوا من نومكم، اعرفوا الحقائق حولكم، إنّ الله لا يمكن أن يُبقي هذا الظلم أبداً، لا يبقى الله الظالمين أبداً الدهر، إنّ الله

لا بدّ أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وكما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(١).

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا،
اللهم اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا،
وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا،
اللهم اجْمَعْ كَلِمَةَ أَمْتِنَا عَلَى الْهُدَى، وَقُلُوبَهَا عَلَى التَّقَى، وَنَفُوسَهَا عَلَى
الْمَحَبَةِ، وَعَزَائِمَهَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ أَبْنَاءَ هَذِهِ
الْأُمَّةِ لِأَنْ يَلْتَقُوا عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، كَلِمَةِ الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ وَالْمَحَبَةِ وَالْإِخَاءِ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ انصِرْ إِخْوَتَنَا فِي سُورِيَا، وَانصِرْ إِخْوَتَنَا فِي مِصْرَ،
وَانصِرْ إِخْوَتَنَا فِي تُونِسَ، وَانصِرْ إِخْوَتَنَا فِي لِيْبِيَا، وَانصِرْ إِخْوَتَنَا فِي
الْيَمَنَ، وَانصِرْ إِخْوَتَنَا فِي الصُّومَالِ، وَانصِرْ إِخْوَتَنَا فِي فِلَسْطِينَ، وَفِي
الْأُرْدُنَ، وَفِي لُبْنَانَ، وَفِي الْعِرَاقَ، وَفِي إِيرَانَ، وَفِي السُّودَانَ، وَفِي كُلِّ
مَكَانٍ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَيْدِ الْعَامِلِينَ لِلْإِسْلَامِ، وَاجْعَلْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ
هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ هِيَ السُّفْلَى، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
مَطْمَئِنًّا سَخَاءً رِخَاءً وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا
فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلوة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٧)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نحن على ما كنا عليه نتحدث عن موضوعات القرآن الكريم، نحاول أن نعرف الموضوعات التي اشتمل عليها هذا القرآن، وهي مئات وآلاف الموضوعات، من هذه الموضوعات الملوك والحُكَّام الذين ذكرهم القرآن الكريم.

ذكرنا من هؤلاء الملوك الصالحين الذين أقاموا العدل في أوطانهم ومع شعوبهم، منهم مسلمون ومنهم غير مسلمين، القرآن ذكر لنا حتى غير المسلمين، ذكر لنا من الملوك الصالحين ذا القرنين، وذكر لنا من الملوك غير المؤمنين ملكة سبأ بلقيس التي وصفها الله بأنها تعمل بالشورى، ﴿قَالَتْ يَأْئِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، مع أنها ملكة حاكمة قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. إذا دخلوها فاتحين غالبين، وذكرنا من ذكرنا من أنبياء ملوك: داود وسليمان، وذكرنا طالوت، وهؤلاء الصالحين.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١ فبراير ٢٠١٣م.

فرعون مصر:

وذكرنا من الملوك الظالمين والطغاة الفاسدين فرعون، فهو المثل الأعلى في الظلم والطغيان والإفساد والعلو في الأرض، والإسراف والاستكبار، هذا هو فرعون، ونقصد فرعون الذي عاصر سيدنا موسى عليه السلام؛ لأن فرعون هو لقب لكل ملك مصري في فترة معينة، حكمت مصر ثلاثون أسرة فرعونية، وعاصر سيدنا موسى عليه السلام فرعوناً من هؤلاء، اختلفوا في اسمه، وأكثر الناس يقولون: إنه رمسيس الثاني، الذي عاش سبعة وستين سنة ملكاً. ومعقول أن يكون هذا هو الذي عاصر موسى من ولادته إلى أن أخذ الله فرعون وملاه.

كان فرعون ملكاً مستبداً وظالماً، وطاغياً وفاسداً، وعالياً ومسرفاً، ذكره الله مع الطغاة المفسدين، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٣﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿٦﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿٧﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴿٩﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]. جمعوا بين الطغيان والفساد، والطغيان: المجاوزة في الظلم، فهو تجاوز كل حد في ظلمه وطغيانه على الناس، وعلى حقوق العباد، ومع هذا الطغيان كان مفسداً، كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، هكذا كان فرعون، قال عنه ربنا: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الدخان: ٣١]. وعلوه في الأرض: شعوره بأنه أعلى من الناس، وأعظم من الناس، وأرفع من كل أحد آخر، والإسراف: هو التجاوز في النواحي المادية أكثر من غيرها، كما أن الطغيان هو التجاوز في النواحي المعنوية أكثر من غيرها، هو جمع بين هذا كله.

فرعون وهامان وقارون:

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَحَرُ كَذَابٌ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]. فرعون يُمثل الحاكمية المستعلية بنفسها على الله وعباده، وهامان هو وزير فرعون الذي يأمره بتنفيذ الأشياء فينفذها، والذي يوسوس لفرعون فيطيعه، فكان واسطة سوء بين فرعون وقومه في طغيانه وإفساده، ومع هامان الملاء من قوم فرعون، وهم أشرف الناس، وكبراء الناس: أصحاب الأموال، وأصحاب الجاه، ومن لهم منزلة وثروات وسلطة اجتماعية في الناس. وكان من هؤلاء قارون الذي يمثل الرأسمالية المتوحشة المتعاونة مع الملكية الطاغية!

عسكر فرعون وجنوده:

والجنود أيضًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]. حتّى إن بعض المفسرين كانوا يقولون: هم الأوتاد، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠]. بعضهم يقول: الأوتاد هي الأهرام. وبعضهم يقول: الأوتاد هم الجنود التي كانوا يشبهون الأوتاد المغروسة في الأرض. فهؤلاء مغروسون في الأرض، وهم مع فرعون لا يتخلون عنه، الله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

أول المطيعين هم هؤلاء العسكر، الجنود الذين كانوا أوتادًا له في تعذيب الناس، وفي إرغامهم على ما يأمر به فرعون، ولذلك أخذهم الله معه أخذ عزيز مقتدر، ﴿وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٩، ٤٠]، هؤلاء

الجنود كانوا مع هامان ومع الملأ، وهم الذين يمثلون القوة المادية التي تحمي فرعون.

قارون والرأسمالية الطاغية:

وأرسل الله موسى أيضًا إلى قارون، وانظروا قارون لم يكن من المصريين، ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]، فهذا إسرائيلي، ولكن انضم إلى هؤلاء الطغاة المستعبدین للإسرائيليين؛ ولهذا أرسل الله سيّدنا موسى ليحرر بني إسرائيل، ﴿فَأَرْسَلْنَا بِنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، فالذي ترك قومه، وبغى على قومه، وانضم إلى فرعون الظالم الجبار هو قارون، فكان قارون يمثل الرأسمالية المستغلة، الكانزة لمال الله عن عباده، هكذا اجتمعت الفرعونية والرأسمالية والهامانية السلطوية المستوزرة، اجتمع هؤلاء الثلاثة على هذا الظلم وهذا الفساد.

جاء موسى لهؤلاء برسالته يمثل الإرادة الإلهية، وقد رأينا سيّدنا موسى؛ حينما جاء إلى فرعون وأراه الآية الكبرى: العصا واليد، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]، وكان يوم السحرة الذي هُزم فيه فرعون، وآمن سحرته الذين جاء بهم من كل مدن مصر وقراها، جمع الآلاف منهم، وفي يوم الزينة: يوم عيد من الأعياد، وتجمعت الجماهير الغفيرة عشرات الآلاف من الناس، وأراد الله أن يثبت ذل فرعون أمام موسى؛ فخرّ هؤلاء السحرة، خبراء السحرة، كبراء السحرة، أعظم سحرة في مصر خروا ساجدين، ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ [الشعراء: ٤٦ - ٤٨].

وبعد انهزامهم أبى فرعون إلا أن يعاقبهم، وقال لهم: ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ
ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١]. ولم يرههم موسى من قبل،
فكيف يعلمهم؟ أنت الذي جئت بهم من مصر، وجاء موسى من الخارج
من مدين، ظل عشر سنين لم يعرف هؤلاء ولم يقابلهم، فأين يعلمهم،
وكيف يعلمهم؟ ولكن إذا غاب المنطق سمعنا كل هوس، فهكذا قال
فرعون، وقتل هؤلاء، قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبهم في
جذوع النخل، وقال: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]. أنا أم إله
موسى؟ ولقي هؤلاء السحرة ربهم راضين، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين:

وظل موسى وقومه وفرعون وملؤه يتناوشون، وأراد الله أن يثبت ضعف
فرعون، أن فرعون لا يملك شيئاً، هو إنسان ضعيف، فيه ضعف الإنسان،
﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، فابتلاه الله بأشياء عديدة، ﴿وَلَقَدْ
أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، السنين: القحط والمجاعة، تنقص
مياه النيل، ولا ينزل مطر؛ فتكون مصر في بلوى، ﴿وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، أحياناً النيل ينقص وأحياناً الثمرات تقل،
هكذا عاقبهم الله عدة سنين، ثم أرسل عليهم عذاباً بعد عذاب، أرسل
عليهم الطوفان ماء يغرقهم، وأرسل عليهم الجراد يأكل زروعهم وثمارهم
وخضرواتهم، والقمل نوع من الحشرات وهكذا، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، هذه أشياء تأتي
تأكل كل ما عندهم، ولا تبقي لهم شيئاً، وتفسد عليهم حياتهم، ويضطرون
إلى الذهاب في كل مرة إلى موسى ليدعو ربه، يقولون: يا موسى، ادع لنا

ربك يكشف عنا العذاب وسنؤمن بك، وسنرسل معك قومك، ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، يأخذهم موسى على ما يقولون، ويدعو ربه أن يكشف عنهم العذاب، فيكشف الله العذاب عنهم؛ فلا يؤمنون بالله ولا يرجعون إليه، ولا يرسلون بني إسرائيل مع موسى، هذا ما جربه موسى والمؤمنون معه في سنين عدة.

ذروني أقتل موسى:

ضاق فرعون ومن معه بموسى عليه السلام، وقال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. انظروا إلى فرعون يخاف أن الوثنية تتبدل إلى التوحيد، ما أحسن هذا وما أفضله أن يعود الناس إلى توحيد الله؛ بدل أن يعبدوا الأشياء: يعبدوا عجل أبيس، أو يعبدوا الشمس أو القمر، أو يعبدوا الشيطان، أو يعبدوا ما يعبدون، ويخاف فرعون أن يظهر موسى في الأرض الفساد، أمّا فرعون فكان يقول عن نفسه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. يا عجباً! فدعا فرعون قومه أن يتركوه يقتل موسى حتى لا يبدل الدين، ولا يظهر في الأرض الفساد، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

مؤمن آل فرعون:

وهنا ظهر رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه، انظر فرعون في بيته أسلمت امرأته، أقرب الناس إليه آمن بموسى، وحاول أن يعذبها لترجع عن دين موسى فلم ترجع، قالت له: لو قطعني إرباً إرباً

ما ازددت في الله إلّا حبًا حبًّا. وقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]. آمنت امرأة فرعون، وآمنت ماشطة فرعون التي تصفف الشعر لزوجته وبناته.

وآمن رجل من آل فرعون، من أسرة فرعون، كان يكتنم إيمانه، لم يظهر هذا الإيمان، أظهره في الوقت المناسب، حينما أراد فرعون أن يقتل موسى ظهر هذا الرجل وقال: ﴿أَفَقُتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ [غافر: ٢٨]، الكاذب كذبه سيلقيه في داهية، لا بد أن يهلكه كذبه، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، يعدكم في الدنيا والآخرة، وأقرب شيء ممّا يعدكم به يكون في الدنيا، فخافوا على دنياكم، خافوا على ملككم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ أَلْمَلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴿[غافر: ٢٨، ٢٩]. قال هذه المواعظ القوية، فقال فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. يا عجبًا! فرعون يهدي إلى سبيل الرشاد، وموسى يظهر في الأرض الفساد! انظروا إلى الأمور كيف تختلط وتلتبس، أو كيف يُلبَّسها هؤلاء الظالمين على شعوبهم.

وظل مؤمن آل فرعون يحذر القوم ممّا حدث لأناس من قبل، قوم نوح وعاد واثمود وغيرهم؛ ممن أخذهم الله ولم يبق لهم من باقية، وأن الله تعالى بالمرصاد لكل ظالم وكل طاغية، هكذا ظل مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه، ولم يظهره إلّا عندما اقتضى الموقف أن يظهره؛ فقال ما قال.

وظهر في هذا الوقت هامان وزير فرعون، وقال له فرعون: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصاص: ٣٨]. اعمل لي بناء من الأجر،

فالطين حين توقد عليه يتكون منه طوب أحمر، فأوقد على الطين، وابن من الطوب صرخاً عاليًا؛ لأطلع إلى إله موسى، كأنه حين يعلو قليلاً سيرى إله موسى! وإله موسى فوق الكون كله، وفوق العالم كله.

وظل مؤمن آل فرعون يدعو الناس ويقول: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْنِ السُّرْفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أُمُورِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٣٨ - ٤٥].

حين كشف هذا الرجل عن إيمانه، وأصبح يعلن عن نفسه، ويدعو إلى ما دعا إليه موسى في كل مكان؛ فأصبح خطرًا على فرعون، وأراد فرعون أن يقتله، ولكن الله نجاه منه، ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٤٥، ٤٦]، أدخل الله فرعون النار في الدنيا قبل أن يأتي يوم القيامة، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، الغدو في أول النهار، والعشي في آخر النهار، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

فأغرقناه ومن معه جميعا:

هكذا أذهب الله فرعون، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، بعض المفكرين الجزائريين قال: إن فرعون نجا ولم يغرق، لأن ربنا قال: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]. مع أن الآية ظاهرة (ببدنك)، أبقى بدنه ليراه الناس أمامهم ويعتبروا، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾، أمّا فرعون فهلك كما قال الله: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]. هل هناك أوضح من هذا؟ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ * وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ * [هود: ٩٨، ٩٩]، فهو يقدم قومه يوم القيامة، وهو غرق ومن معه جميعا، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]، فهذا لا شك فيه.

هكذا ذهب فرعون بخطاياہ وبطغيانه وفساده وإسرافه وعلوه في الأرض، واستكباره على الله وعلى الناس، ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٦، ١٣٧].

وهكذا تكون نتيجة كل حاكم ظالم، لا بد أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، يمهل ولا يمهل، يمكن أن يتركه عشر سنين، عشرين سنة، أربعين سنة، ثم يأتي عذاب الله، يأخذ الله الظالمين، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، يأخذهم هذا الأخذ الأليم الشديد؛ فلا يبقى لهم من باقية.

نسأل الله وَعَجَّلْ أَنْ يأخذ كل ظالم مفترٍ على الله وعلى عباد الله، أن يأخذ الظالمين المستبدين، العابثين المفسدين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون: أخذ عزيز مقتدر؛ إِنَّه على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ضرورة نبذ العنف في مصر:

لا بد لنا أن نتحدث عن مصر، أراد الله بمصر خيرًا، وأراد بعض النَّاس بها شرًّا، ولكن الله ﷻ سيحفظ مصر من شر الأشرار، وسيبقيها لخير الأ خيار.

أراد بعض النَّاس أن يستغلوا الذكرى الثانية لثورة مصر في ٢٥ يناير ٢٠١١م. هذه الثورة العظيمة التي بقيت ثمانية عشر يومًا، ولكن كل يوم فيها بسنة، تعلّم النَّاس فيها أشياء كثيرة: أنّ الأوطان غالية على عباد الله، وأنّ الوطن ينبغي أن يفديه النَّاس بأرواحهم ودمائهم وأموالهم.

حقيقة الشعب المصري:

لم يبخل المصريون على وطنهم بشيء، قام الرجال وقام النساء، وقام الشباب وقام الشيوخ، قام المتعلمون وقام الأميون، قام النَّاس في المدن وقام النَّاس في القرى، في الأرياف في بلاد الفلاحين، كل مصر قامت لتدفع عن بلدها، اجتمع النَّاس في ميدان التحرير، هذا الميدان الذي سجل هذه الثورة، كان النَّاس كلهم أسرة واحدة، المسلمون والمسيحيون، الليبراليون والإسلاميُّون، القرييون والبعيدون، كل النَّاس في هذا الصعيد: في ميدان التحرير، وقف المصريون وقفه رجل واحد، على قلب رجل واحد، كل واحد يحاول أن يدفع عن أخيه، أن يبذل نفسه، وأن يقدم ماله، وأن يقدم راحته من أجل إخوانه، كانوا يقتسمون القليل من الزاد.

كان الواحد منهم يتعفف ليأكل أخوه، يبيت الليل وليس في بطنه لقمة ليشبع أخوه، يسهر الليل كله لينام أخوه ويرتاح، يتعرض لرصاص القناصة وهؤلاء الذين يوقفونهم فوق الأسطح ليصيبوا الناس، يتعرض لهذه الرصاصات ليفدي أخاه، قال أحد الصحفيين: رأيت مصر حقاً حينما رأيت أحد المَسيحيين يصب الماء للمسلم ليتوضأ، كانت مصر كلها رجلاً واحداً وقلباً واحداً، فما الذي جرى للمصريين؟!

كنا في وقت من الأوقات إخوة متحابين، رأيت هذا حينما خطبت في ميدان التحرير، وحضر حوالي خمسة ملايين لم يسمعوا كلهم الخطبة؛ لأن هناك أناس بعيدون جداً، وأناساً تحت الأرض في محطات المترو، وأناساً ورائي وليسوا أمامي، رأيت هؤلاء أبناء مصر متأخين، ما الذي جعل هؤلاء الإخوة المتحابين، الذين يؤثر كل منهم أخاه على نفسه، ويقدمه على حاجته، ما الذي أفسد هذا؟! إنهم شياطين الإنس والجن، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

الفساد ترك وراءه مرافق غير صالحة:

وهكذا فسدت الأمور وأصبح المصريون يكيّد بعضهم لبعض، ودخل في ذلك الذين لا يريدون بمصر أي خير، دخل من يسمونهم الفلول من أتباع النظام السابق الذي أفسد البلاد كل الإفساد، لم يترك في البلد شيئاً صالحاً، كل شيء أفسدوه، يقولون: خمسة وثمانون في المائة من السكك الحديدية: القطارات، والأرصفة، والمحطات، وكل ما يحتاجه الناس في هذا المرفق غير صالح!

وهذا مَثَل من الأمثلة، كل شيء، الصرف الصحي يحتاج إلى مليارات حتّى تصلحه، العشوائيات منتشرة في مصر كلها، ليس عندها مياه ولا صرف ولا كهرباء منتظمة ولا خدمات، كل هذا يحتاج إلى عشرات المليارات، هذا النظام الفاسد لم يكتفِ بهذا؛ بل يريد أتباعه أن يفسدوا النَّاس أكثر لتفسد البلد، البلد لا تعمل، كيف تعمل البلد وتنتج وهي غير مستقرة، لا يمكن أن ينتج النَّاس إلّا في حالة استقرار، إذا لم تستقر البلد لا تدخل الأموال إلى البلد ولا الملايين إلى البلد ولا يعمل الناس!

عندنا عشرون مليون عاطل، كيف نُشغل هذه الملايين من العاطلين؟ عشرون مليون جائع، كيف نطعم هؤلاء الجائعين من المواطنين؟ عشرون مليون ضائع ليس لهم بيوت يسكنونها، كيف نُسكّن هؤلاء؟ هناك عرايا، هناك أناس لا يجدون الحياة العادية فكيف يجدونها؟ البلد تحتاج إلى إنتاج، أن نُشغل الناس، كيف نُشغل النَّاس إذا ظل هؤلاء يحاربون في الشوارع، يحاربون أنفسهم؟ الآخرون لا يريدون أن يحاربوا أحداً، لكن هؤلاء يخلقون المحاربين!

لا يمكن لبلد أن تصلح ما فسد، وأن تبني ما تهدّم بهذه الطريقة أبداً، لا بدّ للنَّاس أن يعودوا إلى أنفسهم، إلى رشدهم، أمّا أن يظل يضرب بعضنا بعضاً، ويقتل بعضنا بعضاً؛ فهذا ليس من عمل العقلاء، ولا من عمل المؤمنين، ولا من عمل أهل الحق والخير أبداً، الذين ظهروا في مصر يحاولون إشعال النَّار في كل مكان، لماذا تُشعل النَّار؟!

أناس يلبسون أسود في أسود ويسمونهم (البلاك بلوك)، المثلثون أصحاب القناع الأسود، لا يعرفهم الناس، الله تعالى يقول عن نوع من الناس: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وهؤلاء ليس لهم سيما، هؤلاء

يفسدون في الأرض، ويأخذون بعض الأشياء، أخذوا بعض السيارات وبعض الأشياء بالملايين، ولم يستطع أحد أن يعرف من هم، أمر النائب العام أن يُقبض على هؤلاء، فلا يمكن أن تقوم البلد على قدميها ويظل هؤلاء مستترين يفعلون ما يفعلون، لا بدّ أن يظهروا للناس حتّى تُعرف حقائقهم، اكشف وجهك، لماذا تغطي نفسك؟ لماذا لا تعمل في النور ليراك الناس ويعرفونك؟ هذا هو الواجب.

إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ:

وبدأت موجة في مصر، جاءني بعض الشباب وقالوا: نريد أن ندعو إلى ترك العنف في مصر. قلت لهم: أنا معكم بيدي وبلساني وبقلبي وبكل ما أستطيع، نحن نريد منع العنف في مصر، نحن نحب الرفق كما علّمنا، النبي ﷺ.

حينما دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ وقالوا: السّام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السّام واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت: وعليكم»^(١). إذا كانوا يقصدون السّام وهو الموت والهلاك، ولا يقصدون السلام فعليهم ما قالوا.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرِّفْقَ، ويعطي عليه ما لا يُعطي على العُنف»^(٢). وقال ﷺ: «ما دخل الرفق في شيءٍ إلّا زانه، ولا انتزع من شيءٍ إلّا شانه»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٣)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٣٠٧)، عن عائشة.

وقال الله تعالى لرسوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
الرفق هذا ما يريده الإسلام، لا يريد العنف، بأن تعامل الناس كل الناس بالشدائد، هذا لا يجوز.

ولذلك قلت لهؤلاء الشباب: اذهبوا إلى الأزهر. قالوا: ذهبنا، وأخذنا موثقاً من الأزهر، شيخ الأزهر في الصعيد، وسيأتي يوم الخميس القادم. قلت: كونوا معه، وظلوا مع الأزهر؛ لتصلوا إلى وثيقة يلتزم بها أبناء مصر جميعاً. وظل هؤلاء الشباب: عبد الرحمن يوسف، ووائل غنيم، ومصطفى النجار، شباب من المخلصين الذين وهبوا أنفسهم لله، وأبوا إلا أن يوقع الأزهر على هذه الوثيقة ويعلنها على الناس، وقبلها الناس جميعاً.

العنف مرفوض:

العنف مرفوض، لا يجوز أن يُستعمل العنف في مصر أبداً، هؤلاء الذين يستخدمون العنف يقابلهم آخرون بالعنف، والعنف يلد عنفاً، إلى متى نظل في هذه الدوامة التي لا تنتهي، مصر أيُّها الناس في حاجة إلى هدوء، في حاجة إلى أناة، في حاجة إلى رحمة، في حاجة إلى أن تبني نفسها، في حاجة إلى أن يأتي إليها الناس ليعمل الجميع في خير مصر، وإلا ظلت مصر تنزف وتنزف حتى تنهار، حرام عليكم أيُّها الناس.

أدعو جميع الناس في مصر: جبهة الإنقاذ، وكل المصريين أيّاً كان موقعهم وأيّاً كان مذهبهم، وأيّاً كان اتجاههم: مسلمين أو غير مسلمين، مسيحيين أو غير مسيحيين، من أصحاب الأديان أو من لا دين لهم، أدعوهم جميعاً أن يقفوا صفّاً واحداً، لا بدّ أن نقف جميعاً صفّاً واحداً؛

حتّى ينتظم الأمر في مصر، وحتى تستطيع مصر أن تُعوّض ما فاتها، فات مصر الكثير، خسرت مصر المليارات، حرام عليكم أيّها الناس، حرام عليكم أيّها الهدّامون، حرام عليكم أن تظّلوا هكذا، اصطَلحوا على الله، اصطَلحوا على أنفسكم، ليأخذ كل منكم يده ويضعها في يد أخيه، نحن كلنا إخوة، نحن كلنا أبناء بلد واحد، وشعب واحد، مصلحتنا واحدة، هدفنا العظيم واحد، نريد أن نبني مصر، ولن يمكن أن تبني مصر بالعنف أبداً.

هذا ما أدعو إليه، الرفق واللين، وكل من يدعو ضد هذا يجب أن يقف الجميع ضده، من يقف ضد الرفق، من يساعد العنف، من يدعو إلى العنف، من يعمل بالعنف، من يرحب بالعنف يجب أن يُرفض من الشعب كله، لا نريد عنفاً، نريد سلاماً، السلام والمحبة والأخوة هو الذي تُبنى به مصر، ويُرفع به شأن مصر، وتعود إلى ما نريده وما يريده أهل الحق والخير لها، تصبح بلداً عظيماً من بلاد الدُّنيا، والله إنّها لقادرة، وإنّ المصريين لقادرون؛ إذا أخلصوا لله وصحت نياتهم، وتركوا هذه الأمور التي تملأ قلوبهم ضغناً وحقداً، لماذا الحقْد؟ الحقْد ليس وراءه إلا الشر، والصلح وراءه الخير، فعلينا أن نصلح بين الناس، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. هذه كلمتي عن مصر.

إخوتنا في سوريا:

أمّا كلمتي عن إخوتنا في سوريا؛ فإنني أسأل الله تبارك وتعالى أن يمدّهم بروح من عنده، وأن يؤيّدهم بجند من جنده، وأن يصلح أمرهم، وأن يجمع بينهم، وأن يسوي أمورهم على ما يحب ويرضى، وأن يذل

أولئك المستكبرين في الأرض، الجبارين المستبدين، الذين يأكلون حقوق الناس، ويأخذون أموالهم، ويضربونهم بطائرات الميج، يقتلون الناس كل يوم بالعشرات والمئات، والله سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، الله سُبْحَانَهُ لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية، سينتقم للسوريين، سينتقم للجيش السوري الحر، وسيأخذ جيش بشار الأسد وعصابته أخذاً أليماً شديداً، سنرى فعل الله بهم إن شاء الله، وأنا مستبشر بالخير لسوريا إن شاء الله، ستنتصر سوريا وسينتصر أهلها، ونستبشر ببلد خامس ينضم إلى الربيع العربي المؤمن، الذي نسأل الله أن يحفظه ولا يضيعه، يحفظ هذا الربيع العربي ويحفظ أهله، ويحفظ رجاله ونسائه، وشبابه وشيوخه وأطفاله، ومسلميه ومسيحييه، وعربه وأكراده، وكل الفئات فيه، أن يحفظهم الله جميعاً.

اللهم هبّ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم خذ الظالمين الجبارين أخذاً أليماً شديداً.

اللهم هبّ الخير للعاملين والمجاهدين في سبيلك، في سوريا وفي مصر، وفي كل البلاد يا رب العالمين، اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهداهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينة، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وفي الأردن، وفي لبنان، وفي العراق، وفي إيران، وفي سائر البلاد يا رب العالمين، اللهم انصر إخواننا

في تونس وفي ليبيا، وفي اليمن وفي الصومال، وفي بنجلاديش وفي
ميانمار، وفي باكستان وفي أفغانستان، وفي ماليزيا وفي إندونيسيا، وفي
مالي وفي نيجيريا، وفي كل بلاد الإسلام يا ربَّ العالمين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي
السفلى، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد
المسلمين، ربَّنَا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذِينَ سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في
قلوبنا غلاً لِلَّذِينَ آمنُوا؛ ربَّنَا إِنَّكَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، ربَّنَا اغفرْ لنا ذنوبنا،
وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصُرْنَا على القوم الكافرين.

* * *



المال والغنى في القرآن الكريم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَا زِلْنَا فِي مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ تَحَدَّثْنَا عَنْ مَوْضُوعِ الْمَلِكِ وَالْحَكَمِ، وَالْمُلُوكِ وَالْحُكَمَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْ أَحْسَنَ وَمِنْ أَسَاءَ، وَمِنْ عَدْلٍ وَمِنْ ظُلْمٍ، وَمِنْ أَصْلَحَ وَمِنْ أَفْسَدَ، كُلُّ سِيْلَقِي جَزَاءِ مَا عَمِلَ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وَالْيَوْمَ نَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْضُوعٍ آخَرَ، عَنِ الْمَالِ وَالْغِنَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مِنَ النَّاسِ مَلُوكًا وَحُكَّامًا جَعَلَ مِنْهُمْ أَغْنِيَاءَ لَدَيْهِمُ الْمَالِ، وَفُقَرَاءَ لَا يَجِدُونَ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا، أَوْ يَجِدُونَ مِنْهُ الْقَلِيلَ، هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المال في الحقيقة هو مال الله:

وَنَظَرِيَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَالِ أَنَّ الْمَالَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ مَالُ اللَّهِ، وَالْإِنْسَانِ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدَوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٨ فَبْرَايْرِ ٢٠١٣ م.

مَجْرَد مُسْتَخْلَفٍ فِي هَذَا الْمَالِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. مُسْتَخْلَفٌ، أَيُّ جَعَلَهُ اللَّهُ خَلِيفَةً فِي هَذَا الْمَالِ، هُوَ نَائِبٌ لَصَاحِبِ الْمَالِ، صَاحِبِ الْمَالِ هُوَ اللَّهُ، مِنَ الَّذِي خَلَقَ الْمَالُ؟ هَلِ الْإِنْسَانُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمَالُ؟ أَنْشَأَ الْمَالُ؟ لَا، أَنْتَ لَمْ تَخْلُقِ الْمَالُ، اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ.

إِذَا نَظَرْنَا إِلَى الزَّرَاعَةِ، الْمَالِ الْمَزْرُوعِ، مَاذَا يَصْنَعُ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الْمَالِ؟ عِنْدَهُ حُبُوبٌ، هُوَ لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ الْحُبُوبَ، هَذِهِ الْبُذُورُ صَالِحَةٌ لِلْإِنْبَاتِ، يَأْتِي الْفَلَّاحُ أَوْ الزَّارِعُ وَيَضَعُ الْحَبَّةَ فِي الْأَرْضِ، وَالْفَلَّاحُ لَمْ يَخْلُقِ الْأَرْضَ، الْأَرْضُ خُلِقَتْ قَبْلَهُ، اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْحَبَّ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ، ثُمَّ يَرْوِيهَا الْفَلَّاحُ بِالْمَاءِ، وَهُوَ لَمْ يَخْلُقِ الْمَاءَ، إِمَّا أَنْ يَأْتِيَ الْمَاءُ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا، أَوْ يَأْتِيَ مِنَ الْأَرْضِ عَيْنًا أَوْ بئْرًا، أَوْ يَأْتِيَ مِنَ الْأَنْهَارِ تَجْرِي، كُلُّ هَذَا لَمْ يَصْنَعْهُ الْإِنْسَانُ، اللَّهُ هُوَ الَّذِي صَنَعَ هَذَا كُلَّهُ، وَهَذَا الزَّرْعُ يَحْتَاجُ إِلَى ضَوْءٍ مِنَ الشَّمْسِ، مِنَ الَّذِي خَلَقَ الشَّمْسَ؟ هَلِ أَنْتَ الَّذِي خَلَقْتَ أَيَّ شَيْءٍ فِي الشَّمْسِ؟ مَا خَلَقْتَ شَيْئًا فِيهَا، وَلَا تَعْرِفُ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَيَحْتَاجُ الزَّرْعُ أَنْ يَمْتَصَّ عُنَاصِرَ مِنَ الْهَوَاءِ، مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ هَذِهِ الْعُنَاصِرُ فِي الْهَوَاءِ؟ مِنَ الَّذِي خَلَقَهَا؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا.

هذا صنع الله:

وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥]. هَذَا جَعَلَ اللَّهُ، صُنِعَ اللَّهُ، لَيْسَ صَنَعَكَ، لَمْ تَعْمَلْ يَدُكَ فِي هَذِهِ الزَّرَاعَةِ

الكون كله، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الباقية: ١٣]، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ [لقمان: ٢٠]، كل النعم التي من حولك سخرها الله تعالى للإنسان، لا تظن أن الإنسان هو الذي هيأ هذه النعم وسخرها، الذي سخرها هو خالقها، هو الذي وضعها في الأرض وهيأها ليأكل الناس منها وبسببها، ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك: ١٥].

من الذي أعطاك هذه الأرض وسخرها لتزرعها؟ لو خلقها الله أرضاً كلها ذهب فبماذا يُفيدك الذهب؟ هل ستأكل الذهب؟! الذهب الذي يعتبره الناس شيئاً عظيماً جداً، لو كانت الأرض كلها ذهباً لا تغني الإنسان شيئاً، لو كانت كلها جواهر فبماذا تصنع الجواهر؟ ولكن الله ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ﴾، تستجيب لما تطلبه منها، ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾، في حناياها وفي جوانبها، مشرقاً ومغرباً، وشمالاً وجنوباً، ﴿ وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾، التمسوا الرزق في خبايا هذه الأرض.

كل ما حولك، ما فوقك وما تحتك، وما عن يمينك وما عن شمالك وما بين يديك ومن خلفك، كل هذا خلقه الله ﷻ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، السفينة وهي شيء ضخم يصنعه الإنسان، ويتركه يسير في البحر بأمر الله ﷻ؛ حسب قوانين الله، وسنن الله التي لا تتخلف. علم الإنسان كيف يستنبط هذه القوانين، ويستخرج هذه السنن ويتعامل معها.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، التي تجري بالمياه العذبة ليشرب منها الإنسان، ويشرب منها الحيوان، ويشرب منها النبات،

وتُسقى منها الأرض المزروعة والحدائق الغناء، كلُّ هذا من مياه الأنهار، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، سَخَّرَ اللهُ لِلْإِنْسَانِ هذه النجوم والكواكب العالية، الَّتِي لم يستطع الإنسان الوصول إليها إِلَّا بصعوبة، وصل إلى القمر بما علمه الله، وقد علم الإنسان ما لم يعلم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، الزمنَ كله بليله ونهاره، وصباحه ومساءله، وأنواره وظلامه.

نَعَمُ اللهُ لَا تُحْصَى:

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، نعم الله لَا تُحْصَى، ولكنَّ الإنسان ظلوم كفَّار، لَا يستطيع الإنسان أَنْ يُعَدَّ نِعَمَ اللَّهِ ﷻ عليه: في بدنه وفي نفسه، وفي ماله وفي ولده، وفي زرعهِ وفي حيوانه، وفي كلِّ ما يملك، أنعم الله عليه نعمًا لَا تُحْصَى، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

هداية الإنسان لأنواع النقود:

من أجل هذا نقول: إِنَّ المالَ الَّذِي يملكه الإنسان هو مال الله وَجَبَّ، كل المال، انظرْ مال التجارة أو النقود الَّتِي تملكها، كانت نقود النَّاسِ قديمًا من الذهب والفضَّة، من الَّذِي خلق الذهب والفضَّة؟ الله هو الَّذِي وضع الذهب والفضَّة في الأرض بمقادير معيَّنة، لأنَّهما لو كانا بكثرة لم يصلحا نقودًا، ولذلك لَا تصلح الحجارة نقودًا، لَا بدَّ أَنْ يكون شيئًا قليلًا، وَلَا يُحصل عليه بسهولة، فمن أجل ذلك استخدم النَّاسُ هذه المعادن نقودًا، ومنهم من يكثرها، ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

الآن استخدم النَّاس بدل الذهب والفضَّة: الأوراق الرسميَّة المعتمدة، بنظام مُعَيَّن وقوانين مُعَيَّنة تحميها، وأصبحت هي التي يتعامل بها الناس، كيف يحصل الإنسان على هذه النقود؟ لا بدَّ من عمل، لا بدَّ أن يعمل الإنسان حتَّى يحصل على النقد الذي يشتري به ما يحتاج إليه، عمل الإنسان بكدِّ يمينه، وعرق جبينه، وجهد عقله وتفكيره، وأعضائه وأعصابه، يجتهد أن يعمل بكل ما يملك حتَّى يحصل على هذا المال، ثمَّ يشتري الإنسان بماله ما عند غيره، ويبيع لغيره ما عنده ممَّا لا يحتاج إليه، ويتبادل النَّاس هذه المنافع.

الله هو الَّذي مَكَّن النَّاس من هذا، أعطاهم من القدرة العقليَّة، والقدرة البدنيَّة، والقدرة النفسيَّة: ما يستطيعون بها أن يحصلوا على هذا المال، فالمال في الحقيقة هو مال الله، والإنسان موظف في مال الله، مستخلف فيه بلغة القرآن، مثل أمين الصندوق، إذا عمل الإنسان أمين صندوق لهيئة، أو لجمعية معينة أو لإدارة معينة؛ هل يملك هذا المال؟ لا يملك منه شيئاً، هو أمين صندوق، صاحب هذا الصندوق أو أصحابه هم الَّذِينَ يملكون هذا المال، أمَّا هو فموظف؛ عليه أن يدير هذا الصندوق بأمانة وكفاءة، ولكنَّه ليس مالك هذا الصندوق.

تملك الإنسان هو تملك مجازي:

الله ﷻ ملَّكنا اسميًّا هذه الأموال، ولكنَّها في الحقيقة ليست أموالنا، هي مال الله، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]. المال مال الله، أنت تُعطي الفقير والمستحقَّ من مال الله، وليس من مالك، الله الَّذي آتاك هذا المال، لا بدَّ أن تعرف هذا، لا تظنُّ أنَّك أصبحت صاحب هذا المال، إذا اعتقدت أنَّك مالك هذا المال، وأنَّ

النَّاس عبيد عندك؛ فأنت مخطئ، وأنت جاهل بما تعتقد أنك مالكة. الله هو الَّذي ملَّك هذا المال، وهو صاحبه ومالكة الحقيقي، وهو الَّذي ملَّك إياه أو مكَّنك منه، أي أعطاك حق التصرف في هذا المال، تتملكه بالحيابة الرسمية، وتورثه لأولادك وأهلك وورثتك؛ بنظام وقانونٍ وشرعٍ معلوم، فلا بد أن تعرف هذه الحقيقة.

لله تعالى أوامر تتعلق بالمال:

وأنت في هذا المال مُقيّد بأوامر الله تبارك وتعالى، الله ﷻ لم يُعطِ الأغنياء المال ليصبحوا هم أصحاب الحق فيه، يعطونه من يشاءون ويمنعونه من يشاءون، لا، إنك مُقيّد بأمر الله ونهيه في هذا كُلِّه، أنت مُقيّد في كسبه، فليست حرًّا في أن تكسب هذا المال، من أيِّ مصدرٍ شئت، وبأيِّ طريقةٍ شئت، لا، أنت مُقيّد بحكم الشرع الَّذي يقول لك: هذا حلال؛ فلك أن تكسبه، وهذا حرام؛ عليك ألا تأخذه. فلا بد أن تتحرَّى الحلال والحرام.

تحري الحلال، واجتناب الحرام في الأموال:

والمال من الأشياء التي يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة، كما قال النبي ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة؛ حتَّى يُسألَ عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»^(١). يُسأل سؤالين أساسيين في المال: من أين اكتسبه؟ من أين أتيت به؟ من الرشوة؟ من السرقة؟ من الظلم

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٥٥٤)، وأبو يعلى (٧٤٣٤)، وقال محققه: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي

للناس؟ من أكل أموال النَّاس بالباطل؟ من الحرام أم من الحلال؟ وكل واحد يعرف الحلال من الحرام، «الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ»^(١)، كما قال النبي ﷺ.

حتى قال بعض العلماء: إنَّ الهرة أو القطّة تعرف الحلال من الحرام، لو جاءت إليك قطّة وأنت تتناول الطعام أنت وأولادك، وأعطيتها قطعة من اللحم تأكلها بجوارك وهي مطمئنة، أمّا لو خطفت قطعة فتأخذها وتجري، لماذا تركض؟ لأنّها تعلم أنّها أخذتها بغير حق، ولذلك تهرب من العقوبة، تعرف أنّها لا تُترك، القطّة تعرف الحلال من الحرام؛ فما بالك بالإنسان؟!

الإنسان يعرف ما هو حلال وما هو حرام، وهناك أشياء يشبه الإنسان فيها فهي من الحلال أم من الحرام؟ يختلط فيها الأمر، يحتاج أن يسأل العلماء عن الحكم في هذا المشتبه فيه، ولكن هذه ليست إلّا القليل من الأمور، معظم الأمور الحلال فيها بيِّن، والحرام فيها بيِّن.

ومن هنا كان على الإنسان أن يتحرّى رزقه وهو راضٍ عنه، طيب النفس به، يأكل المال وهو حلال، لم يأخذه من أحد، لم يسرقه، لم يختلسه، أخذه من حقه، فالمال إذا أخذ من حقه كان هذا أمراً طيباً.

بعض النَّاس يأخذه من حرام ولا يبالي، كما جاء في صحيح البخاري أنّ النبي ﷺ قال: «يأتي على النَّاس زمانٌ لا يبالي المرءُ ما أخذ منه: أمنَ الحلال أم من الحرام»^(٢). مثل زماننا هذا والعياذ بالله، كثير من النَّاس لا يبالي أجاءت تجارته من حلال أم من حرام، ينمي ماله بالربا

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَلَا يَبَالِي، ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]،
﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

من أين اكتسبه، وفيه أنفقه:

ولكن المؤمن الذي يخشى الله تبارك وتعالى، ويخشى حسابه في الدار الآخرة، لا بدّ أن يجيب على سؤاله: من أين اكتسبت هذا المال؟ وفيه أنفقته؟ يقول: يا رب أنا اكتسبته من تجارة حلال، عملت بنفسي، أو شاركت صاحبي، أو شاركت بنكا إسلاميًا، وفي البنك الإسلامي رقابة شرعية تقول لأهل البنك: هذا حلال وهذا حرام. ولا بدّ لأهل البنك أن يتبعوا هذه الرقابة، لا يجوز لهم أن يخالفوا الرقابة الشرعية في أي أمر من الأمور، لا بدّ أن يجيب: من أين اكتسبت هذا المال؟ ولا بدّ أن يكتسبه من حلال.

وكما أنّ الله ﷻ قيّد صاحب المال أن يأخذه من حله، كذلك قيّده أن ينفقه في حقّه، فيما يجب عليه، لم يُجز له أن يمسك ماله ويخل به عمّن يستحقّه، جاء المال لينفع الناس، لم يجزّ لتمسكه وتكنازه، كانوا قديمًا يضعونه تحت البلاط، وصاروا الآن يضعونه في البنوك وهي ذات أرقام سرّيّة، لا يجوز أن تُمسك المال وتكنازه عن أصحابه.

الحقوق المالية في المال:

فرض الله ﷻ الزكاة على الإنسان، والزكاة هي أوّل الحقوق في المال، وليست آخر الحقوق، ففي المال حق سوى الزكاة، الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾. قال: أتى المال. ثم قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة. إذن إيتاء المال غير إيتاء الزكاة، ولذلك قالوا في هذه الآية وأمثالها: إنَّ في المال حقًّا سوى الزكاة.

هَبْ أَنْ الزَّكَاةَ اسْتُحِقَّتْ عِنْدَكَ فِي أَوَّلِ شَهْرٍ مُحَرَّمٍ وَأَخْرَجْتَهَا، ثُمَّ بَعْدَ أَشْهَرٍ أَصَابَتْ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، وَنَزَلَتْ بِهِمْ نَازِلَةٌ، وَجَاءَتْهُمْ جَائِحَةٌ مِنْ جَوَائِحِ السَّمَاءِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ لَا يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ؛ أَتَعِيشُ أَنْتَ فِي مَالِكَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ جِيَاعٌ؟ الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ، وَجَارُهُ إِلَى جَنْبِهِ جَائِعٌ»^(١). لَسْتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذْنِ إِذَا شَبِعْتَ وَجَارَكَ جَائِعًا، فَهَنَّاكَ أَشْيَاءُ يَفْرُضُهَا الْإِسْلَامُ عَلَى الْوَقْتِ، فَالزَّكَاةُ هِيَ الْوَاجِبُ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ حِينَئِذَا لَا تَكُونُ هُنَاكَ وَاجِبَاتٌ فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى، افْرَضْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اعْتَدَى عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ، وَوَجِبَ عَلَى أَهْلِ الْبِلَادِ أَنْ يَدَافِعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَهَذَا يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ، وَهَذَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ بِنَفْسِهِ؛ لَكِنْ عِنْدَهُ مَالٌ فَعَلِيهِ أَنْ يَدْفَعَ مِنْ مَالِهِ، لَا يَقُولُ: أَنَا دَفَعْتُ الزَّكَاةَ وَلَيْسَ عَلَيَّ شَيْءٌ. أَتَتْرَكُ الْبِلَدَ يَحْتَلُّهَا أَعْدَاؤُهَا وَأَنْتَ تَتَفَرَّجُ؟ هَذَا لَا يَجُوزُ، فَهَنَّاكَ فِي الْمَالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ.

هناك أناس يخلون بالزكاة نفسها، لا يدفع الزكاة، كثيرًا ما يدفع أشباه الفقراء الزكاة، الموظف الذي يكتمل عنده النصاب يحسبه ويقول: عليَّ الزكاة. لكن هناك واحد عنده مليارات، يحسب ماله فيجد عنده مليونًا أو مليونين أو عشرة ملايين زكاة، فيستكثر هذا المال ويخل به،

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥٥): رجاله ثقات. وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

أَلَا نَ اللَّهُ كَثْرَ مَالِكَ تَبْخُلُ بِهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ؟! تَبْخُلُ بِمَالِ اللَّهِ عَلَى عِيَالِ اللَّهِ؟ لَا يَجُوزُ هَذَا أَبَدًا!

المؤمن أمين على ما استخلفه الله فيه:

على كلِّ مسلم أن يبحث حينما يكون المال مالا حوليا، مثل مال التجارة، يبحث عن زكاته، ويخرج ما عليه قليلا أم كثيرا، فإن كانت الزكاة كثيرة فلا نَّ مَالَكْ كثير، لماذا تستكثر، وما عندك أكثر؟! إذا أخذ الله منك اثنين ونصف في المائة (٢,٥٪)، فهو يبقِي لك سبعة وتسعين ونصف في المائة (٩٧,٥٪)، فالزكاة شيء قليل لماذا تستكثرها على الله وعلى عباد الله؟!

لا بدَّ للإنسان أن يكون مُسْتَخْلَفًا أمينًا في مال الله عنده، يكسبه من حلّه، وينفقه في حلّه، ولا يبخل به عن حقّه، مهما كان هذا الحق لا تبخل به عن أصحابه، فالبخل سيضيع منك مالك نفسه، يضيع منك الكثير، أمّا إذا سخوت بهذا المال وأديت حقه عليك لأصحابه؛ سيبارك الله لك فيه، ويزيده كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. الله يخلف على أصحاب الأموال ما ينفقونه. كان بعض أصحاب المال من أغنياء المسلمين لا تجب عليهم في أموالهم زكاة، حينما يأتي وقت الزكاة يبحثون عنده نصابها فلا يجدون، لماذا؟ لأنّه يدفع باستمرار أضعاف الزكاة؛ فلا يوجد عنده نصاب الزكاة.

نماذج من الأسخياء:

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنُ عمِّ النبي ﷺ تُوفِّيَ في غزوة مؤتة، وترك ابنه عبد الله، وآتاه الله من المال الكثير، وهيباً له أن ينفق وأن يكون من الأسخياء، فكان بعض النَّاسِ يلومه على كثرة الإنفاق؛ فيقول

لهم: يا قوم، إِنَّ اللَّهَ عَوَّدَنِي عَادَةً، وعودت عباده عادة، عَوَّدَنِي أَنْ يُعْطِينِي، وعَوَّدَت عباده أَنْ أُعْطِيَهُمْ؛ فَأَخْشَى أَنْ أَقْطَعَ عَادَتِي عَنْ عِبَادِهِ فَيَقْطَعَ عَادَتَهُ عَنِّي^(١).

وسألت امرأة الليث بن سعد شيئاً من عسل؛ فأمر لها بزقٍّ من عسل: أي جرّة من عسل، فقالوا له: إِنَّهَا طَلَبَتْ مِنْكَ أَكْلَةً فَتَعْطِيهَا جَرَّةً؟! فقال: إِنَّهَا سَأَلَتْ عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهَا، وَأَنَا أُعْطِيْتُهَا عَلَى قَدَرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيَّ^(٢). أعطّاها ما يكفيها لعدة أشهر أو سنة.

هؤلاء هم الذين أكرمهم الله، الأجواد الأسخياء، جادوا بمال الله عندهم فمنّ الله عليهم بما هو أكثر منه، لأن الله غني عزيز، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) العقد الفريد (١/١٨٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٥٠)، نشر دار المعرفة، بيروت.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

القمة الإسلامية في القاهرة:

انعقدت في الأيام الماضية قمة البلاد الإسلامية، التي تنظم العلاقة بينها مُنظمة التعاون الإسلامي، كان اسم هذه المنظمة من قبل (مُنظمة المؤتمر الإسلامي)، حينما جاء أحد اليهود وأوقد النَّار في المسجد الأقصى؛ فشَبَّت النَّار في منبر صلاح الدين، وكاد يحصل حريق كبير في المسجد؛ ولكنَّ الله سلَّم واحترق بعض المنبر: تجاوب المسلمون، ولأوَّل مرَّة في تاريخهم أقام زعماءهم مؤتمرًا إسلاميًا، كانت هناك جامعة عربيَّة للعرب، ولكن لم تكن هناك منظمة إسلاميَّة للمسلمين، المسجد الأقصى هو الذي دعا المسلمين أن يجتمعوا في هذا المؤتمر.

وبعد اجتماعهم قالوا: نريد أن ننشئ مُنظمة فماذا نسميها؟ اقترح بعضهم أن يُسمَّوها (جامعة الدول الإسلامية)، فاعترض بعضهم وقال: نحن لسنا بلادًا إسلاميَّة، نحن بلاد علمانيَّة لا تُحكِّم القرآن ولا الشريعة، نحن نُحكِّم القوانين الوضعية. فرفضوا أن يتسموا باسم إسلامي، فقالوا: وماذا نسميها إذن؟ ثمَّ قالوا: نحن الآن في مؤتمر إسلامي، فلنسمِّ هذه المنظمة (مُنظمة المؤتمر الإسلامي). كما يقول النحويُّون: الإضافة لأدنى ملابس. وظلَّ اسمُها هكذا سنين طويلة، ثمَّ رأوا أن يُغيِّروا الاسم ويسمَّوها (مُنظمة التعاون الإسلامي)، لأنَّ المسلمين مأمورون بأن يتعاونوا بعضهم مع بعض؛ كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. التعاون على البر

والتقوى مطلوب من أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحَمَّد ﷺ، أمة الإجابة، هذه الأمة مطلوب منها أن تتعاون.

وفي هذا الأسبوع التقت مُنظمة التعاون الإسلامي، دعت الأعضاء من أنحاء العالم الإسلامي، والعالم الإسلامي كما قلت لكم: حوالي مليارين إلا ثلثًا، ألف مليون وستمائة وكذا مليونًا من المسلمين، دُعي هؤلاء لأن يجتمعوا في القاهرة واجتمعوا فيها، اجتماع المسلمين مهما كان خيرٌ، هناك أناس كانوا يريدون ألا يكون للمسلمين أي مجتمع، يُدعى الناس بالقوميات: القومية العربية، والقومية الكردية، والقومية الهندية، والقومية التركية، والقومية الإندونيسية، والقومية النيجيرية، والقومية الأمازيغية، إلى آخره، ولكن القوميات تُفرّق ولا تجمع، ولأنّ هناك عشرات القوميات عند المسلمين فلا بدّ أن يكون هناك اجتماع باسم الإسلام، فنحن نؤيّد أيّ اجتماع باسم الإسلام، ونطالب المسلمين أن يفعلوا هذا الاجتماع، نحن نرحّب بأيّ اجتماع للأمة الإسلامية لتنظر في أمورها.

وقد اجتمعت في مصر، ورأس هذا المؤتمر الرئيس مُحَمَّد مرسي، وألقى خطابًا رفيع المستوى، يخاطب فيه الأمة الإسلامية، نحن نرحب بهذا، وإن كنا نريد أكثر من هذا، هناك أشياء كنا نطالب أن تقف القمة الإسلامية بوضوح معها، ولكن يبدو أنّ الأمة لم تصل على مستوى حكامها وحكوماتها إلى ما نرجوه نحن، ولذلك لم يمثل الإخوة في سوريا من يمثل الاجتماع السوري العظيم الذي اختار له الإخوة السوريون رئيسًا هو أخونا أحمد معاذ الخطيب، كُنّا نودّ أن يقولوا لهم: تعالوا. فإمّا أن يكونوا مُمثّلين لسوريا؛ إن كان المؤتمر مؤتمراً قويّاً بالفعل، أو على الأقلّ يكونوا مُمثّلين لهذا المجتمع الغائب، كُنّا نودّ

أشياء كثيرة من هذا المؤتمر: أن يقف فيها وقفة قويّة، ولكن على كلّ حال أقول: نحن نؤيّد هذا المؤتمر، ونرى أنّه خطوة إلى الأمام، ينبغي أن تُعقّبها خطوات في سبيل التوحّد والتجمّع.

أمة محمد لا تتربط والأمم الأخرى تتوحّد:

الأمم الآن تتجمّع تحت رايات مختلفة، كانت أوروبا تتقاتل، قامت حروب استمرّت قرونًا بين الأوربيين بعضهم وبعض، ثمّ قامت بينهم حربان: الحرب العالميّة الأولى، والحرب العالميّة الثانية، وقُتل فيهما عشرات الملايين؛ وبخاصّة مع ظهور الأسلحة الحديثة، التي تحصد النّاس حصداً، ثمّ رأت أوروبا أنّه لا بدّ لها أن تتوحّد وأن تتجمّع، وقالوا: ما فات مات، انسوا هذا الماضي الذي قاتل بعضكم بعضاً فيه، وتجمّعوا، أنتم أوروبيّون، ولا يحقّ لكم أن تعيشوا إلّا أوروبيّين متّحدين. واتّحد الأوروبيّون شيئاً فشيئاً، نُسيت البلاد التي كانوا فيها، وأصبحوا كأنهم بلد واحد، ولهم برلمان واحد، ولهم عملة واحدة، شملت معظم البلاد الأوروبيّة، وأصبحت لهم قوّة أمام أمريكا وأمام بلاد أخرى، وتستطيع أن تخرج من بلد إلى بلد إلى أخرى ولا يكلمك أحد، أصبحوا يشعرون كأنهم بلد واحد.

لماذا لا نفعل نحن المسلمين هذا؟ ينبغي أن تكون الارتباطات بيننا مثل هذه الارتباطات أو أكثر منها، لأن الإسلام يشدنا برباط واحد، يجعلنا أمة واحدة، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أمة مُحَمَّد هذه؛ لماذا لا تتربط وتتوحّد، ويقوي بعضها بعضاً؟ هذه الأمة التي

تبلغ أكثر من مليار وثلثي المليار؛ لماذا لا تتجمع وتكون لها قوّة؟ أنا أوصي المسلمين أن تكون لهم قوّة مثل ما للأوربيين، ومثل ما للأمريكيين وهم ولايات متحدة، كل ولاية كأنّها دولة، خمسون دولة في دولة واحدة، لماذا لا يتحد المسلمون كما نرى في الصين، أكثر من ألف وثلاثمائة مليون من البشر في دولة واحدة، لماذا لا يكون للمسلمين قوّة مثل هذه؟ هذا ما نريده وما نرجوه إن شاء الله في المستقبل القادم، أن يكون يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، وأن يكون غدهم خيرًا من يومهم، وهذا ما ندعو الله به دائمًا.

اغتيال شكري بلعيد:

وهناك حادثان مهمان حدثا في البلاد الإسلاميّة، الحادث الأوّل في تونس حيث اغتيل زعيم من الزعماء المدنيين أمام بابه، ضرب بالرصاص وهو عند منزله فقتل، ونحن ننكر هذا الأمر، لا يجوز أن يكون الاغتيال أسلوبًا من أساليب الزعماء السياسيين، سواء كانوا في الحكم أم في غير الحكم، الاغتيال أسلوب الجبناء الأخساء، نفس الإنسان مصونة، حرّم الله قتل النفس، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، والنبي ﷺ يقول: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(١). فكيف يُقتل إنسان أمام داره، ويذهب القاتل ويختفي من الناس؟ لا بدّ من التحقيق والبحث عن هذا القاتل، وعمّن يعينه، مثل هذا لا يكون وحده، عادة يكونون مجموعة من الناس يتخذون هذا الأسلوب، وهو أسلوب مرفوض شرعًا وعقلًا وخلقًا وإيمانًا، لا يجوز أبدًا استخدام أسلوب الاغتيال، ولو كان مخالفًا، هل

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥) مرفوعًا وموقوفًا ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، والبيهقي في النفقات (٢٢/٨)، وصحّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦)، والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.



لأنّه ليس إسلاميًا يجوز أن نقتله؟ لا يجوز قتله؛ بل يجب أن نحاوره ونجادله بالتي هي أحسن، ومن حقه أن يبقى بيننا يدافع عن رأيه، ونجادله في رأيه، ولكن لا يجوز لأحد أن يفكر في أن يقتل أحدًا أبدًا، ننكر كل الإنكار قتل هذا الزعيم التونسي، وندعو تونس أن تبحث فيمن قتله، وتجازي هؤلاء بما يجب أن يجازوا به، هذا حادث.

أحكام بالإعدام والمؤبد في بنجلاديش:

وهناك حادث آخر حدث في الجانب الآخر من البلاد الإسلامية، في بنجلاديش، وبنجلاديش هي القسم الذي انفصل عن باكستان الكبرى، كان المسلمون في الهند الكبرى، وحدث مجازر ومذابح وبلايا كثيرة جدًّا للمسلمين هناك، ودعا زعماء المسلمين مُحَمَّد علي جناح ومن معه بأن يكون للمسلمين استقلالٌ عن غيرهم، المسلمون في الهند ليسوا أقلية هيّنة، وإنّما هم أقلية كبيرة جدًّا، فدعا المسلمين أن يستقلّوا عن الهند الكبرى، وأن يكون لهم بلد واحد يعيشون فيه، وسمّوا هذا البلد باكستان، أي أرض الأحرار الأَطهار.

فقامت الدولة الإسلامية بقسميها: باكستان الغربيّة، وباكستان الشرقيّة، وظلّوا سنوات عدّة، إلى أن حدث أن باكستان الشرقيّة انفصلت عن باكستان الغربيّة؛ لأنّهما ليستا متّصِلَتَيْن، هذه في ناحية والأخرى في ناحية، لكن يجمع بينهما الإسلام، كانوا يقولون: يجمع بيننا الخطوط الجويّة الباكستانيّة والإسلام.

ولأنّ المسلمين لم يكونوا مسلمين حقًّا لم يستطيعوا أن يحافظوا على هذه الوحدة، انفصلت الدولتان عن بعضهما في أوائل السبعينيّات من القرن الماضي، وأصبحت باكستان الشرقيّة اسمها بنجلاديش، أي

بلاد البنغال، أو دولة البنغال، فالهنود بنجابيون، وسِنْدِيُّون، وبنغاليُّون، ومن كل الأصناف، فالبنغاليُّون أقاموا لهم دولة اسمها بنجلاديش، والآن تأتي بنجلاديش تحاكم النَّاس الذين لم يكونوا يُؤيِّدون انفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربيَّة!

الناس لا يُقتل من أجل آرائهم:

كان للناس آراء، أنا كنتُ ضدَّ هذا الانفصال، كنتُ لا أرى أن تنفصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربيَّة، هذا رأيي، ولغيري رأي، هل تقتلون النَّاس من أجل آرائهم؟! هذه فترة انتهت، وكانت هذه آراء موجودة، معظم النَّاس كانوا يرون أن باكستان يجب أن تكون بلدًا واحدًا شرقيًا وغربيًا، ثمَّ تغير هذا، كيف تحاكم النَّاس على آرائهم فيما حدث من أربعين سنة؟ وتقول: أنت المسؤول عن النَّاس الذين قُتلوا؟ قُتل ملايين في ذلك الوقت، يقولون: ثلاثة ملايين قُتلوا.

يأتون لبعض النَّاس بعد أربعين سنة، ويحاكمونهم محاكمة جديدة على هذا الأمر، منهم من حاكموه غيابيًا؛ لأنَّه هرب إلى باكستان، مثل لمولانا أبو الكلام آزاد من علماء باكستان وشيوخهم الكبار، حكموا عليه بالإعدام غيابيًا؛ لأنَّه كان لا يؤيد الانفصال عن باكستان، هل رأيتموه قتل أحدًا؟!

الآن إذا اشترك قاتلان في قتل أحد لا يحكم عليهما القانون الوضعي بالقتل، يعطي كلاً منهما حكمًا مخففًا عن الإعدام، هؤلاء يحكمون على هذا العالم بأن يُقتل، وما قُتل، ويحكمون على اثني عشر شخصًا غيره من أعضاء الجماعة الإسلاميَّة في باكستان التي أسسها الإمام أبو الأعلى المودودي: العالم والداعية والمجدد الإسلامي الكبير، دعا إلى تحكيم

الشريعة الإسلامية وتجميع الأمة الإسلامية عليها، ولكنه لم يكن يعمل بالعنف إطلاقاً، كان ضد العنف وضد القوة.

هذا أمر ينكره كل المسلمين:

حكموا على هؤلاء بالإعدام، وبعضهم حكموا عليه بالسجن مدى الحياة، وبعض هؤلاء كان من الجماعة الإسلامية، وبعضهم كان وزيراً سابقاً، وبعضهم كان عالماً؛ منهم الشيخ عبد القادر ملا. هذا في الحقيقة أمر ينكره كل المسلمين عامة، لا يجوز أن يُحاكم الإنسان بعد أربعين سنة على مسألة انتهت ولم يُعرف فيها القاتل من المقتول، كانت فتنة عامة، هذه ليس فيها إلاّ السماح، وأمرهم إلى الله، لأن هذه أمور اجتهادية، ولم يُعرف من القاتل ومن المقتول.

أمّا أن يُحكم على بعض الناس بالإعدام، ويُحكم على بعضهم بالمؤبد وبالسجن مدى الحياة؛ فهذا ما ننكره على الإخوة في بنجلاديش، نطالب الحكومة البنجلاديشية باسم المسلمين هنا، وباسم المسلمين في كل مكان: بحكم العدل الإلهي الذي ينبغي أن ينزل عنده الجميع، لا يجوز أن نُحدث محكمة خاصة تأتي بأحكام من عندها، لا ترجع إلى شرع ولا إلى قانون، وتحكم بما تشاء! هذا ما لا يجوز أبداً، دماء الناس لا يجوز إهدارها، الدم الإنساني والدم الإسلامي هو دم غالٍ، لا يجوز إهدار الدماء.

اتَّقُوا الله يا إخواننا في بنجلاديش، اتَّقُوا الله في إخوانكم، واتَّقُوا الله في بلدكم، واتَّقُوا الله في أمتكم، واتَّقُوا الله في هذا الدم الذي لا يجوز أن يُهدر، اتَّقُوا الله واعملوا على أن تجمعوا الأمة كلّها، بدل أن تجمعوا الأمة بالقتل اجمعوها بالحبّ، لا يجمع الناس شيء مثل الحبّ، من لم

يجمعهم العدل جمعهم الحبُّ، أَحْبُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَأَحْبُّوا أَنْفُسَكُمْ، وَأَحْبُّوا
بِلَدَكُمْ، وَأَحْبُّوا دِينَكُمْ، وَأَحْبُّوا الْإِسْلَامَ، وَأَحْبُّوا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، ﴿وَقُلْ
أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ عَلَىكُمْ غَمُّكُمْ وَسُرُوحُ الْإِيمَانِ وَتَسْتَرْدُّوهُ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

اللهمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ
عَيْنٍ وَلَا أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْهُدَى،
وَقُلُوبَهُمْ عَلَى التَّقَى، وَنَفُوسَهُمْ عَلَى الْمَحَبَّةِ، وَعَزَائِمَهُمْ عَلَى عَمَلِ
الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَتُوَيَّدَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَلِمَةَ
الْإِسْلَامِ هِيَ الْعَلِيَا، وَاجْعَلْ كَلِمَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ هِيَ السُّفْلَى، اللَّهُمَّ اجْعَلْ
بِلَدْنَا هَذَا آمِنًا مُطْمَئِنًّا سَخَاءً رَخَاءً وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللهمَّ انصر المسلمين في سوريا، وانصر المسلمين في مصر، وانصر
المسلمين في تونس، وانصر المسلمين في ليبيا، وانصر المسلمين في
اليمن، وانصر المسلمين في الصومال، وانصر المسلمين في بنجلاديش،
وانصر المسلمين في ميانمار، وانصر المسلمين في فلسطين، وانصر
المسلمين في السودان، وانصر المسلمين في الأردن، وانصر المسلمين في
كلِّ مكانٍ من أرض الإسلام، اللهمَّ اجْمَعْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.



الأغنياء في القرآن الكريم (١)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ مَعَكُمْ حَوْلَ مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي خَصَّهَا الْقُرْآنُ بِالذِّكْرِ وَبِالْحَدِيثِ، تَحَدَّثْنَا عَنْ مَوْضُوعَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا خِلَالِ السَّنَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ، وَلَا زِلْنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ، بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهُمْ مَنْ أَحْسَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَسَاءَ، نَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنِ الْأَغْنِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

حَدَّثْنَا الْقُرْآنُ عَنْ عِدَدٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ مِمثَلًا فِي الْمُلُوكِ الَّذِينَ حَكَمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالَّذِينَ أَقَامُوا الْقِسْطَ فِي النَّاسِ، وَرَحَمُوا الْعِبَادَ، وَأَقَامُوا الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي أَطْعَمَتِ النَّاسَ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَتَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

مَلِكٌ وَلَكِنَّهُ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ:

كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَيِّدُنَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي حَكَمَ النَّاسَ فِي مِصْرَ أَيَّامَ الْقَحْطِ، وَكَانَ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ مَعَ أَنْ فِي يَدِهِ خَزَائِنُ الْأَرْضِ، وَفِي يَدِهِ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، بِتَارِيخِ ١ مَارِسَ ٢٠١٣ م.

الاقتصاد، وفي يده المال، وفي يده الزراعة، وفي يده التموين، وفي يده كل شيء، ولكنه كان إذا أكل لا يشبع، يقول: أخاف إذا شبع أن أنسى جوع الفقراء^(١).

داود ﷺ أوتي الملك والحكمة:

وحدثنا القرآن عن داود ﷺ الذي آتاه الله الملك من عنده، بعد أن قتل جالوت، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فقد كان داود ملكًا من الملوك العابدين لله، الخاشعين لله، هذا ما تظهره الآيات الكريمة في القرآن الكريم، وتظهره الأحاديث النبوية: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ﴿وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠]، هذا النبي الذي اعتبره الرسول ﷺ من أعبد الأنبياء لله تبارك وتعالى، اعتبر صيام داود وقيامه المثل الأعلى، من أراد أن يصوم أحسن الصيام فليصم صيام داود، وليقم الليل قيام داود، «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سُدُسَه»^(٢).

تليين الحديد لداود ﷺ:

وقال النبي ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»^(٣). آتاه الله الملك؛ فهو الملك المُحَكَّم،

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٧٣/٦)، عن الحسن، نشر مكتبة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

ولكنه أبى إلا أن يأكل من عمل يده، كان يجيد صناعة الدروع التي يلبسها المحاربون، فیتقنها حلقة حلقة: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١١]، هكذا كان داود عليه السلام، ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، كان من الأغنياء الشاكرين داود عليه السلام.

ملك لا ينبغي مثله لأحد من بعد سليمان عليه السلام :

وكذلك ابنه سليمان عليه السلام الذي استغفر ربه، وطلب من ربه أن يؤتيه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥]، سخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، يحمله البساط في الجو، طائرات قبل أن يأتي عصر الطائرات، وتحمله الريح إلى الأماكن التي يصل إليها الإنسان في مدة شهر، ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا ﴾ [سبأ: ١٢]، فيصل إليها بالريح في ساعات.

تسخير المخلوقات له:

وسخر له الجن، هؤلاء المخلوقون الذين لا تراهم الأعين، هم يروننا ونحن لا نراهم، ومنهم مؤمنون ومنهم كفار، ورئيس كفارهم إبليس اللعين، وهم مثل بني الإنسان، منهم من أطاع ومنهم من عصى، ومنهم من أحسن ومنهم من أساء، ومنهم من آمن ومنهم من كفر، هؤلاء الجن سخرهم الله لسليمان، ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقِيلَ لَهُمْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]، هؤلاء الجن يعملون له ما بين بناء وغواص، ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ص: ٣٧، ٣٨].

منهم المحبوس والمقيد، ومنهم من يعمل في الصناعات المختلفة في خدمة سليمان بن داود عليه السلام، وآتاه الله كذلك الطيور، جيش سليمان عليه السلام سخر الله له فيه من الإنس والجن والطيور فهم يوزعون، علّم منطق الطير ومنطق الحشرات ومنطق الحيوانات، حتّى إذا أتى على واد النمل سمع نملة تقول: ﴿يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. سمع من النملة ما حدثت به زميلات لها من النمل، وحذرتهم أن يأتي سليمان بجنوده ويطحنهم وهو لا يراهم، فقالت لهم: ادخلوا مساكنكم؛ فتبسم سليمان لأنّه عرف ما حذرت به النملة طائفة النمل، كل طائفة تحافظ على نفسها، حتّى النمل يحافظ بعضه على بعض، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، كل طائفة تحاول أن تحافظ على نفسها ممّن هو أقوى منها، وكيف تحافظ؟ بالتعاون، وأن يكون لهم رئاسة، وأن تُسمع كلام الرئاسة في موضعها.

هدد أتى نبياً يقين:

وكان في جند سليمان هدهد، ﴿فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدَّ هَدًا أَمْ كَانَ مِنَ الْفَآبِيسِ﴾ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ [النمل: ٢٠ - ٢١]، كيف يغيب الهدد عني بدون إذن؟ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ * إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿ [النمل: ٢٢، ٢٣]، وقال له ما قال؛ فعفا عنه، وكلفه بمهمّة أن يذهب إلى هذه المرأة، الملكة العربية بلقيس، في اليمن، وانتهى بها الأمر إلى أن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، دخلت في الإسلام ولم تكلف نفسها وقومها دخول حرب خاسرة لا لزوم لها.

كان سليمان ملكًا، وكان ذا مال، عنده من الأموال ما شاء الله، ولكنه كان شاكراً لنعمة الله، بعض الأغنياء تأتيه النعمة ولا يشكر الله عليها، معتبراً أنه هو صاحب المال، والمال صاحبه هو الله؛ كما تحدثنا في آخر خطبة خطبناها على هذا المنبر، أن الله هو خالق المال، ولذلك يقول: ﴿وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]. أنتم لا تؤتونهم من مالكم، إنما تؤتونهم من مال الله، الله هو الذي آتاكم هذا المال، وأنعم عليكم بهذا المال، وجاء بهذا المال من المشارق والمغارب، أنتم لم تخلقوا ذرة واحدة من هذا المال، بل الله هو الذي خلقه، كما قال تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥].

كان نعم الغني الشاكر:

كان سليمان من الأغنياء الذين دعوا الله ﷻ: أن يهيئ لهم شكر نعمته، وحسن عبادته، والقيام بما يجب عليهم، كما دعا سليمان ﷺ حينما سمع النملة، وهو دعاء كل مؤمن، كل مؤمن يدعو ربه بمثل هذا الدعاء السليماني: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

أوزعني: أي ابعثني وادفعني ووفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ﴾، النعمة على والديك نعمة عليك أيضاً، إذا أنعم على أبيك فقد أنعم عليك، وإذا أنعم على أمك فقد أنعم عليك، وإذا كان أقاربك في ضراء كنت أنت في ضراء، فكلما كان أقاربك في غناء ونعمة كان هذا من فضل الله عليك، ولذلك كانت نعمة الله على داود نعمة لله على سليمان.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، المهم أن يكون العمل الصالح مرضياً عند الله، ليس المهم أن يكون

مرضيًا عندك، أنت يعجبك العمل الذي ينفعك وينفع أقاربك وينفع أصحابك، ولكن ربّما لا يكون هذا هو العمل المطلوب، ربّما اكتسبته من حرام، ربّما آذيت فيه أحدًا، ربّما أخذت فيه حقًا لیتيم، أو امرأة أرملة، أو إنسان ضعيف، لا بدّ أن تتحرّى الحلال، ولذلك لا بدّ أن يكون العمل الصالح مرضيًا عند الله.

آخر ما يتمناه الصالح:

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، هذا تنمة دعاء نبي الله سليمان، الذي آتاه الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، حتّى إنّ النبي ﷺ هُيئَ له أن يمسك بجني وأن يحبسه، ثم تركه لأن سليمان دعا ربه أن يؤتیه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فهو الذي يتحكم في الجن، ولم يرد مُحَمَّد أن يتحكم في الجن؛ لِيُظَلَّ الأمرُ لدعوة سليمان التي استجاب الله لها^(١)، كان سليمان نِعَمَ الغنيّ الشاكر!

تسبيحة في صحيفة المؤمن خير ملك سليمان:

وحيثما رأى بعض الناس موكب سليمان يمر من الإنس والجن والطيور؛ قال أحد الفلاحين الزُّرَّاع: لقد أوتيت يا ابن داود ملكًا عظيمًا. فقال سليمان: والله لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممّا أوتي ابن داود؛ فإنّ التسبيحة في صحيفة المؤمن تبقى، وما أوتي ابن داود يزول ويفنى^(٢). لو قلت: سبحان الله، أو الحمد لله، أو لا إله إلا الله، أو الله أكبر، أو لا حول ولا قوّة إلا بالله. أي ذكر لله تعالى في صحيفتك يبقى ويستمرّ، وكلُّ شيء يزول ويفنى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٦١)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٤١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٢)، عن أبي عمران الجوني.

كان سليمان إذا خالط الفقراء يقول: مسكين خالط مسكيناً^(١). أنا مسكين مثلكم، كان الأنبياء يشعرون بالمسكنة أمام الله وَعَجَّلَ، النبي ﷺ آتاه الله الغنى في أواخر حياته، ولكنه لم يكن يبق شيئاً عنده، لو جاءه مثل أحد ذهباً ينفقه على الناس؛ إلا ما يرصده لدين أو لشيء يحتاج إليه، كان يقول: «اللهم أَحْنِي مسكيناً، وَأْمِثْنِي مسكيناً، واحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»^(٢). هكذا كان مُحَمَّد ﷺ.

الملك طالوت ﷺ زاده الله بسطة في العلم والجسم:

ومن الأغنياء الذين ذكرهم القرآن طالوت، حين بعثه الله ملكاً مع أحد أنبياء بني إسرائيل وقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. كان طالوت أيضاً عاملاً بحق الله تعالى في المال، فكل الأنبياء قاموا بما يجب عليهم فيما آتاهم الله من مال، فهؤلاء هم الذين ذكرهم القرآن الكريم.

وذكر لنا أيضاً بعض الأغنياء وإن لم يذكرهم بأسمائهم مثل سيّدنا أبي بكر رضي الله عنه، كان قليل من أصحاب النبي ﷺ من ذوي المال، كان عندهم مال يكفيهم ويجعلهم يفضلون على غيرهم، من هؤلاء أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله،

(١) تفسير الرّازي (٢٢٠/٣٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٢٦)، والحاكم في الرقاق (٣٥٨/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وأسرف ابن الجوزي فذكره في الموضوعات (١٤٠/٣)، قال ابن حجر: وليس كذلك، فقد صحّحه الضياء في المختارة. وقال مرة أخرى: وكأنه أقدم عليه لما رآه مبيئاً للحال التي مات عليها المصطفى ﷺ، لأنّه كان مكفياً. كذا في الفيض (١٠٢/٢)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ. وصحّح الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١). ولعل من صحّحه صحّحه لشواهده، عن أنس، وعائشة، وعبادة بن الصامت.

وبعد أن مكن الله للمسلمين في الأرض كثر الأغنياء منهم، هؤلاء عملوا بما يجب عليهم في أموالهم.

ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر؟

أخذ سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه المال من حله، وأنفقه في حقه، ولم ييخل به عن أهله، حينما يحتاج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المال يُقَدِّم، حينما أصبح للمسلمين جيشٌ بعد ذلك كان أبو بكر يأتي بماله كُلّه، جاء سيّدنا عمر بنصف ماله، وجاء سيّدنا أبو بكر بماله كُلّه، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر؟» فقال: تركتُ لهم الله ورسوله^(١).

من عهد مكّة وأبو بكر يبذل ماله لله عجل، ونزلت في شأنه سورة الليل، وتحدثت عن أنّ النَّاسَ صنفان: أحدهما مؤمن، ينفق ماله فيما ينبغي، ويتقي الله في نفسه وأهله وماله وفي الناس، يتقي الله في كل شيء، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى [الليل: ٥، ٦]. الحسنى: الجنة كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿فَسَنِّيَرُهُ لِّلْيسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، للطريقة اليسرى، الموصلة إلى رضوان الله وجنته، بخلاف خصمه ومخالفه، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ وَكَذَبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿فَسَنِّيَرُهُ لِّلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨ - ١٠]. والعسرى: جهنّم والعياذ بالله، وما يوصل إليها.

أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا:

كان سيّدنا أبو بكر يعطي ماله للفقراء واليتامى، والأرامل والعبيد، يشتري العبيد الذين كان يعذبهم أهل مكّة من أهل الأموال والغنى،

(١) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والبزار (٢٧٠) وقواه، والحاكم في الزكاة (٤١٤/١)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن عمر بن الخطاب.

يشتريهم أبو بكر لينقذهم؛ كما اشترى بلالاً رضي الله عنه وأعتقه. وكان سيّدنا عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا^(١). يعني بلالاً رضي الله عنه.

انظر عمر بن الخطاب يقول هذا عن بلال الحبشي، بينما كان القرشيون يحتقرون الناس السود؛ فهم عبيد عندهم، كلنا نقول: سيّدنا بلال. ليس للألوان قيمة عند الله، هذا أبيض وهذا أسود، وهذا أصفر وهذا أحمر، لا قيمة لهذا كله، «لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتّقوى»^(٢)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى:

كان أبو قحافة والد سيّدنا أبي بكر يقول له: يا بنيّ، لماذا تشتري هؤلاء النّاس الذين لا ينفعونك ولا يمنعونك، ولا يدافعون عنك؟ اشتر النّاس الأقوياء الذين يحمونك، ويدافعون عنك، ويقفون معك. قال له: يا أبت إنّما أشتري ما أشتري لوجه الله، أنا أريد أن أعتق هؤلاء النّاس من الإيذاء والتعذيب، الذي يلاقونه من هؤلاء الأغنياء، ولذلك قال القرآن: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٤ - ٢١]. أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر^(٣)، وإن كانت الآيات عامة تشملها، وتشمل كل من يتصف بهذه

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٥٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٧٩/٢٤)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة =

الصفات، كل من يؤتي ماله يتزكى ويتطهر بهذا الإيتاء ويتنمى به ويطرقى عند الله وَعَجَّلَ.

﴿يُؤْتِي مَالَهُ، يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، لا يتصدق بهذا المال على أناس أدوا إليه خدمات، وكان له عندهم نعم، لا أبداً، وإنما يتصدق لله، ﴿إِلَّا ابْنَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾، هو يريد بهذا التقرب إلى الله، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]. وهنا يقول القرآن عن هذا الغني الصالح: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾. سيعطيه الله من العطاء ما يرضيه، حتى يقول: يا رب يكفيني ما أعطيته، أعطيتني الكثير والكثير، وأنا أحمذك وأشكرك، وأخلع وأترك من يفجرك.

هكذا كان المؤمن الأول بعد رسول الله ﷺ، أول رجل آمن بعد رسول الله ﷺ، وبعد خديجة هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

لم يحدثنا القرآن عن كثير من الأغنياء الصالحين، ولكن حدثنا عن كثير من الأغنياء الشريرين، الهمازين واللمّازين ومناعي الخير، والمعتدين الآثمين، وسنتحدث عنهم إن شاء الله في الخطبة القادمة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لنا ويرحمنا، ويتقبل منا، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وثب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

= المكرمة، وتفسير النيسابوري (٥١٠/٦)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مُحَارَبَةُ الْإِسْلَامِ:

إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَتَمَّ عَلَيْنَا بِهَذَا الْإِسْلَامِ أَكْثَمَ نِعْمَةٍ، أَنَّهُ جَعَلَنَا مُسْلِمِينَ، إِسْلَامَنَا لِلَّهِ وَحْدَهُ، أَسْلَمْنَا لِلَّهِ، رُكْعًا وَسُجْدًا لِلَّهِ، لَيْسَ لَنَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ، لَسْنَا عِبِيدًا لِأَحَدٍ، لَا نَخْضَعُ وَلَا نَرْكَعُ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ، رَبَّنَا وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَتَعَبَّدُنَا، فِعْبَادَتِنَا لَهُ وَحْدَهُ خَالِصَةً، فَنُحَمِّدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ أَحْيَانَا مُسْلِمِينَ، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُمَيِّتَنَا مُسْلِمِينَ، لَيْسَ لَنَا إِلَّا هَذَا الدِّينَ، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

كَيْفَ تَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟

كَيْفَ تَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ عِشْ عَلَى الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ، عِشْ عَلَى الْإِسْلَامِ تَمَّتْ عَلَيْهِ، أَمَّا إِذَا ذَهَبَتْ يَمِينًا وَيَسَارًا؛ فَلَا تَضْمَنُ آخِرَتَكَ، لَكِي تَضْمَنَ آخِرَتَكَ عِشْ عَلَى هَذَا الدِّينِ، اسْتَمْسِكْ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى، لَا تُفَرِّطْ فِيهَا أَبَدًا، فَنَحْنُ لَا نُفَرِّطُ فِي دِينِنَا، نَحْنُ مُسْتَمْسِكُونَ بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، وَبِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمِيَامِينَ، الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. حَتَّى الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَنَحْنُ مَعَ هَذَا الْجَيْلِ الْعَظِيمِ.

نُحَارِبُ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ وَلَنْ نُفَرِّطَ فِيهِ:

نَحْنُ لِأَنَّا مُسْلِمُونَ نُحَارِبُ مِنْ أَجْلِ دِينِنَا، وَلِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهَذَا الدِّينِ، أَدْعُو الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، فِي كُلِّ بَقْعَةٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ:

أن يتمسكوا بدينهم ولا يحدوا عنه، ولا يفرطوا في ذرة واحدة منه: فرائضه ونوافله، وكل ما جاء به من مكارم ومن أخلاق، ومن عبادات ومعاملات.

هناك من يريدون أن نُفَرِّط في ديننا، ووالله لن نُفَرِّط في هذا الدين، أنا أرى الإسلام يزداد قوّة يومًا بعد يوم، النَّاس يدخلون في هذا الدين؛ رغم أنه ليس له أناس متفرغون للدعوة إليه، كما في الأديان الأخرى، هناك مليارات من الدولارات مرصودة لنشر النصرانية وغيرها من الأديان، الإسلام ليس عنده مثل هذا، ولكن يومًا يدخل النَّاس في الإسلام، ويومًا يعود النَّاس إلى الإسلام، ويتوب العصاة، ويهتدي الضالُّون، ويستقيم المنحرفون، هذا من فضل الله على أمة مُحَمَّد ﷺ.

ولذلك علينا أن نصبر على ما يصيب المسلمين، لا يزال المسلمون تُصيبهم أشياء، بلاد الربيع العربي التي جاءت الثورات وأنقذتها ممّا كانت فيه، كانت بلادًا ضائعة، أموالها مسروقة منهوبة بالمليارات بالتريليونات، تُنهب الأموال وتُهرَّب إلى الخارج، أحيانًا إلى بعض بلاد العرب، بعض النَّاس يأمن فيها، وأحيانًا إلى بلاد الغرب وكلّ مكان في العالم، علينا أن نصبر حتّى نردّ هذه الأموال وسائر الحقوق إلى أهلها وأصحابها.

ثورة سوريا:

أقول للإخوة في بلاد الربيع العربي: اصبروا وصابروا ورابطوا، إخواننا في سوريا الذين صار لهم نحو سنتين، وهم يجاهدون في سبيل الله، قاموا والله وظلُّوا شهورًا وشهورًا لا يقاتلون بسلاح، ليس معهم حجر ولا حصاة، فقط يهتفون بحناجرهم، ولكن النظام الظالم أبى إلا أن يقاتلهم ويقتلهم، وبالعشرات والمئات يوميًا.



ظل يقاتلهم وإلى اليوم، لا يزال يقاتل الشعب السوري عن بكرة أبيه، في شماله وجنوبه، ومشرقه ومغربيه، بعربه وأكراده، ومسلميه ومسيحييه، بكلّ الأديان وكلّ الفئات وكلّ القوميات، يُحارب هذا الشعب بهذا الجيش الذي سلّحه الشعب من أقواته، من عصارة أرزاقه، من أقوات أولاده وذرائه، يضرب الناس بطائرات «الميج» الروسية، التي تقاتل في الميادين الكبرى، تقتل الناس في الحارات والأزقة، يقاتل الناس بالبوارج الحربيّة، يقاتل الناس بالدبابات البريّة، يقاتل الناس بالصواريخ، يضرب ويقتل المئات يوميًا.

أنا أقول للشعب السوري: ستنتصر أيّها الشعب، والله ستنتصر، وننتظر قريبًا نصرتك، وسنحضر هذه النصرّة إن شاء الله، لا يمكن أن يخذل الله المؤمنين، صحيح أنّ الأمّة لم تنتفض لنصرة هذا الشعب، ولم تنتفض من أجله الدول الكبرى، لم تنتفض أمريكا لتقاتل روسيا، التي تحارب هذا الشعب بأسلحتها، تبذل أسلحتها بالأموال وبالمجان لهذا النظام القاتل، تدفع لها إيران ثمن الأسلحة، وتأتي إيران بالمال، وتأتي بالرجال وبالسياسة وبكل شيء، تدافع عن مصالحها في سوريا، ولو قُتل هذا الشعب.

كل من عنده نخوة يقف مع الشعب السوري:

نحن نريد من العالم: العالم العربي أولاً، والعالم الإسلامي ثانيًا، والعالم الحر الشريف، كل من عنده نخوة، وكل من عنده حرية وكرامة، ويحب الحرية والكرامة للأحرار من الناس، نريدهم أن يأتوا ليقفوا مع الشعب السوري، سمحت أمريكا أخيرًا - ونشكرها على كل حال، وننتظر المزيد - سمحت ببعض الأسلحة غير القتالية تعطيها للسوريين، ستين مليون دولار أو نحو ذلك تعطيها للشعب السوري، هذا شيء قليل جدًّا،

لماذا؟ تخاف أمريكا على إسرائيل: أن ينتصر الناس في سوريا، ثم يذهبوا إلى إسرائيل، من أين جئتم بهذا الكلام؟ تخاف على إسرائيل من نسمات الهواء العليل.

خَطَرَاتُ النَّسِيمِ تَجْرَحُ خَدَيْهِ ۖ وَلَمْسُ الْحَرِيرِ يُذْمِي بَنَانَهُ^(١)

هكذا تخاف أمريكا على إسرائيل، لم تفعل كما فعلت في ليبيا؛ حينما وقفت مع الليبيين تدافع عنهم، كان يجب على أمريكا أن تدافع عن الشعب السوري، الذي يُقتل بالجيش بالطائرات وبالصواريخ، نحن نريد من أمريكا أن تقف وقفة الرجولة، وقفة لله، وقفة للحق، للخير مرة.

نريد من المسلمين أن يكونوا مع إخوانهم بما يستطيعون، وأقل ما يستطيعونه الدعاء لهم، ادعوا لهم في صلواتكم وخلواتكم أن ينصرهم الله نصرًا عزيزًا، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا.

الانتخابات النيابية في مصر:

وإخواننا في مصر ندعو الله لهم أن يُهَيِّئَ لهم من أمرهم رشدًا، وأن يفتح لهم القلوب: العقول تُفَكِّرُ، والقلوب تهتدي، والناس تنظر إلى مستقبلها، إلى متى يظلُّ المصريون لا يجدون ما يحتاجون إليه، وكيف يجدونه وهناك قليل من الناس يمنعون الطرق أن تسير، ويمنعون الميادين أن تتحرَّك، عشرات ومئات من الناس معظمهم من الفلول يقبضون المئات من الجنيهات، من يضرب حجرًا له مائتا جنيه، ومن يقذف ملوتوفًا له ستمائة جنيه، ومن يضرب كذا له ألف جنيه، هؤلاء الناس لا زالوا عُميًا لا يرون، أغبياء لا يفقهون.

(١) البيت لشهاب الدين العزازي، كما في نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغامس البتلوني ص ٩٠، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦م.

على المصريّين أن يعرفوا أنّ الخير كلّ الخير في أن يذهبوا جميعاً ليقولوا كلمتهم، وينتخبوا من يرون أنّه أصلح الناس، كل واحد بضميره، بما يحاسبه الله عليه، انتخب من ترى أنّه أصلح من غيره، لا تراقب إلا الله، ولا يحاسبك إلا الله، وإلا ضميرك وحده، هذا ما ينبغي للمصريّين أن يفعلوه، اترك كل شيء، ولتكن المعركة معركة الانتخابات في المدة القادمة ليستقيم أمر مصر.

إذا استقام أمر مصر والله ستصبح من أعظم بلاد الدنيا، حينما يتفرغ الشعب للبناء، نبني أنفسنا بأيدينا، بأذرعنا، بأفكارنا، بعقولنا، وهذا ما ينبغي أن يفعله المصريّون، فهم ليسوا في حاجة لأحد أن يكون وصياً عليهم، هم أوصياء على أنفسهم، اتّقوا الله يا أبناء مصر في شعبكم، في بلدكم، واعملوا على أن يسير هذا الشعب في مسيرته الخيرة، ولا تسمعوا لهؤلاء المُرْجفين والمفسدين في الأرض، هؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، هذا ما أقوله لإخواني في مصر.

استقرار تونس:

وأقول لإخواني في تونس، وقد أَلْفُوا حكومةً جديدةً ووزارةً جديدةً، الأخ علي العريض وإخوانه الذين ولّاهم الناس أمرهم: أرجو أن يستقرّ الأمر في تونس، لا نريد هذه القلاقل، هناك أناس لا يريدون لبلاد العرب أن تستقر أبداً، يريدون أن تظل هناك زلازل تزلزلها حتّى لا تبني نفسها، لا يجوز أن نترك هؤلاء أبداً أيّها الإخوة، نريد للأمر في تونس أن يستقرّ، وفي ليبيا أن يستقرّ، وفي كلّ بلد إسلامي أن يستقرّ.

قضية بنجلاديش:

أقول أيضاً لإخواننا في بنجلاديش، الذين يحاكمون الناس على أعمال من أكثر من أربعين سنة، يقولون: أنتم عملتم على زلزلة البلاد،

وعلى قتل الناس، وكنتم ضد الانفصال. أي شيء هذا؟ يحاكم الناس على أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، يصنعونها صنعًا، يحاكمونهم بماذا؟ بالقتل، بالإعدام، تعدم الناس إعدامًا بغير حق؟!

يا أيُّها الإخوة في بنجلاديش، اتَّقُوا الله، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء، لا تظنوا أنكم بعيدون عن العالم العربي والعالم الإسلامي، العالم الآن أصبح قرية واحدة، اعلّموا أن المسلمين يعلمون أمركم، اتَّقُوا الله في إخوانكم، لا تقتلوا الناس بغير الحق، القرآن يقرر مع كتب السماء: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. أي قتل لنفس لم يثبت على صاحبها أنه قتل نفسًا: لا يجوز أبدًا.

نحن ندعو إخواننا في بنجلاديش أن يتَّقُوا الله في إخوانهم، ويعلموا أن العالم الإسلامي كله سيحاسبهم، هو لهم بالمرصاد، له أعين ترى، وله آذان تسمع، وله قلوب تفقه، والله من وراء ذلك كله، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وكثيرًا ما لا يؤخرهم، كثيرًا ما يأخذهم في هذه الدنيا قبل الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

اللهم هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللهم اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، ونَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا، اللهم اجْمَعْ كَلِمَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْهَدْيِ، وَقُلُوبَهَا عَلَى التَّقَى، وَنَفُوسَهَا عَلَى الْمَحَبَّةِ،



وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم عليك بالظالمين
 الْمُتَجَبِّرِينَ فِي الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ خُذْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ، اللَّهُمَّ أَرْنَا فِيهِمْ
 بَطْشَكَ وَنَقْمَتَكَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ
 الْمَجْرَمِينَ، اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِي إِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمُعَذِّبِينَ، اللَّهُمَّ
 ارحمهم برحمتك، اللهم أيدهم بقدرتك، اللهم اشملمهم بعنايتك
 ورعايتك، واحرسهم في كنفك الذي لا يُضَامُ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَيَا أَكْرَمَ
 الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَتَنَا فِي سُورِيَا، وَاَنْصُرْ
 إِخْوَتَنَا فِي مِصْرَ، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي تُونِسَ، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي الْمَغْرِبِ،
 وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي لِيْبِيَا، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي الْيَمَنِ، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي
 الصُّومَالِ، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي بَنْجَلَا دِيْشَ، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي فِلَسْطِيْنَ، وَفِي
 الْأُرْدُنِ وَفِي لُبْنَانَ، وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي إِيْرَانَ، وَفِي بَاكِسْتَانَ وَفِي أَفْغَانِسْتَانَ،
 وَفِي الْهِنْدِ وَفِي الصِّينِ، وَاَنْصُرْ إِخْوَتَنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي أَرْضِ الْإِسْلَامِ،
 وَفِي سَائِرِ بِلَادِ الدُّنْيَا، انصُرْ الْأَخْيَارَ عَلَى الْأَشْرَارِ، وَاَنْصُرِ الْمُتَّقِينَ عَلَى
 الْفَجَّارِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِلَدَنَا هَذَا آمِنًا مُطْمَئِنًّا سَخَاءَ رِخَاءَ
 وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، رَبَّنَا
 لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.





الأغنياء في القرآن الكريم (٢) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نتحدّث في موضوعات القرآن الكريم، وآخر ما تحدثنا فيه عن الأغنياء في القرآن الكريم، تحدثنا في خطبتين عن هؤلاء الأغنياء، ومن الأغنياء الصالحون الطيّبون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ومنهم سيّدنا أبو بكر الصديق، ومنهم الأنبياء الصالحون، ونتحدّث عن الأغنياء الفاسدين الذين غضب الله عليهم، وبعّدوا عن الله، وأعرضوا عنه.

نموذج قارون:

من أشهر الأغنياء في التاريخ كلّهُ غنيٌّ معروف اسمه قارون، ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]، وأصبح يُضاف إلى أعداء موسى ﷺ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَزْنَ وَقَرُوتَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]، فالعجيب أن قارون ضُمَّ إلى فرعون وهامان، فرعون يمثل المَلَكِيَّة المُتَالِّهَة

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٨ مارس ٢٠١٣م.

الْمُتَجَبِّرَةِ، وهامان يمثل الوزارة المعاونة للملك والمستبدة بالأمور، والتي تطيع الملك في الشرّ وفي كلّ شيء، وقارون يمثل الرأسمالية المتعاونة مع الملكية الطاغية، التي تأكل المال بالباطل، وتأكل حقوق الناس، ولا تؤدّي لفقر ولا لمُعوز حقّه، فكلّهم أن تقول بأنّها صاحبة المال، لا تعترف بأنّ المال مال الله، وأنّ الغنيّ مُستخلف في هذا المال!

قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. هذا مالي جمعته بذكائي وبدهائي وبتخطيطي، ونسي فضل الله تبارك وتعالى، ﴿وَأَيُّنُهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِن مَفَاتِحُهُ لِنُؤُا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ [القصص: ٧٦]، لم يكن الفرح هنا فرحاً بنعمة الله، فالإنسان لا يُنهي عن الفرح إذا كان فرحاً طبيعياً، القرآن يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. والشهداء يفرحون بما آتاهم الله من فضله، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، أمّا الفرح بغير الحقّ، أن يفرح بما ليس له، ويعتبر أنّ كلّ شيء له؛ حتّى النّاس يعتبرهم ملكه، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، فرح البطر والاستعلاء، لا يحبّ الله هذا النوع من الفرح، وهؤلاء الفرّحين المغرورين المستكبرين على الناس.

أحسن كما أحسن الله إليك:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، نحن لا نمنعك أن تتمتع بما أنعم الله عليك، لا، بل تمتع في الدُّنيا بنعم الله عليك، ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، كما أنعم الله عليك: أنعم أنت على الناس، وكما أعطاك أعطِ الناس، كما أنّ لك نعمة فليكن للناس فيها خير وفضل،

﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. هذه مواضع المؤمنين لكل ذي مال، الطبقة الفقيرة تنصح الطبقة الغنية بهذه الوصايا.

شأن الأغنياء الرأسماليين الطغاة:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨]، كان عند قارون كنوز وصفها الله بقوله: ﴿وَأَيُّنَّهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. مفاتيح الخزائن التي فيها أمواله يشق حملها على مجموعة من الرجال الأقوياء، وليس على واحد فقط؛ بل مجموعة أشداء تستثقل حمل هذه المفاتيح، فماذا كان عنده من المال؟ عنده شيء كبير جدًا، ولكنه احتكره لنفسه، ولم يرَ لأحد فيه حقه، وهذا شأن الأغنياء الرأسماليين الطغاة، الذين يعتبرون كل مال لهم، وكل نعمة لهم، وليس لأحد عندهم حق!

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، خرج قارون على الناس بجموعه وأتباعه وحراسه، وبموكبه وزينته، وبالمظاهر التي تفتن ضعاف الناس، فقال هؤلاء الضعفاء الذين كل همهم الحياة الدنيا: ﴿يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾. لأن عنده مال كثير؛ فلا بد أن يكون حظه عظيمًا!

ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا:

وليس كل من أوتي المال أوتي حظًا عظيمًا، كم ممن أوتي المال وحُرِّم الأولاد، وكم ممن أوتي المال وحُرِّم الصحة، كم ممن أوتي المال وحُرِّم العقل، وكم ممن أوتي المال وحُرِّم الإيمان، ما قيمة المال في هذه الحالة؟ فليس كل ذي مال صاحب حظ عظيم، هذا غلط، فالذين

يريدون الدُّنيا تمنوا مثل ما أُوتي قارون، أمَّا الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، وَأُوتُوا الْبَصِيرَةَ، وَأُوتُوا الْفَهْمَ، وَأُوتُوا الْمَعْرِفَةَ، هَؤُلَاءِ قَالُوا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

ليست الدُّنيا وليس المال هو كل شيء، من أُوتي ثواب الله لأنَّه عمل عملاً صالحاً هو الأهم، فهذا سليمان بن داود حينما قيل له: يا ابن داود لقد أُوتيت ملكاً عظيماً. أُوتي من الجنود الإنس والجن والطير، كل هذا في ملكه، فقال لهم: تسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممَّا أُوتي ابن داود؛ فَإِنَّ التَّسْبِيحَةَ فِي صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ تَبْقَى، وَمَا أُوتِيَ ابْنُ دَاوُدَ يَزُولُ ويفنى^(١). فهؤلاء الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَحَدَّهَا مَخْطُؤُونَ.

نهاية قارون:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، انظر كيف انقلبت الأحوال، قارون الطاغية هذا، المتكبر على النَّاسِ بأمواله، وبكنوزه التي تنوء مفاتيحها فقط بالعصبة أولي القوَّة، صحيح المفاتيح لم تكن مفاتيح صغيرة مثل مفاتيح النَّاسِ اليوم، ولكن أن تنوء بها عصبة من النَّاسِ: عدد من الأقوياء؛ فهو دلالة على مدى ما يملك من الخزائن، حينما أراد الله أن يزيل هذه الخزائن أزالها بالكاف والنون، كن فيكون، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، زولي فتزول، اذهبي فتذهب.

فخسف الله بقارون وبداره، وما فيها من خزائن وكنوز، ينظر إليها الناظرون، ويعدها العادون، ويحصيها المحصون، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١]، أراد الله أن يجعله عبرة للنَّاسِ!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٢)، عن أبي عمران الجوني.

هناك كثير من الأغنياء ليس من الضروري أن يخسف الله بهم، يتركهم للحوادث، للأمراض، للصوص، للأعداء، للدهر يعمل عمله معهم، ولكن قارون غني من الطغاة الذين يقارنون بفرعون وهامان، فلذلك كان جزاؤه الخسف، كما يقول الله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ما ظلمهم الله، هم الذين ظلموا أنفسهم، ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص: ٨٢]، كنا نتمنى أن يكون لنا مثل ما أوتي قارون؛ فالحمد لله أنه نجانا مما أصاب به قارون، ليس الغنى هو كل شيء، ما قيمة أن تغني وأنت كافر بنعمة الله، وكافر بخلق الله، وكافر بحق الله، لا تعتقد أن لأحد عندك شيئاً، وأنت مستخلف في مال الله، ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٢، ٨٣].

الجنة للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا:

الذين لهم الجنات في الدار الآخرة، ولهم المقامات العالية عند الله: رضي الله عنهم ورضوا عنه، رضا مشترك بينهم وبين ربهم، هؤلاء الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا في الأرض. العلو: الطغيان على الناس، والفساد في الأرض: يُغلي على الناس أسعار السلع: المأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والأدوية، عنده من الأموال ما يكفي؛ لكنه يريد أن يهلك الناس ويزداد هو مالاً.

الطغيان والفساد هو الذي أهلك الناس، ولذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ [الفجر: ١١، ١٢]. جمعوا بين الطغيان والفساد، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٣، ١٤]، فهذا لون من الأغنياء، قارون المفسد في الأرض الذي جعله الله عبرة لكل أغنياء العالم!

ماذا لو أن قارون رضي بما كتب الله له من هذا المال، وأخرج للفقراء حظهم منه؟ لو كان مسلماً كان مطلوباً منه الزكاة، زكاة التجار عادة اثنان ونصف في المائة (٢,٥٪)، فإذا أخرجتها تبقى لك سبعة وتسعون ونصف في المائة (٩٧,٥٪)، علاوة على أنك قد تكسب عشرة في المائة، وثلاثين في المائة، وخمسين في المائة، ومائة في المائة، ومائتين في المائة، فما يؤخذ منك قليل جداً بجوار ما يبقى لك وما تربحه! ولكن الأغنياء الطغاة المتجبرين في الأرض لا يشبعهم شيء، هم كجهنم يُقال لها: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. بطن جهنم لا تشبع أبداً، كلما وضع في جهنم من أهل الشر وأهل الكفر وأهل الطغيان: لا تشبع، وهؤلاء لا يشبعون أبداً.

أهل سبأ:

ذكر لنا القرآن من الأغنياء الفاسدين أهل سبأ، وسبأ منطقة معروفة في اليمن، تحدثنا عن بلقيس ملكة سبأ في فترة من الفترات، كانت من الملوك العادلين، برغم أنها لم تكن مؤمنة في ذلك الوقت، ولكنها كانت عاقلة، وانتهت بأمرها إلى أن أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، ونجت بقومها من خسران الدنيا والآخرة.

ذكر الله سبأ في القرآن فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]. حينما يؤتيك الله النعمة عن يمينك وعن شمالك، ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، مليئتَان بالخيرات، وبالحبوب والفاكهة، والنخل والرمان، وبكل ما يحبه الناس، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾.

ما هو المطلوب منك حينما تؤتي النعمة؟ أن تأكل من هذه النعمة الطيبة وتشكر الله، وشكر الله لا يكون بمجرد قول: الحمد لله؛ بل يجب مع هذا القول أن تؤدّي حقّ النعمة، إذا كان هناك فقراء لا يجدون من نعمة الله ما تجده أنت؛ فلهم حق عليك أن تطعم جائعهم، وأن تعطي فقيرهم، وأن تُعين عاجزهم، وأن تقوي ضعيفهم، وأن تبحث عن حاجاتهم فتقضيها، وعن مشكلاتهم فتعالجها، هذا هو شأن النعمة، ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾، هل هناك أفضل من هذا؟ أن يهيئ الله لك بلدة طيبة تنعم عليك بكل ما تحتاج إليه، وأن يكون لك رب غفور، مهما قصرت فهو يشكر ما قدمت من عمل قليل، ويغفر ما أذنبته من ذنب كبير، يغفر الذنب الكبير، ويقبل العمل القليل، شكور غفور، ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾.

ولكن أهل سبأ استمروا هكذا مدة من الزمن، ونعم الله عليهم تترى، والله تعالى من سنته كما يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. إذا شكرت الله تعالى على نعمته دامت لك، واستقامت لك النعمة وطالت، يمكن أن ترثها من أبيك، ويرثها ابنك، ويرثها حفيدك وتستمرّون سنين طويلة، ولكن احذر ألاّ تسير على هذه الطريقة!

إذا كفرت بنعمة الله عليك؛ فسرعان ما تنزل نقمة الله عليك، ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، عذاب الله شديد، فهو يرصد النَّاس ويسجل لهم وعليهم كل ما يعملونه، ليس الله بغائب عن الناس، الله حاضر مع الناس، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية، كل ما تفعله بيدك، وكل ما تضمه في نفسك؛ ممَّا تظن أن أحدًا لا يعلمه، الله سُبْحَانَهُ يعلمه، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]. الله يعلم كل شيء.

فأعرضوا فأرسل الله عليهم سيل العرم:

بعد أن أنعم الله على قوم سبأ بهاتين الجنتين أعرضوا عن الله، وعن شكر نعمة الله، وعن أداء حق الله في النعمة، ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ﴾ [سبأ: ١٦]، سيل عارم، ألا تنظرون ما نقرؤه بين حين وحين، عن السيول التي يبعثها الله على الناس، السيل الذي يأتي في أمريكا وفي آسيا وفي بلاد كبرى، في الصين واليابان والهند، وبيتلع القرى والمدن ويهلكها؟!!

المياه التي بها الحياة، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، حينما يزيدها الله تهلك الحرث والنسل، والزرع والضرع، لا تبقي أحدًا ولا شيئًا، فحينما أعرض أهل سبأ عما أراده الله منهم أرسل عليهم سيل العرم، ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦]، ما عاد فيهما الأكل الطيب، والرائحة الطيبة، والورود الجميلة، والأشياء التي كانوا يستمتعون بها، ليس فقط بالأكل، بل حتَّى بالظل، بجمال المنظر، ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿فَأَنْبَتْنَاهُ حَدَاقٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠].

النبات ليس أكلاً فقط، النبات أكلٌ وظلٌّ ورؤيةٌ وشمٌّ، كلُّ حواسِّكَ تستمتع بهذا النبات، فرُبُّنا بدَّلهم بهذا النبات نباتاً آخر، ليس فيه إلَّا قليل من السدر أو النبق، البلاد في حالة القحط يكون فيها سدر قليل، لكن حين تكون البلاد بخير يكون فيها سدر كثير، ويكون فيها نحل، ويكون فيها عسل، ويكون فيها ظل كبير، فهؤلاء قال الله تعالى فيهم: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

جزاء الكفر بنعم الله:

لماذا جزينا أهل سبأ هذا الجزاء بعد جنتيهم الخضراوتين جنتان يابستان، وبعد الطعام الطيب والفواكه العظيمة والحبوب المتوافرة: أصبحت هناك أشياء قليلة جدًّا، لا تغني عنهم شيئاً؟ قال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾. كفروا بنعمة الله، ومن كفر بنعمة الله استحق العقوبة، ويعاقبه في الدُّنيا قبل أن يعاقبه الآخرة، كثير من العقوبات تُعجل في الدُّنيا حتَّى يرى النَّاسُ ماذا يصنع الله بهذا العالم، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يُفَقِّهنا في كتابه، وأن ينعم علينا بنعمه، وأن يعلمنا شكرها حتَّى تبقى لنا وحتى تزيد علينا، حتَّى يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

نتناول عادة في خطبتنا الثانية أحوال المسلمين المعاصرة، خطبة الجمعة خطبة إسلامية، والخطبة الإسلامية لا بد أن تُعنى بأمور الناس، ما يعيش النَّاس فيه، وما يشكو النَّاس منه، ولذلك لا بد أن تتناول من هذه الأمور التي يسأل النَّاس عنها، يبحثون عما يجري فيها، ومن حق النَّاس أن يُجابوا عما يسألون عنه.

والمسلمون كلُّهم أُمَّة واحدة، بعضهم لبعض كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. كل المؤمنين والمؤمنات أينما كانوا، ليس في قطر وحدها، ولا في الخليج العربي وحده، ولا في البلاد العربية دون غيرها، بل كل المؤمنين والمؤمنات في أي مكان، في البلاد العربية، في الهند، في السند، في تركيا، في أفغانستان، في باكستان، في إفريقيا، في آسيا، في كل مكان: المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، ولذلك اعتدنا أن نتحدث عن بعض ما يجري على المؤمنين.

قضية فلسطين:

وفي هذه الخطبة أحديثكم عما يجري في قضية المسلمين المركزية الأولى، أنتم تعرفون ما هي؟ هي قضية فلسطين، أعدل قضية، ناس أخرجوا من ديارهم بغير حق، ناس كانوا يعيشون في ديارهم آمنين مطمئنين، ديارهم التي ورثوها من آبائهم من مئات السنين، وربما من

آلاف السنين، جاء أناس من خارج هذه الأرض وأخرجوهم من ديارهم، شردوهم في آفاق الأرض، وعاشوا هم في هذه الأرض، وبدلوا أسماءها، أخذوا هذه الأرض وطرّدوا أهلها منها، منهم من هاجر من فلسطين إلى بلاد العرب، وخارج بلاد العرب، في أوروبا وفي أمريكا، وفي كل مكان، ومنهم من بقي في فلسطين في مكان آخر.

ولكن البلد الظالم الذي لم يكن له وجود في فلسطين قبل ذلك، بعض الناس لا يصدقون ذلك حين تقول له: هل تعرف أن إسرائيل لم تكن موجودة؟ يقول: معقول، كيف ذلك؟ ثمّ يرجع إلى التاريخ فيعرف أن إسرائيل وُلدت سنة ١٩٤٨م. قبل ذلك لم يكن لها وجود في فلسطين، في القدس، ولكنّها فرضت نفسها بالقوّة وبالسلّاح، عملت عصابات وسلّحت نفسها، وكان الذين يحكمون فلسطين في ذلك الوقت الإنجليز؛ فسلّحوهم بكل ما يستطيعون ومنعوا السلّاح عن العرب أهل فلسطين، لا يجوز لهم أن يحملوا أيّ سلاح، والآخرون يحملون القنابل والمدافع، والبنادق والرصاص، والسلاح الأبيض والأحمر.

ثمّ فرضوا أنفسهم سنة ١٩٤٨م. وبعد دقيقة واحدة اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بدولة إسرائيل، واعترفت روسيا بعدها بدقائق، والإنجليز والفرنسيين وكل العالم الغربي هؤلاء اعترفوا بإسرائيل، وقالوا: إنّ إسرائيل خُلقت لتبقى.

وظلت إسرائيل تحارب أهل فلسطين، وتنتزع أرضهم يومًا بعد يوم، ولا تزال إلى اليوم تنتزع الأرض، ليس الأرض السكنية فقط، أهل فلسطين لا يستطيعون أن يعيشوا كما يشاءون، الأسيرة بعد مدة تكثر، كان أب وأم ولهما أولاد، وصار لهما أحفاد، وصار للأحفاد أولاد، مساكن

الآباء والأجداد تضيق عنهم، ولهم أراض لكنهم لا يستطيعون أن يبنوا فيها دياراً لهم، إسرائيل تضع من الشروط ما يعجزهم، بينما هي تأخذ ما تريد وتنشئ مستوطنات جديدة في أرض الفلسطينيين، ولا يستطيع الفلسطينيون المسكين أن يبنوا داراً له تسع أولاده وأحفاده.

ليس هذا فقط، المقابر أيضاً، هناك مقبرة في القدس اسمها (مقبرة مأمّن الله)، مقبرة قديمة، دفن فيها من أصحاب رسول الله ﷺ، ودفن فيها تابعون لهم بإحسان، وفيها علماء وأدباء وشعراء، وأناس من كبار الصالحين ومن أهل الله، ومن خير الناس على طوال العصور، هذه المقبرة أرادت إسرائيل أن تستولي عليها، إسرائيل التي سُميت باسم نبي الله يعقوب، وهم أبعد شيء عن يعقوب، فيعقوب يبرأ منهم، ويوسف يبرأ منهم، وإبراهيم يبرأ منهم، وكل أنبياء الله يبرؤون منهم، وكل المؤمنين بالله يبرؤون منهم، ومن طغيانهم ومن إفسادهم في الأرض، ومن ظلمهم للخلق، ومن تجرؤهم على الحق، ومن إتيانهم للباطل، هؤلاء ظلوا يأخذون من مقبرة مأمّن الله جزءاً ثم جزءاً حتى أخذوا منها (٨٥٪)، وهي دونمات كبيرة، مقبرة كبيرة ظلت تاريخاً، أربعة عشر قرناً يدفن الناس فيها، فهي تنبش القبور وتُخرج العظام وترمي بها، وتقيم حدائق ومقاهي وتفعل ما تريد.

هذه هي إسرائيل، والعرب والمسلمون يقفون يتفرجون، هذه أمور يغلي منها الدم، حين يرى الإنسان هذه الأشياء ماذا يفعل؟ يغلي من داخله، ولكن لا بدّ من أمة تغار على حقوقها وعلى حرمانها، ولكن الأمة مشغولة بما تعانيه في بلادها، كانت أمة واحدة عليها سلطان واحد، خليفة واحد، مزقوها وأصبحت كل منطقة صغيرة كياناً مستقلاً، وهذه الكيانات

متضاربة، فأصبح هؤلاء يفعلون ما يشاؤون، (١٥٪) فقط هي التي بقيت من مقبرة مأمّن الله، وهي مهددة أن تصبح كلها أرضاً عادية لإسرائيل، ما دام العرب والمسلمون لا يبحثون عن حقهم ولا يدافعون عنه.

قضية الأسرى في سجون الصهاينة:

انظروا إلى إخواننا الفلسطينيين، هناك أيضاً قضية الأسرى، هناك أكثر من ثمانية آلاف فلسطيني وعربي في سجون إسرائيل يسومونهم العذاب، هؤلاء رفضوا هذا الظلم، طالبوا بحقوقهم، طالبوا أن يعيشوا بكرامتهم، وأن يعيشوا بحريتهم، وأن يكون لهم ما يكون لكل إنسان في الأرض، ولكن أبى عليهم هؤلاء، فأراد الفلسطينيون أن يحتجوا على هؤلاء الإسرائيليين الظلمة الطغاة المفسدين في الأرض؛ فأضربوا عن الطعام، أضرب عدد منهم مثل الأخ سامر العيساوي، الذي يسير الآن في المائة الثالثة من الأيام، وهو بمعدة خاوية، يصيبه ما يصيبه، ولكنه أبى أن يفطر من هذا الصيام، أبى أن يأكل شيئاً، والله وَجَلَّ جَلَالُهُ لهؤلاء الأسرى.

لا بدّ لنا نحن العرب، ونحن المسلمين، ونحن الشرفاء في الأرض، الأحرار في العالم، كل من تُهمه حرّية الإنسان وكرامته من أيّ وطن كان، ومن أيّ دين كان، ومن أيّ حيثيّة كان؛ لا بدّ أن يغضب لهؤلاء الأسرى الجائعين، أصحاب الأمعاء الخاوية، لا بدّ أن نشأّر لهم ونغضب لهم، لأنّهم إخواننا، ولأنّهم منّا ولأنّنا منهم، فهؤلاء هم إخواننا في فلسطين.

قضية العراق:

كنتُ أريد أن أحدّثكم عن إخوانكم في العراق الذين يعانون ما يعانون، من بطش المالكي، ومكر المالكي، ومن وراء المالكي،

الَّذِينَ يَعَامِلُونَ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ حَيَوَانَاتٌ، لَا حَقَّوْقَ لَهُمْ وَلَا شَأْنَ لَهُمْ، وَهُمْ أَنَاسٌ يَسْمَعُونَ وَيَبْصُرُونَ وَيَعْقِلُونَ، وَيَحْيُونَ كَمَا يَحْيَا الْبَشَرُ، وَلَهُمْ كِرَامَتُهُمْ، وَلَهُمْ حَرِّيَّتُهُمْ، وَلَهُمْ مَسَاوَاتُهُمْ بِغَيْرِهِمْ.

هَؤُلَاءِ النَّاسُ لَهُمْ مَطَالِبٌ، يَرِيدُونَ أَنْ يَتَسَاوَوْا بِغَيْرِهِمْ، مَلَائِينَ مِنَ النَّاسِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ السُّنِّيَةِ الَّتِي ضَجَرَتْ آخِرَ مَا ضَجَرَتْ، وَنَقَمْتُ آخِرَ مَا نَقَمْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ لَهَا أَنْ تَعِيشَ فِي الْأَرْضِ، كُنَا نَرِيدُ أَنْ نَذْكُرَ هَؤُلَاءِ وَنَعْرِفَ مَاذَا يَرِيدُونَ.

كُنَا نَرِيدُ أَنْ نَحْدِثَكُمْ عَنِ الْإِخْوَةِ فِي مِصْرَ، وَمَاذَا يَنْتَظِرُونَ مِنْ ائْتِخَابَاتٍ، وَلَا بَدَّ أَنْ تَجْرِي ائْتِخَابَاتٌ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ، لَا يَجُوزُ أَنْ نَرْفُضَ ائْتِخَابَاتٍ، فَهِيَ الَّتِي تَرِيكَ مَدَى ثِقَةِ النَّاسِ بِكَ، وَمَدَى قَدْرَتِكَ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ النَّاسَ يَحْتَرِمُونَكَ، فَلَا بَدَّ مِنْ إِجْرَاءِ ائْتِخَابَاتٍ.

كُنْتُ أَرِيدُ أَنْ أَحْدِثَكُمْ عَنِ إِخْوَتِنَا فِي سُورِيَا وَقَدْ عَزَمُوا أَمْرَهُمْ، وَانْتَهَى مَجْلِسُ الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَنْ يُمْكِنَهُمْ: أَنْ يَكُونَ لَهُمْ سِلَاحٌ فِي أَيْدِيهِمْ، يَدَافِعُونَ بِهِ أَمَامَ الَّذِينَ يَضْرِبُونَهُمْ بِالطَّائِرَاتِ وَبِالْبُورَاجِ الْحَرْبِيَّةِ، يَضْرِبُونَهُمْ بِالصَّوَارِيخِ، يَضْرِبُونَهُمْ بِالْمَدَافِعِ، يَضْرِبُونَهُمْ بِالْقَنَابِلِ، يَضْرِبُونَهُمْ بِكُلِّ سِلَاحٍ، فِي حَارَاتِهِمْ وَفِي أَزْقَتِهِمْ، وَفِي بِيُوتِهِمْ وَفِي شَوَارِعِهِمْ، لَا بَدَّ لِلْإِخْوَةِ فِي سُورِيَا أَنْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُمُ السِّلَاحُ، وَلَا بَدَّ لِلْعَالَمِ أَنْ يَتَحَرَّكَ لِيَسَانِدَ هَؤُلَاءِ الْمَظْلُومِينَ، الَّذِينَ صَارَ لَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ سَنَتَيْنِ وَهُمْ يَحَارِبُونَ هَؤُلَاءِ الطَّغَاةَ الْمَجْرِمِينَ، الَّذِينَ يَقْتُلُونَ شُعُوبَهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ أَنََّّهُمْ شُعُوبُهُمْ أَبَدًا، هُمْ يَقَاتِلُونَهُمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، كُنْتُ أَرِيدُ أَنْ أَحْدِثَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ.

كنت أريد أن أحدثكم عن عددٍ من القضايا العربيّة والقضايا الإسلاميّة، ولكنّي أكتفي بهذا، وأنتم على وعيٍ بهذه الأمور كلها، ادعوا الله تبارك وتعالى أن ينصر أهل الحقّ والعدل، ويخذل أهل الباطل والظلم.

اللهمّ انصر إخوتنا في سوريا، وانصر إخوتنا في مصر، وانصر إخوتنا في تونس، وانصر إخوتنا في ليبيا، وانصر إخوتنا في اليمن، وانصر إخوتنا في المغرب، وانصر إخوتنا في فلسطين، وانصر إخوتنا في كلّ مكان يُظلمون فيه يا ربّ العالمين.

اللهمّ انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهمّ هَيِّئْ لنا من أمرنا رشداً، اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربّنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهبْ لنا من لدنك رحمةً؛ إنّك أنت الوهاب، ربّنا آمنا بما أنزلت واتّبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشاهدين.



الأغنياء في القرآن الكريم (٣) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا فِي حَدِيثِنَا عَنْ مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ مَوْضُوعَاتُ شَتَّى فِي كُلِّ أُمُورِ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ، مَا يَهْتَمُّ بِهِ الْأَفْرَادُ، وَمَا تَهْتَمُّ بِهِ الْأَسْرَ، وَمَا تَهْتَمُّ بِهِ الْمَجْتَمَعَاتُ، وَمَا تَهْتَمُّ بِهِ الْأُمَمُ، وَمَا تَهْتَمُّ بِهِ الدُّوَلُ، وَمَا تَهْتَمُّ بِهِ الْإِنْسَانِيَّةُ كُلَّهَا.

تَحَدَّثْنَا عَنِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فِي الْقُرْآنِ، وَانْتَهَيْنَا مِنْ هَذَا، وَتَحَدَّثْنَا عَنِ الْأَغْنِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ، وَبَقِيَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كَلِمَةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا عَنْ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ.

حَدَّثَنَا الْقُرْآنُ عَنْ أَغْنِيَاءٍ مَعْرُوفِينَ مِثْلَ قَارُونَ الَّذِي أَوْتِيَ ﴿مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

صاحب الجنَّتين:

وَحَدَّثَنَا اللَّهُ عَنْ أَغْنِيَاءٍ آخَرِينَ لَمْ يَذْكُرْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَإِنَّمَا جَعَلَ قِصَصَهُمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ؛ لِيَتَعِظَ النَّاسُ بِأَمْرِهِمْ، وَذَلِكَ مِثْلُ مَا ذَكَرَ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدَوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٢ مَارَسَ ٢٠١٣ م.

القرآن في سورة الكهف عن قصّة صاحب الجَنَّتَيْنِ، ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أُكْلَاهَا وَلَمْ يَتَذَكَّرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف: ٣٢، ٣٣]، أعطاه جَنَّتَيْنِ مثمرتين وارفتين، فيهما ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين.

ولكن صاحب هاتين الجَنَّتَيْنِ لم يكن من المؤمنين بالله، لم يعرف رب هذه النعمة، ولم يعرف قدر هذه النعمة، أنّها منّة من الله عليه، فكفر ولم يشكر، وجحد ولم يؤمن، ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤]، كل ما آتته هذه النعمة هو الغرور.

والمال أساس لغرور الإنسان وطغيانه، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿١﴾﴾ [العلق: ٦، ٧]، متى يطغى الإنسان؟ ليس بمجرد الغنى، يمكن أن يغنيك الله ويؤتيك المال الكثير ولا تطغى، لأنك ما دمت تعلم أن هذا المال مال الله، وأنت مستخلف فيه، مجرد موظف في هذا المال، مثل أمين الصندوق يكون عنده ملايين ولكنه لا يملك شيئاً منها، هو موظف لإدارة هذا الصندوق، إذا عرف صاحب المال هذا: عرف قدر ما هو فيه، وعرف فضل الله عليه.

ولكن هذا الرجل صاحب الجَنَّتَيْنِ لم يعرف هذا، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]، من ظلمه لنفسه، وعدم معرفته بقدر نفسه، وأنه مجرد مخلوق له خالق، ومربوب له رب، وإنسان يفنى ويزول - نسي هذا كله وقال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٧﴾﴾. هذه جنة خالدة مستمرة أبد الدهر، تموت الأشياء وهي حية، وتذهب الأشياء وهي باقية، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴿٣٨﴾﴾، الذي يقوله الأنبياء أن

هناك دار آخرة، وأن هناك ساعة ستقوم على الناس، وأن هذا الكون سيتغير كل ما فيه، ويذهب كل ما فيه: ما أظن هذا صحيحًا.

مخطئ من لا يعرف قوانين الله وسننه:

﴿وَلَيْنَ رُدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، لو فرض أن هناك حياة أخرى، وسنرجع إلى الله: سأجد أن هذه الآخرة أحسن من الدنيا، كما أنني كان عندي في الدنيا هذه الجنات الوارفة الخضراء المظلة؛ سيكون عندي في الآخرة أحسن منها أيضًا! هكذا يظن الأغنياء أنهم طالما كانوا في الدنيا منعمين سيكونون في الآخرة أكثر تنعيمًا، وكذبوا والله، الآخرة دار لا يبقى فيها إلا الصحيح، لا يصح فيها إلا الصحيح، كل الزائف والباطل منهدم وزائل، لكن هناك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، في هذه الدار تؤتي الأشياء أكلها في حينها، فهذا الرجل الذي ظن أنه إذا جاء في الآخرة: ستكون له دار خير من الدار، وأفضل منها، وأكثر نعمًا.. هذا رجل جاهل مخطئ لا يعرف الله، ولا يعرف قوانين الله ولا سنن الله.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۖ لَّيَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧، ٣٨]، كلامك هذا كفر بالله، لا يقول هذا الكلام من خلقه الله من تراب في البداية مع آدم، ثم خلقه من نطفة من أبيه وأمه، ثم سواه رجلاً.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، رجعت بكل حولك وقوتك إلى الله، لا إلى نفسك، أنت ضعيف والله هو القوي، وأنت عاجز والله هو القادر، وأنت غير مالك والله هو المالك، ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، ليس لي قوة حتى أملك هذه

الحديقة، أو أخرج منها عودًا واحدًا، أو ثمرة واحدة، أو ورقة واحدة! من منا يستطيع أن يُنبِت حبة؟ الله هو الذي يُنبِت الحبوب، هو الذي يُخرج الأشجار والأثمار، ﴿وَأَيُّهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ * وجعلنا فيها جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴿[يس: ٣٣ - ٣٥]، لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِ اللَّهِ الذي عمله الله.

ربنا هو الذي عمل هذه الأشياء وخلقها، وأنبتها وسقاها، وربّاهَا وغذاها، وهَيَّأَ لها من كل ما في الأرض، ومن كل ما في الجو، ومن كل ما في السماء، شمس السماء وإشراقها يأتي هذا الحب وهذا النبات بكل ما يحتاج إليه، ولذلك يقول له: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. لا تظن أنك بفضلك وقوتك الذي صنعت هذا الصنيع، هذا صنع الله الذي أتقن كل شيء.

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ:

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٩ - ٤١]، وبالفعل جاءه قدر الله على غير ما يتوقع؛ فأزال هذه الحديقة، لم يعد هناك شجر ولا ورق ولا ثمر، نزل عليها حُسابان من السماء، صاعقة من السماء، آفة سماوية من عند الله أهلكت هذا الزرع كله، وهذا الشجر كله، وهذا الثمر كله، ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيِّنِي لِمَا أَشْرَكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ [الكهف: ٤٢، ٤٣]، لم يكن هناك أحد يغنيه ويدفع عنه آفة السماء هذه، ومن تكون عنده القدرة على أن

يدفع آفات السماء؟ صاعقة نزلت من السماء أحرقت زرعه وثمره، فمهما كان عنده من حُرَّاس، ومهما كان عنده من أصحاب أسلحة، ومهما كان عنده من عزوة وقوة، كل هذا لا يغني عنه من الله شيئاً، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿[الكهف: ٤٣، ٤٤].

الشكر يضاعف النعمة:

هذا أحد الأغنياء الذين ذكرهم الله لنا في القرآن، ولو أنه عرف أن هذا المال من عند الله، وأن فيه حقوقاً لله كما أن فيه حقوقاً لصاحبه، وأخذ ما يستحق من هذا المال، وأعطى أصحاب الحقوق حقوقهم، وشكر نعمة الله عليه؛ لضاعف الله له هذا المال، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ويقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. هذا أحد الأغنياء.

أصحاب الجنة:

وذكر لنا القرآن أغنياء آخرين قصتهم معروفة في سورة القلم، سورة ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧، ١٨]. كان عندهم جنة فيها أشجار وثمار وخضروات، وأشياء من التي يعتز الناس بها، ويعتبرونها من أعظم نعم الله. وكان لهؤلاء أب صالح، يأخذ حظه منها، ويعطي حق الفقراء والمساكين، في كل سنة يعمل هذا، ويحفظ الله عليه جنَّته، ويبارك له فيها.

ثم جاء أولاده من بعده، ولم يكونوا على سُنَّة أبيهم، كانوا بئس الولد لنعم الوالد، أقسموا فيما بينهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، اتَّفَق بعضهم مع

بعض على أن يقطعوا ثمار هذه الجنة في الصباح الباكر، حتى لا يأتي الخبر إلى المساكين، وقد كان المساكين يأتون يوم القطاف ويوم الحصاد؛ ليأكلوا من بعض الأشياء التي ترمى في الأرض، يجمعونها ليستفيدوا منها، فحتى ما يسقط من هؤلاء أبوا أن يكون للفقراء حقهم فيه، لم يريدوا أن يشاركهم أحد إطلاقاً، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لِبَصَرِئِهَا مُصْبِحِينَ ۖ وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾، أي: لا يستثنون شيئاً من هذه الحديقة، أو لا يقولون: إن شاء الله. ما قالوا حتى: إن شاء الله. فهم يصرفون الأمور دون الاعتماد على الله وعجل وعلى مشيئة الله سبحانه.

فطائف عليها طائف من ربك:

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ۖ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩، ٢٠]، أصبحت كالأرض المحروقة تماماً، ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ [القلم: ٢٣]، يتكلمون في السر فيما بينهم، ﴿أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۖ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾ [القلم: ٢٤ - ٢٦]، لمَّا وصلوا حديقتهم وجدوها محروقة فما عرفوها وقالوا: نحن ضللنا الطريق. ثمَّ نظروا إلى جيرانهم من كل ناحية؛ فوجدوا النَّاس هم الناس، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ [القلم: ٢٧]. لا بدَّ أن نقمة الله حرمتنا هذه النعمة.

المجتمع ممزوج بين الخير والشر:

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، دائماً القرآن يعرض لنا المجتمعات بكل ما فيها، يعلمنا أنَّ المجتمعات ليس فيها شر مطلق؛ بل لا بدَّ فيها من خير، أي مجتمع من الأشرار لا بدَّ أن يوجد فيه ولو واحد خيِّر! إخوة يوسف أرادوا أن يقتلوه، ولكن بينهم من رفض قتله،

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾ [يوسف: ١٠]، فهؤلاء الإخوة البخلاء الذين شحوا على عباد الله كان فيهم رجل سماه القرآن (أوسطهم)، الأوسط هو الأعدل والأخير، الوسط هو الخير دائماً، ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾، أَلَا تُسَبِّحُونَ الله وتذكرون الله وتستغفرون الله؟! ﴿ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم: ٢٩].

هكذا عاقب الله ﷺ هؤلاء، ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿ [القلم: ١٩، ٢٠]، طاف على هذه الجنة طائف من عند الله ﷻ؛ فأصبحت كالارض المحروقة، ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣]. على كل حال أصبح أصحاب هذه الجنة يلوم بعضهم بعضاً، تأسفوا على ما حدث، وما حدث حدث! ولكن هذا التلاوم يدل على أنهم تابوا إلى الله ورجعوا إلى أنفسهم، وعرفوا أن الله حق، وأن المال زائل، وأن الذي يبقى هو الخير الذي تقدمه للناس، هؤلاء ناس من الأغنياء ذكرهم القرآن الكريم.

من أغنياء العرب:

وذكر القرآن أناساً من أغنياء العرب في حياة النبي ﷺ، ممن وقفوا في طريق دعوات الأنبياء، وكل دعوات الأنبياء جاءت بإصلاح الناس، وهداية الناس، وإعزاز الناس، بجلب الخير في الدنيا والآخرة للناس، ما جاء الأنبياء بشر للناس أبداً، كل الرسل والأنبياء جاؤوا بالخير لأممهم وأقوامهم، ولكن هؤلاء وقفوا ضد الرسل، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿ [سبأ: ٣٤، ٣٥]، ليس كل الأغنياء، وإنما الأغنياء المترفون، والمترف هو المسرف والمبذر، والذي ينفق المال يميناً

وشمالاً في ترفه، يلبس الحرير، ويتحلّى بالذهب، ويشرب الخمر، وينفق في غير طائل، هذا هو المترف.

دور المترفين في تدمير الأمم وهلاك المجتمعات:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، هؤلاء هم الذين يدمرون الأمم، ويهلكون المجتمعات بترفهم وسرفهم، هم يترفون من ناحية، ويبخلون من ناحية أخرى! ينفقون الألوف المؤلفة وربما الملايين على ما حرم الله، ويبخلون بالدراهم القليلة على ما أوجب الله وَعَلَى!

انظروا.. أوجب القرآن الزكاة، والزكاة شيء قليل من مال كثير، اثنان ونصف في المائة (٢,٥٪)، حينما يقول الله لك: أخرج اثنين ونصف في المائة (٢,٥٪) من مالك. ومالك أنت تثمره وتنميه؛ فيأتي لك بعشرة في المائة، أو عشرين في المائة، أو ثلاثين في المائة، أو مائة في المائة، وأحياناً مائتين في المائة، ويقول لك: أخرج منه اثنين ونصف في المائة (٢,٥٪). فتبخل بهذا، يمكن لبعض الناس الذين عندهم القليل من المال أن يدفعوا زكاته، أمّا الذين عندهم الملايين والبلايين، واحد عنده مليار سيدفع منه خمسة وعشرين مليوناً، لكن لو عندك مائة ألف ستدفع فيهم ألفين ونصف، الغني كثير الثراء يصعب عليه الدفع، بينما الغني البسيط يسهل عليه أن يبذل ماله.

هكذا وجدنا الأغنياء المسرفين والمترفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، يبخلون بمالهم عن الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، واليتامى والأرامل والمحتاجين، وينفقون على شهواتهم، شهوات البطن وشهوات الفرج، ينفقون ما ينفقون والعياذ بالله.

أبو لهب أحد أغنياء قريش:

ذكر الله ﷻ لنا ألواناً من هؤلاء، أول من ذكره القرآن من أغنياء مكة أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، هذا الرجل وقف ضد رسول الله، أول من وقف في معاداة مُحَمَّد ﷺ، أمر الله تعالى رسوله أن ينذر عشيرته الأقربين؛ فذهب النبي ﷺ عند الصفا ونادى قومه: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان». فاجتمع أهل قريش، كان النبي ﷺ يدعو قبل ذلك دعوة فردية في السر، والآن أول مرة يدعو دعوة عامة، فمنهم من لم يعرف شيئاً، فجاءوا ليعرفوا أمر مُحَمَّد الذي ناداهم، قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مُصدّقين؟» قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقاً. قال: «فإنني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد». وهنا سكت الناس، لم يستطع أحد أن يقول شيئاً؛ إلا رجلاً واحداً قام يقول لمحمد: تَبَّ لك - هلاكاً لك - سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ هذا هو أبو لهب يُكذّب محمداً أمام هذه الجموع الحاشدة، فنزل القرآن يدافع عن مُحَمَّد في سورة نحفظها جميعاً تقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ﴾ [المسد: ١ - ٥] (١).

الذي هلك ليس محمداً، مُحَمَّد لا يهلك؛ لأنه جاء بالدين الخاتم، بالدعوة العامة التي جاءت لكل الناس ولكل البشر؛ بل للجن والإنس، للعالم في شرقه وغربه، وشماله وجنوبه، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، تبّ كله: يداه ورجلاه، وعينه ورأسه، وقلبه وكل شيء فيه، تب وهلك وذهب، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، هو مغتر بالمال الذي ورثه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٧٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠٨)، عن ابن عباس.

عن طريق أبيه، والمال الذي كسبه عن طريق تجارته، كل ما عنده من مال موروث ومكسوب: لن يغني عنه من الله شيئاً، ليس للأموال قيمة عند الله، لن يكون لأحد يوم القيامة مال، ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

يأتي كل أحد يوم القيامة كما ولدته أمه عرياناً، أغرل غير مختون، وهكذا يأتي أبو لهب يوم القيامة، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، سيصليه الله تعالى في الآخرة ناراً ذات لهب؛ جزاء كفره وعناده، وظلمه وتعديه على خاتم رسل الله وأفضل رسل الله مُحَمَّد ﷺ.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، ليس هو وحده، أسرته كلها كانت أسرة شريرة، الرجل وامرأته سيصليان هذا النار، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ * في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ، حبل من ليف، كانوا يحملون الحطب ويلفونه بحبل، فحرقها القرآن وصورها بهذه الصورة مع زوجها، وكان يمكن لأبي لهب أن يقول: أنا آمنت. فيظهر أن محمداً كذاب في هذه الحالة، ولكن الله ﷻ الذي أنزل هذا القرآن يعلم أن أبا لهب لا يمكن أن يؤمن، ولذلك حينما قال: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. حكم عليه حكماً أبدياً، لا يمكن أن يخرج من هذا الحكم، هذا أحد أغنياء قريش.

ومن أغنياء قريش الوليد بن المغيرة:

ومن أغنياء قريش الوليد بن المغيرة، أبو لهب من بني عبد مناف وبني هاشم، والوليد بن المغيرة من بني مخزوم، من أعزة قريش، أبو خالد بن الوليد وإخوانه، عدد من الرجال، بعدما قال الوليد بن المغيرة عن القرآن ما قال، ووصفه بكل حسن، ارتد على عقبه وقال: هو

قول البشر. فأنزل الله ﷻ عن هذا الوليد قرآنًا يُتلى، كانوا يسمون الوليد (الوحيد)، لأنَّ عنده المال بكثرة، وعنده الأولاد بكثرة، وعنده الجاه والمنزلة في قريش، وله شأن عظيم، فكانوا يسمونه الوحيد: أي الفريد، فنزل القرآن يقول: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدر: ١١ - ٣٠]. هذا هو الوليد بن المغيرة.

وبعضهم يقول: نزل فيه أيضًا قول الله تعالى في أوائل سورة القلم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخِيرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتِلِّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِفُهُ عَلَى الْحَرُوطِ﴾ [القلم: ١٠ - ١٦]. سنكويه على أنفه؛ ليكون عِبْرَةً يوم القيامة للناس.

الأخنس بن شريق:

وكان من الأغنياء أيضًا الذين آذوا رسول الله ﷺ، وسخروا منه: الأخنس بن شريق، كان كثير الإيذاء للنبي ﷺ، وقالوا: هو الذي نزلت فيه سورة الهمزة: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُبَدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ١ - ٩].

الأغنياء من المنافقين واليهود:

كان هناك من الأغنياء المشركين، وكان هناك من الأغنياء المنافقين.. منهم من حدثنا الله عنهم في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

ذكر لنا القرآن من هؤلاء المنافقين، ومن اليهود، حينما طلب الله منهم أن يقرضوه، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، قالوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، رُبُّنَا يَطْلُبُ مِنَّا، فهذا دليل على أنه فقير ونحن أغنياء. فنزل القرآن يقول: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ذكر الله لنا هؤلاء الأغنياء؛ ليكونوا لنا عبرة، حتى لا يكونوا أسوة لمؤمن أبداً، المؤمن يتأسى بالأغنياء الصالحين المنفقين ممَّا آتاهم الله، الذين يعلمون أنَّهم مستخلفون في مال الله، وأنَّهم إذا أنفقوا يخلف الله عليهم، ويعطيهم خيراً ممَّا أنفقوا، ويكرمهم الله في الدُّنيا والآخرة.

أسأل الله وَجْلك أن يتقبل منا، ويجعلنا من الصالحين ومن الشاكرين؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ثورة سوريا:

في هذا الأسبوع احتفل إخوتنا في سوريا بمرور سنتين كاملتين على ثورتهم المباركة، دخلوا في السنة الثالثة، وأثبتوا وجودهم والحمد لله، بدؤوا بالسنتهم، ليس معهم سلاح، لا مدفع، ولا سلاح أبيض ولا سكين، ولا حجر ولا أي شيء؛ إلا أنهم ينادون بالحرية والكرامة للشعب السوري.

وكان من حق الشعب السوري أن ينادي بالحرية، تكفي خمسون سنة حكمت فيها أسرة واحدة هذا الشعب: أسرة الأسد! تخلصت الجمهوريات من حكم الأسر، تخلصت تونس من زين العابدين، وتخلصت مصر من حسنى مبارك، وتخلصت ليبيا من القذافي، وتخلصت اليمن من علي صالح، أسر حكمت البلاد ثلاثين وأربعين وخمسين سنة، فكان من حق الشعب السوري أن يقوم يدافع عن بلده، يقول: اتركوا لنا البلد. فقط ينادي بالحرية والكرامة!

ولكن هذا النظام كان نظامًا ظالمًا قاسيًا لا يعرف الرحمة؛ كأنَّ هذا الشعب ليس شعبه، من أوّل يوم بدأ يضرب هذا الشعب ويقتل منه ما يقتل، نادينه من أوّل الأمر: أن يُقدَّر ما ينادي به هذا الشعب ويستجيب له، ولكنه ركب رأسه، ونسي نفسه، ونسي شعبه، ونسي ربه، وظنَّ أنَّ الأسلحة والقوة المادية والعسكرية هي كل شيء؛ فبدأ يقتل في هذا الشعب، سنتان ودخل في الثالثة، وهو يقتل هذا الشعب، حتّى قتل

أكثر من ثمانين ألف إنسان، هذا ما تقوله الإحصاءات، وربما يتبين بعد ذلك أن عدد القتلى أكثر، ولا شك أن هناك أكثر من ذلك بأضعاف، من الجرحى، والذين أصيبوا بعاهاات وبآفات في أبدانهم، من كُسر ظهره، ومن قُطعت رجله، ومن قُطعت يده، ومن فُقت عينه، ومن حُرق جسده، ومن أصابه ما أصابه، هذا كله من عمل هذا النظام الفاجر.

ومرّت سنتان وهذا الشعب صامد، يزداد كل يوم قوّة، بعد عدّة أشهر كان هناك جيشٌ شعبيٌّ حرٌّ يقاوم الجيش النظامي، وقد شكّل الشعبُ من أوّل الأمر مجلسًا سوريًا، ثمّ ألف بعد ذلك اتّحادًا للمجالس السوريّة المختلفة، وجعل على رأسه الأخ الأستاذ معاذ الخطيب من علماء سوريا، واختاروا في هذا الأسبوع رئيسًا للحكومة السوريّة المؤقتة من أبناء إخواننا في سوريا الأستاذ غسان هيتو، واختاروا لهم سفراء، منهم سفراء في قطر، واختاروا من يُمثلهم في القمّة العربيّة التي تُعقد في الدوحة في الأيام المقبلة، فنحمد الله تعالى على ما أتى إخواننا في سوريا، وأصبحوا كل يوم أكثر قوّة من اليوم الذي قبله، وتزداد صفحتهم نقاء ونصوعًا، ويعلم الناس جميعًا أنّهم على حق، وأن هذا النظام على باطل.

مقتل الشيخ البوطي:

ثم كان أن رأينا بالأمس وقرأنا وسمعنا في الصحف والإذاعات والتلفزيونات: نبأ المسجد الذي دُمّر في شمال دمشق، وقُتل فيه اثنان وأربعون شخصًا، ومن هؤلاء المقتولين الشيخ مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي، وهو صديقي للأسف، كان الشيخ البوطي صديقًا لي، التقينا في عدد من المؤتمرات في عدد من البلاد العربيّة والإسلاميّة، والتقينا في ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر سنوات، التقينا في مؤتمرات عدة،

ولكن الدكتور البوطي خالف علماء سوريا عامة، ووقف مع النظام ضد شعبه إلى آخر جمعة، وقف الجمعة الماضية هذه يؤيد النظام، ويدعو إلى مناصرته، هكذا سبحان الله، كنت أود له أن يهديه الله في آخر عمره كما هُدي آخرون، كانوا مع النظام في أول الأمر، ثم رأوا هذا النظام يرتكب من المظالم ما لا يمكن أن يُقبل فتركوا النظام، منهم من ترك سوريا، ومنهم من بقي في سوريا.

ولكن الشيخ البوطي - لا أستطيع أن أدعو الله له إلا بالمغفرة وبالرحمة - ظلَّ الشيخ البوطي مع هذا النظام إلى آخر لحظة، إلى أن قُتل في مسجده (مسجد الإيمان) الذي يُلقى فيه درسين في كُلِّ أسبوع، وهذا المسجد في منطقة آمنة، لا يدخلها أحدٌ إلا بعد تفتيش، لا يستطيع أحد أن يدخلها إلا الآمنين على أنفسهم من أتباع النظام، فمن قتل الشيخ البوطي؟! كل الذين يحاربون النظام برثوا من هذا الأمر، صحيح هم ضده، وأنا ضده، ولكن لا نقبل أن يُقتل النَّاس في المساجد، كل أبناء الشعب السوري، كل العسكريين والمدنيين، الجيش الحر، الجمعيات المختلفة، الشيخ معاذ الخطيب، كلُّهم برثوا من دم الشيخ البوطي، فمن قتل الشيخ البوطي؟!

قالوا في أول الأمر: قذيفة هاون دخلت هذا المسجد. وقالوا: هناك انتحاريٌّ. وكُنَّا نودُّ ألا يدفنوا الشيخ البوطي إلا بعد أن يُعاین الطَّبُّ الشرعيُّ جُثَّتَه، ويقول لنا: بأيِّ شيء قُتِل؟ هل قُتِل بالرَّصاص، أو قُتِل بالديناميت، أو قُتِل بغير ذلك؟ قالوا: إنَّ المسجد كما هو، النجفة التي في المسجد موجودة، وسقف المسجد سليم، وسجاد المسجد سليم. كيف قتله هؤلاء؟!

لا بدّ أن هؤلاء الذين قتلوه أن يكونوا أتباعًا للنظام، فأتباع الشعب لا يقتلون مصليًا في مسجد، ولا يهدمون مسجدًا أبدًا، النظام السوري دمّر تسعمائة مسجد كليًا أو جزئيًا، أمّا إخواننا أبناء الشعب لم يدمّروا مسجدًا واحدًا، فلا يمكن أن يدمّروا مسجدًا، فمن الذي قتل الشيخ البوطي؟!

يجب أن يُحقّق في هذا الأمر، لا بدّ أن تُعرض الجثة على الخبراء، ويُعرف كيف قُتل الرجل، ويكون على هذا شهود، لا نريد أن ندع هذا لهم، إنهم يكذبون، كل كلامهم كذب، لا نقبل منهم شيئًا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سينتقم من هؤلاء القتلة، ليس هذا أوّل عالم قُتل، قُتل من العلماء من قُتل، قبله بأيام قُتل أحد القراء الذين يقرؤون القراءات العشرة، وهم قبل ذلك قتلوا رئيس وزرائهم الزعبي، وقتلوا غازي كنعان وزير داخليتهم، قالوا: إنّه انتحر. والله أعلم، فهم يقتلون من يقتلون من الناس.

نريد أن نعرف من الذي قتل الشيخ البوطي؟ أهل السُنّة، أهل الشعب السوري لم يقتلوه، ولم يقتلوا عالمًا ولا مصليًا؛ وإن اختلفوا معه، كل سوريا مختلفين مع الشيخ البوطي وأنا معهم، ولكننا لا نقتل عالمًا، ولا نقتل مصليًا، ولا نضرب مسجدًا أبدًا، من فعل هذا؟ على النظام السوري الظالم الذي يحكم البلد بغير الحق، يحكمها بالباطل، يزيّف الأقوال، يفسد في الأرض، يسفك الدماء، على هذا النظام أن يبين لنا من هو قاتل الشيخ البوطي والاثنين والأربعين معه؟! ويعرف الناس أن قتلته هم هؤلاء الظالمون، لا بدّ أن منهم من يريد ألا يُبقي أحدًا من علماء أهل السُنّة، حتّى وإن كانوا معه، ربّما ظنّوا أنّه يمكن أن يتغيّر موقفه كما تغيّرت مواقف كثير من العلماء، وأصبحوا مع أهل السُنّة وأهل الحقّ، هذا ما نرجو أن يُبيّنه الغد إن شاء الله.



ثورة مصر:

وإخواننا في مصر نسأل الله تعالى لهم أن يهديهم إلى الحق المبين، لا أدري ماذا يحدث في مصر أيُّها الإخوة! ما يجري في مصر شيء لا يخطر ببال، ولا يدخل في عقل عاقل، ما الذي يجعل بعض الناس يقف مع البلطجية، الذين يذهبون الآن إلى ميدان التحرير، وإلى ميدان الاتحادية، وإلى دور الإخوان يحرقونها؟ هم البلطجية الذين كانوا في عهد مبارك، هؤلاء البلطجية تأتيهم أموال بالملايين من الخارج فيتحركون، وتحرك معهم قلة من الشباب، هؤلاء الناس يحملون المولوتوف، ويحملون الخرطوش، ويحملون أسلحة نارية، وأسلحة بيضاء نراها بأعيننا، كيف يذهب هؤلاء الناس ويقفون في الشوارع هكذا؟ كيف لا يقبض عليهم رجال الأمن؟ كيف يصبح هؤلاء الحُرِّيَّة أن يفعلوا هذا؟

أنا أعرف أن وزارة الداخلية هي المسؤول الأول عن هذا، وأعرف أن في وزارة الداخلية أناسًا من خير الناس، مخلصين وطنيين، يحبُّون بلدهم، ويحبُّون قومهم، ويحبُّون أن تسير بلدهم إلى الأمان وإلى الخير؛ حتَّى يحكم الناس من ينتخبونه، الانتخاب هو الذي يأتي بمن يريده الناس، لا نريد أن نفرض أحدًا على الناس، الناس يختارون من يرونه أصلح لحكمهم، فاتركوا الناس وما يختارون، لماذا تقف هذه القلة هكذا، ليسوا آلافًا مؤلفة، مئات من الناس يذهبون إلى هذه الأماكن ويفرضون هذا الأمر على الشعب المصري كله، لا يجوز هذا أبدًا.

نحن نقول لهؤلاء: ارجعوا إلى جحوركم، اختبئوا، ليس من شأنكم أن تظهروا للناس، أنتم عورة مصر لا يجوز أن تُكشف، هذه العورة يجب

أن تُستر، يجب أن نحمي النَّاس من شر هؤلاء، على المصريين جميعًا أن يقفوا ضد هؤلاء، وأن يحكموا العقل ويرجعوا إلى الله، ويقولوا: ربَّنَا عليك توكلُّنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير.

لا بد للشعب المصري بصغاره وكباره، ورجاله ونسائه، وذكره وإنثاه، وأغنيائه وفقرائه، وحكامه ومحكوميه، على هذا الشعب كله أن يقف جبهة واحدة ضد هؤلاء الذين لا يريدون لمصر أن يستقر أمرها أبدًا، وألا تُقبل على الانتخاب، لا يريدون انتخابًا، يريدون فوضى، ومصر لا تنفعها الفوضى، معنى الفوضى أن يظل هذا الشعب محتاجًا بلا عمل، وبدون عمل كيف تأتي الأموال إلى مصر؟ لا بد أن يعمل الناس، كلٌّ يذهب إلى عمله.

الدكتور مرسي وإخوانه يعملون ما يقدرُونَ عليه، ويمكن أن يُغيِّروا الحكومة، كلُّ شيء يمكن أن يتغيَّر؛ إذا كان هناك أناس مُستَعِدِّين للحوار والتعاون بعضهم مع بعض، أمَّا أن يريد النَّاس أن تفسد الأرض، وأن يعيث فيها النَّاس فسادًا؛ فهيهات أن تتقدم مصر، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٠ - ١٥٢]، هؤلاء لا يجوز أن يُطاعوا أبدًا.

أنا أدعو المصريين جميعًا إلى الوقوف مع الحق، مع الهدوء، يهدؤوا الأمر، أمَّا هؤلاء الذين يريدون أن يظل الأمر مضطربًا باستمرار؛ فوالله هم أعداء مصر، ليسوا محبين لمصر أبدًا، لأن تهدأ مصر، وأن تُبنى مصر، وأن تعود كما كانت وأفضل ممَّا كانت، والله إنَّ مصر فيها الخير الكثير، وتستطيع أن تعمل لغدها أحسن ممَّا عملت من قبل بعشرات المرات.

بقي علينا أن ننتظر القمّة العربيّة التي تُعقد في قطر في الأسبوع القادم إن شاء الله، وإنّا لنتنظر منها الخير لكل البلاد العربيّة، نرجو منها أن تجمع ما تفرّق، وأن تبني ما تهدّم، وأن يعود الجميع إخوة متحابّين يتعاونون على البرّ والتقوى، ولا يتعاونون على الإثم والعدوان، يتواصون بالحقّ، ويتواصون بالصبر، ويتواصون بالمرحمة، ويعملون لخير هذه الأُمّة، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِينَ وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ﴾ [التوبة: ١٠٥].

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في الدّين والدّنيا والآخرة يا ربّ العالمين، اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ عليك بالظالمين، اللهمّ عليك بالمستكبرين في الأرض، اللهمّ عليك بالذين يسفكون دماء الناس، والذين يهتكون أعراض الناس، والذين ينتهكون حرّيات الناس، اللهمّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهمّ خذهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهمّ انصرّ إخوتنا في سوريا، اللهمّ هيّئ لهم من أمرهم رشداً، اللهمّ انصرّ إخوتنا في تونس، وانصرّ إخوتنا في ليبيا، وانصرّ إخوتنا في اليمن، وانصرّ إخوتنا في فلسطين، وفي الأردن، وفي لبنان، وفي العراق، وفي بنجلاديش، وفي ميانمار، وفي الصومال، وفي كل بلاد الإسلام، وفي كل بلاد الله.

ربّنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، اللهمّ اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد الإسلام، ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربّنا إنّك رؤوفٌ رحيم.



اليتيم في القرآن الكريم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نتحدّث اليومَ في موضوع من موضوعات القرآن الكريم، وهو اليتيم في القرآن، بمناسبة حديث النَّاس عن اليتيم في الأسبوع الأوَّل من شهر إبريل، فهو يومٌ عالمي لليتيم.

والإسلام لا يكتفي بأن يكون لليتامى يوم، وإنَّما يريد أن يجعل الأيام كلّها لليتامى، لا يكفي أن تحسن في يوم من السنة إلى اليتيم، ثمَّ تهمله بعد ذلك، وكأنك لا تعرفه ولا يعرفك، لا، هذا لا يغني شيئاً، إنَّما الَّذي ينبغي للمسلم أن يعرف: أن هذا الإنسان اليتيم إنسان، له حق الإنسانية، وإذا كان مسلماً فله حق الإسلام، وإذا كان مواطناً فله حق المواطنة، وإذا كان قريباً فله حق ذوي القربى، له كل الحقوق، وعليك أيُّها المسلم أن ترعاه في صباحك وفي مساءك، وفي صيفك وفي شتائك، وفي ليلك وفي نهارك، وفي كل أوقاتك، وفي كل أحوالك، هذا ما افترضه الإسلام، وما أمر به القرآن، وما وجَّه إليه الرسول ﷺ.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٥ أبريل ٢٠١٣م.



من هو اليتيم؟

اليتيم إنسان ضعيف، لماذا؟ لأنّه مات أبوه في صغره قبل بلوغه، من مات أبوه قبل أن يبلغ الحُلُم فهو يتيم، كما كان النبي ﷺ يتيماً، حيث تُوفي أبوه عبد الله وهو في بطن أمه، كثيرٌ من النَّاس يتامى، أنا شخصياً توفي أبي وأنا في الثانية من عمري؛ فأنا يتيم، اليتيم هو من تُوفي أبوه قبل أن يبلغ الحلم، فإذا تُوفي بعد بلوغ الحُلُم لا يُسمى يتيماً.

وإن كنت أرى أنّ الشخص في عصرنا وإن بلغ الحُلُم يظل في حاجة اليتامى؛ لأنّ الإنسان في عصرنا إذا وصل خمس عشرة سنة أو سبع عشرة سنة: لا يستطيع أن يكفي نفسه، النَّاس يحتاجون إلى أن يتعلموا، وبعضهم يكون متميزاً في تفكيره، وفي ذاكرته، وفي حُسن تعلمه؛ فمن حقه أن يتعلم ما قدر على تعلمه، ولذلك لا ينبغي أن تقتصر على سن الحُلُم، إذا صلح للزواج انتهى يُتمه، لا، اليتيم هو من مات أبوه وهو لم يبلغ الحُلُم، ويُلحق بهذا من بلغ الحُلُم ولكنّه لم يبلغ كل حاجاته، فكثيرٌ من الشباب يبلغ سنّ الخامسة عشرة؛ ولكنّه لا يستطيع أن يعمل شيئاً في الحياة، لا بدّ أن يتعلّم أكثر من ذلك.

ولذلك على الجمعيات التي ترعى اليتامى هنا في قطر، وفي مصر والكويت، وفي بلاد شتّى من حولنا - في بلاد عربيّة وإسلاميّة جمعيات لليتامى - هذه الجمعيات عليها أن ترعى هؤلاء اليتامى، حتّى بعد أن يبلغوا سن الحُلُم، إذا كانوا في حاجة إلى التعليم - وهم مستمرّون في هذا التعليم ومتفوّقون فيه - يجب أن تتوفّر لهم متطلّبات حياتهم التعليميّة.

اهتمام الأديان جميعًا باليتيم:

اهتمَّ الإسلام باليتامى، واهتمت الأديان الأخرى قبل الإسلام باليتامى، القرآن يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. هذا مع بني إسرائيل.

ورأينا في قصّة موسى ﷺ مع الخضر في سورة الكهف، في القصّة المعروفة، حينما ذهبا إلى أهل قرية، ﴿أَسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٧، ٧٨].

ونبأه بتأويل هذا الجدار، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، هذا الجدار الذي بنيته وأقامته لغلامين يتيمين في هذه القرية، القرية الكبيرة تُسمى مدينة، وكان تحت الجدار مال ثمين له قيمة، مدخر، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، والأب الصالح يحفظ له الله ذريته من حيث لا يحتسب، فيرعى أولاده ويرعى أحفاده، فهيّا الله الخضر لبني هذا الجدار حتّى لا ينكشف الكنز، ويأكله الطمّاعون الذين يأكلون الأموال بالباطل، ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، هكذا قال الخضر ﷺ: أن هذا ليس من أمره، وإنما هو أمر الله، وهذا يدل على أنّه كان نبيّا يوحي إليه ولم يكن رسولاً، الرسول في عهده كان موسى ﷺ، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

ونجد في الإنجيل وصايا كثيرة للمسيح ﷺ باليتامى والمساكين والمستضعفين من الناس.

وكل الأديان التي بعث الله بها رسلاً وأنزل لها كتباً تهتم بهؤلاء الناس الضعفاء، كل من كان ضعيفاً بين الناس، من ضعف لفقد أبيه يسمى (يتيمًا)، ومن ضعف لفقد ماله يُسمَّى (مسكينًا)، ومن ضعف لفقد الحرية يسمى (رقيقًا) أو ما ملكت أيمانكم، ومن ضعف لفقد بيته ومنزله يسمى (ابن سبيل)، كل من كان ضعيفاً في الحياة؛ فإن الإسلام والأديان كلها ترعى أمره، وتشفق عليه، وتنبه من كانت عنده قدرة، ومن كان عنده مال: أن يهتم بأمره، ولا يدعه ليد الدهر تصرفه كيف شاءت، لا كيف شاء.

اهتمام الإسلام باليتيم:

هكذا نجد القرآن الكريم اهتم بأمور اليتامى، اهتم بهم من ناحيتين أساسيتين:

الأول: من ناحية شخصية اليتيم، كيف تحنو على هذا اليتيم؟ كيف تربيته؟ كيف تجعل منه إنساناً كامل الإنسانية؟ كيف تجعل منه رجلاً كامل الرجولة: يحب الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويردع الشر، ويقف في وجه الظالمين، ويقول للمحسن: أحسنت. وللمسيء: أسأت. لا يبالي ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا صولة ظالم؟ هكذا ينبغي أن تُربى شخصية اليتيم.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ [الماعون: ١]، إن كنت تريد أن تعرف من هو هذا الذي يكذب بالدين وبالقيامة، وبالأخرة وبالجزاء، ويكفر بالله، ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، يدفعه بعنف وشدة وغلظة، ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣]. ولا يقول: هناك إنسان لا يجد قوته فساعده، أطعموه من جوع، آمنوه من خوف.

ويقول الله تعالى ممتنًا على رسوله مُحَمَّد ﷺ وكان من اليتامى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۖ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرَ﴾ [الضحى: ٦-٩]. كنت يتيماً فارغ اليتامى ولا تنسأهم، لا تقهر اليتيم، ليس القهر أن تضربه أو تحبسه، لا، بل أن تشعره بأن قيمته دون قيمة الناس، هو إنسان كسائر البشر، لا يمكن أن يُعطى ما لا يُعطى البشر، فإذا أهنته فقد قهرته، ربّما تهينه بكلمة، ربّما تهينه (بتكشيرة) ولو لم تتكلم، لا تقهره ولا تدعه أبداً، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرَ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

هذا ما جاء به القرآن الكريم: أنه يحافظ على شخصيّة هذا اليتيم، والنبى ﷺ يقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»^(١). وفرج بين إصبعيه السبابة والوسطى، هذا جزاء كافل اليتيم، هو قريب من النبى ﷺ، حتّى إنّ النبى ﷺ هو أوّل من تنشق عنه الأرض ويُفتح له باب الجنة، يقول: «فأجد امرأة تبادرني - تريد أن تدخل الجنة معي أو قبلي - فأقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي»^(٢). عاشت عمرها من أجل أولادها، لم تتزوج ولم تسع إلى أمر نفسها، وإنّما سعت إلى أمر أولادها، من أجل هذا حاولت أن تنافس النبى ﷺ في أولية دخول الجنة؛ فلا بدّ أن نحافظ على شخصيّة اليتيم.

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩١٨)، عن سهل بن سعد.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٦٥١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٤٢)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٤٣٦/١٠): رواه لا بأس بهم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥١٩): فيه عبد السلام بن عجلان، وثقه أبو حاتم ابن حبان، وقال: يخطئ ويخالف، وبقيّة رجاله ثقات. عن أبي هريرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول تعالى في آية البر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. يؤتي المال على حب هذا المال، فرغم حبه المال: يؤتيه اليتامى والمساكين وأولي القربى، وكل من له حق في المال. ويقول سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]. فلا بد من الاهتمام باليتامى وبكل ذي ضعف من أجل ضعفه.

نهتم بشخصية اليتيم، ونهتم بمال اليتيم، إن كان عنده مال؛ فيجب أن نرعى ماله، إذا لم يكن عنده مال يجب أن نهى له المال، أنتركه جائعاً لا يشبع؟! أنتركه متعباً لا ينام ولا يستريح؟! أنتركه بلا بيت ولا غطاء؟! لا بد أن يتوافر له ما يتوافر لكل إنسان، والله جعل له حقاً في الغنيمة، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]، يأخذ من غنائم الحرب له فيها حق، ويأخذ من الفياء: وهو ما يعود من الفتوحات بعد الحروب من مال، ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

أخص ما يميز الرأسمالية عن الاشتراكية والمذاهب الاجتماعية الأخرى أن الرأسمالية يتداول المال فيها الأغنياء دون غيرهم، لا ينال أحد من الفقراء والمتوسطين حقه في هذا المال، فلا بد أن يصل إلى

اليتم حقّه من مال دولة المسلمين، من حروبهم ومما بعد حروبهم، ومما تملكه الدولة من غير الحروب، عندها بترول، عندها معادن، عندها زراعة كبرى، لا بدّ أن يكون لهؤلاء اليتامى حقوق من هذا المال.

ثانياً الاهتمام بأموال اليتامى:

وهناك يتامى لهم أموال، وكثيراً ما تمتد الأطماع البشرية إلى أموال هؤلاء اليتامى، وهم مستضعفون لا يجدون من يبحث عن أموالهم، ومن يدافع عنها؛ كما يدافع الأقوياء عما يملكون، هذا اليتيم كان يدافع عنه أبوه، وقد ذهب أبوه بالموت، حتّى أعمام اليتيم: إخوان أبيه الذين يُفترض فيهم أن يكونوا آباءً له، يطمعون في مال هذا اليتيم، ويريدون أن يضموا ماله إلى أموالهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]. إثماً كبيراً، إثماً عظيماً، تأكل مال اليتيم، تضمه إلى مالك فيصبح جزءاً منه، هذه كبيرة. والحب هنا الإثم، ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾. والنبي ﷺ كان يقول: «اغسل حوبتي، واقل توبتي»^(١).

لا بدّ أن تحفظ مال اليتيم، لقد نزلت الآيات تحذّر من أموال اليتامى، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. أرايت هذه الآية التي تزلزل القلوب زلزالاً، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، في الدنيا، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، في الآخرة، آيات في القرآن تخوف من التهاون

(١) رواه أحمد (١٩٩٧) وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في أبواب الوتر (١٥١٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥١) وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥)، عن ابن عباس.

بشأن اليتامى، من كان عنده يتيمة ويريد أن يتزوجها، وخاف ألا يعطيها من المهر ما تستحقه، أو أن يضم من أموالها إلى ماله بما لا يجوز؛ ربنا يقول له: اتركها وتزوج غيرها، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣].

ويريد الله تعالى أن ندرّب اليتامى، ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، إذا وجدتموهم يحسنون التصرف في المال وعندهم ذكاء وحسن تفهم لتدبر المال، وإنفاقه في وجهه الذي يليق به؛ فأعطوهم أموالهم، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، فإذا كان الوصي على المال غنيًا، ولا يحتاج مال اليتيم منه إلى أعمال كثيرة فليستعفف، وإذا كان مال اليتيم كثيرًا، ويحتاج إلى إدارة وإلى موظفين؛ فلا مانع أن يأتي بمن يُحسن هذا، أمّا إذا كان مال اليتيم بسيطًا فليستعفف لا يأخذ منه شيئًا، وإذا كان الوصي فقيرًا فليأكل بالمعروف، حتى إذا جاء الأوان أعطى اليتامى أموالهم وأشهد عليهم، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

الوصية الواجبة لليتيم:

هكذا نجد القرآن في آيات شتى يهتم بأمر اليتامى، ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، ومن هنا جاءت بعض القوانين في مصر وفي قطر، وفي بعض البلاد تقرر لأحفاد الجد، إذا مات أبوهم والجد حي؛ فأولاده ليس لهم نصيب في الميراث؛ لأن أعمامهم أقرب منهم إلى جدّهم، ولكن لهم حق الوصية، الوصية لهؤلاء واجبة، ومن السلف من قال

بوجوب هذه الوصية، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، هذه الوصية فريضة لازمة، فعلى الجد أن يوصي لابن ابنه، ولكن للأسف كثير من الأجداد لا يراعون هذا.

وكان الأعمام في الأزمنة الماضية يراعون أولاد إخوانهم؛ فيتركهم الجد لأبنائه يعرف أنهم لا يضيعون أولاد إخوانهم، ولكن في عصرنا للأسف كثرت الأنانيات، واشتدت على الناس، وأصبح كل إنسان يقول: نفسي نفسي، أنا قبل أي أحد، وأولادي قبل أولاد أخي. ويترك أولاد أخيه، لا يعطيهم ما يحتاجون إليه؛ بل يطمع فيما عندهم إذا كان عندهم شيء! هذا ما لا يليق، ولذلك نظر كثير من علماء الشريعة في الواجب من الوصية والواجب لأبناء الابن، وقرروا أن يكون هناك وصية واجبة؛ يلزم بها الجد والجدة قانوناً لأولاد الأولاد، الذين مات آباؤهم أو مات أمهاتهم في حياة جدهم، ويأخذون ما كان يأخذه الابن بالميراث؛ بشرط ألا يزيد على قدر الوصية، فهذا من حق اليتامى.

وصية القرآن بملال اليتيم:

مما أوصى به القرآن وأكثر الوصية به في آيات شتى مال اليتيم، في الوصايا العشر في سورة الأنعام قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ووصى كذلك بهؤلاء اليتامى في سورة الإسراء فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الإسراء: ٣٤]. لو كانت هناك طريقتان للاقتراب من أموال اليتامى: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها؛

ماذا عليك أيها المسلم؟ عليك أن تتبع الطريقة الأحسن، أفضل طريقة في استثمار هذا المال وفي تنميته: يجب أن تتبعها، تحافظ على الأصول وتستثمر الفروع بالمعروف، وتتجر بهذه الأموال في أفضل التجارات، التي ليس فيها عبث، وليس فيها لعب بمال الناس، اعمل في هذا المال أفضل ممّا تعمله لنفسك، هذا ما يأمر به الإسلام.

ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يخافون من الاقتراب من مال اليتيم، كان أحدهم يعيش مع اليتيم في بيته، يُحضّر له طعام الغداء فيتغدى، ويبقى منه طعام للعشاء، ولا يُبقي طعامًا لليوم التالي فيفسد، لم تكن هناك ثلاجات، يا أخي كُلْ منه لا مانع، ولكنهم كانوا يخشون من الاقتراب من مال اليتيم، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَيْسَأُلُونكَ عَنِ آلِ يَتَمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ أَلَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. إذا كنت تريد الإصلاح لا تخف، كُلْ معه ولا تترك الشيء يضيع ولا يأكل منه أحد، لا، لم يمنع الله هذا.

هذا ما جاء به الإسلام في قضية تمييز أموال اليتامى حتى يعيش هؤلاء شرفاء أعزاء، إذا كانوا فقراء أو كانوا أغنياء، يعترف المجتمع بهم أنّهم أعضاء في جسمه، ليسوا غرباء عنه، ولا دخلاء عليه، هكذا ينبغي أن نعامل اليتامى ونتقرب إليهم، ونساعد الجمعيات التي تقوم على أمر اليتامى، كانت قطر تبعث إلى أكثر من عشرين دولة تربي فيها أيتامًا حتى حدثت أحداث ١١ سبتمبر في أمريكا سنة ٢٠٠١م. فبدأت الجهات المختلفة تضيق على قطر؛ حين كانت تبعث إلى أفغانستان، وإلى البوسنة والهرسك، وإلى كوسوفو، وإلى اليمن، إلى بلاد شتى، لا بدّ أن نهتم باليتامى.

أطفال الشوارع:

وأحب أن أقول: إن هناك يتامى مات آباؤهم، وهناك يتامى لم يمت آباؤهم، هناك يتامى يعيشون في بيوت الإصلاح، رجل غلبته شهوته فزنى بامرأة وحملت منه؛ ولم تكن عنده الشجاعة ليداوي هذا الأمر، ودواء هذا الأمر أن يعترف بهذا الحمل ويتزوج هذه المرأة وتصبح زوجة له، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم وبعض العلماء^(١) أجازوا أن يتزوج مَن حملت منه وحملها هو ابنه في الحقيقة، وأنا أؤيد هذا، يداوي هذا الأمر ولا يترك المرأة لتذهب حينما تضع فترمي ولدها في الشارع أو تضعه على عتبة مسجد ولا يُعرف له أب ولا أم، والآن هياً الله جمعيات ورجالاً يسعون إلى رعاية هؤلاء، وأن يصنعوا لهم ما يصنعون، ونحن علينا أن نعاون هؤلاء.

يتيم في حياة أبويه!

وهناك أطفال يستحقون العون، وإن لم يكونوا يتامى، آباؤهم أحياء وأمهاتهم حيات، نرى هؤلاء الآباء المشغولين بأموالهم وبحياتهم، وبطعامهم وشرابهم وتجاراتهم، ومعارفهم وأصدقائهم، ولكنهم ينسون أولادهم، فأولادهم ضائعون، لا يعرف الأب أين ابنه؟ في أي سنة هو؟ هل هو مجتهد في المدرسة أم ضائع؟ ماذا أخذ من الدرجات في امتحاناته؟ وماذا يُطلب منه؟ هناك مجالس للآباء، ومجالس للأمهات لا يحضرها، ولا يسأل عنها.

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣٨١/٥)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ -

هناك أمهات أيضاً لا يسألن عن أولادهن، المرأة مشغولة، قد تكون مشغولة بالمال وبالتجارات؛ كما رأينا بعض النساء، وقد تكون مشغولة بزينتها وملابسها وكيف تزين وجهها وشعرها، وتصنع ما تصنع في ذراعيها وساقيهما، وتكشف ما تكشف، وأبناؤها ضائعون، أين الأبوة، وأين الأمومة إذن؟ هؤلاء هم اليتامى الذين أوصانا بهم أمير الشعراء أحمد شوقي رَحِمَهُ اللهُ حينما قال:

لَيْسَ الْيَتِيمُ مِنْ أَنْتَهَى أَبَوَاهِ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلْفَاهِ ذَلِيلًا
فَأَصَابَ بِالدُّنْيَا الْحَكِيمَةَ مِنْهُمَا وَبُحَسِّنَ تَرْبِيَةَ الزَّمَانِ بَدِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلَقَّى لَهُ أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَبًا مَشْغُولًا^(١)

هذا هو اليتيم حقاً الذي تخلى أبوه عنه، وتخلت أمه عنه، له أبٌ وله أمٌ، ولكن كلا منهما مشغول بنفسه، عن أولاده وفلذات أكبادهم.

هناك في قطر وفي كثير من بلاد المسلمين، والآن في بلاد الربيع العربي التي تركت أطفالاً مات آباؤهم، واستشهد آباؤهم، وقُتل آباؤهم، هناك عشرات الآلاف من أبناء سوريا قُتل آباؤهم وأصبح أبناءهم في عداد اليتامى، وتقوم لهم جمعيات لرعاية هؤلاء اليتامى، علينا نحن مسؤولية لإحياء هؤلاء، ليعيشوا رجالاً، ليأخذوا بثأر آبائهم، ليكونوا مؤمنين حقاً، لينبأ بلدهم، أمّا إذا تُركوا فإننا نربي فيهم غلاً على المجتمع وضغناً على الناس الذين لم يبالوا بهم، علينا أن نرعى أبناء الشهداء، أبناء المجاهدين في كل بلد؛ حتّى يورثنا الله تعالى العز بدل الذل، والأمن بدل الخوف.

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٨٣)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.



نسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنه
سميع مجيب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ثورة سوريا:

ندعو الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة أمتنا على الهدى، وقلوبها على التقى، نريد من أمة العرب وأمة الإسلام أن تكون أمة واحدة كما أمرها الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

هكذا يريد الله تعالى من أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحَمَّد ﷺ، هذه الأمة التي اتفقت على عقائدها وعلى عباداتها، وعلى أخلاقياتها وعلى تشريعاتها، وعلى مصيرها المشترك، على مصالحها وعلى كل ما يُكوّن منها أمة عظيمة، اتفقت على هذا كله، فلماذا تختلف فيما بينها؟ لماذا يتفرق بعضها عن بعض؟ لماذا يضرب بعضها بعضًا؟

نحن نحیی كل من يعمل على إحياء هذه الأمة وتجميعها، نحیی دولة قطر على ما قامت به في الجولة التي انتهت في الأسبوع قبل الماضي، جمعت الجامعة العربية من أجل سوريا، من أجل أن يتحد الجميع ضد الظلمة الجبارين في الأرض، الذين يريدون أن يقتلوا الشعب كل الشعب بغير حق.

هذا نظام ظالم صار له خمسون سنة يحكم البلد، ألا تكفيه خمسون سنة؟ كل زملائه ذهبوا: في تونس، وفي مصر، وفي ليبيا، وفي اليمن،

لماذا يريد هؤلاء أن يبقوا أكثر من ذلك؟ لماذا لا يرحلون ويتركون الشعب يختار لنفسه، يريدون أن يضربوا هذا الشعب بطائرات الميخ، بالدبابات، براجمات الصواريخ، بالبوارج الحربيّة، بالشّبيّحة، يقتلون النّاس بغير حق، لماذا لا يتركون الحرية للشعب، الشعب كله قام على بكرة أبيه يريد الحرية، لماذا يريد هؤلاء أن يفرضوا على الشعب أنفسهم؟!

لا يجوز لأحد أن يكون مع هؤلاء، كل من يكون مع هؤلاء يكون مع الظلم، «من مشى مع ظالمٍ لِيُعِينَهُ وهو يعلمُ أنّه ظالم، فقد خرج من الإسلام»^(١)، «من دعا لظالمٍ بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعصى الله في أرضه»^(٢)، حين يقول لظالم: أطال الله بقاءك. يعني أنّه يريد أن يطيل بقاء الظلم، نحن نريد للظلم أن ينزاح عن الناس، وأن يعيش النّاس في حرية وعدالة، هذا ما نريده لإخواننا في سوريا، وما نريده لإخواننا في الصومال، وما نريده لإخواننا في بنجلاديش، وما نريده لإخواننا في العراق، وما نريده لإخواننا في فلسطين، وما نريده لإخواننا في الأردن، وما نريده لإخواننا في مصر، وما نريده لإخواننا في كل بلاد الإسلام، وفي كل بلاد العالم، نريد أن يعيش النّاس أحرارًا، كل إنسان يقول: أنا حر، لست أنت الذي تعطيني الحرية وتمنحها لي، كلنا أحرار.

علينا أن نقاتل جميعًا ونقف لهذه الحقيقة، ليحيا النّاس أحرارًا، أعزاءً بدينهم، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، العزة عند الله؛ فنأخذها من الله ولا نأخذها من بشر.

(١) رواه الطبراني (٢٢٧/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٠٢): رواه الطبراني في

الكبير وهو حديث غريب. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠٦٤): فيه عياش بن مؤنس، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله وثقوا، وفي بعضهم كلام. عن أوس بن شرحبيل.

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١٦٠/٣)، عن الحسن البصري.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعين المسلمين على إسلامهم، وأن يشد أزهرهم، ويحمي ظهرهم، ويرفع أمرهم، ويقويهم على أعداء الله وأعدائهم، حتى يعيشوا أحراراً في بلادهم، يطعمهم الله من جوع، ويؤمنهم من خوف، اللهم آمين.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن رُوعَاتِنَا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتَالَ من تحتنا، اللهم انصر إخواننا في سوريا، اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم عليك بهؤلاء الظالمين الجبارين المستكبرين في الأرض، اللهم خذ بشاراً الأسد وزبانيته وأسلحته وجيشه وكل من يعاونه على الظلم والشر يا رب العالمين، اللهم خذهم أخذ عزيز مُقْتَدِر، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهم خذ بأيدي إخواننا في مصر، وخذ بأيدي إخواننا في تونس، وخذ بأيدي إخواننا في ليبيا، وخذ بأيدي إخواننا في اليمن، وخذ بأيدي إخواننا في الصومال، وخذ بأيدي إخواننا في فلسطين، وخذ بأيدي إخواننا في كل مكان.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إِنَّكَ رؤوفٌ رحيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

الشباب في القرآن الكريم (١)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، تحدّثنا في الجمعة الماضية عن اليتيم بمناسبة يوم اليتيم، ونتحدث في هذه الجمعة عن الشباب في القرآن الكريم، واهتمام القرآن الكريم، واهتمام الرسول العظيم، واهتمام الأمة الإسلامية كلها بموضوع الشباب.

مرحلة القوة بين مرحلتي الضعف:

والشباب هو موضع القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، تأتي مرحلة الشباب التي نبه الله عليها بقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]. فأول ما خلقنا الله ضعفاء، ضعف الطفولة الصغيرة التي تكون شيئاً فشيئاً، وتأتي بعدها مرحلة القوّة مرحلة الشباب، وتأتي بعدها مرحلة الضعف: الشيخوخة؛ فمرحلة الشباب هي مرحلة الصّحّة والحيوية، والقوة والطاقة.

(١) أُلقيت هذه الخطبة في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٢ أبريل ٢٠١٣م.

ولذلك ينبغي للإنسان أن يستثمر مرحلة الشباب، ولا يضيعها في الفراغ أو في اللهو أو في العبث، أو في المعاصي، أو في الشرور وإيذاء الناس، لا ينبغي أن تُستغل هذه المرحلة حتّى لا يأتي يوم يندم فيه الإنسان ويقول:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(١)

ولكن الشباب لا يعود بعد أن يذهب، يتمنى الإنسان أن يعود الشباب ولو يومًا، وهيئات هيئات، المهم أن نستغل هذا الشباب، ولذلك يقول النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ في طاعة الله»^(٢). يذكر سبعة أصناف أولهم الإمام العادل: الرئيس الذي يتصرف في رعيته بالعدل، وثانيهم الشاب الذي ينشأ في طاعة الله وفي عبادة الله؛ بعيدًا عن المعاصي وعن الشهوات التي يرتع فيها كثير من الشباب، لكن هذا الشاب هيا الله له حياة طيبة من أوّل أمره، فاستقام ومشى على الصراط المستقيم.

ويقول النبي ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ شَابٍّ لَا صَبُوءَ لَهُ»^(٣). ليس له صَبُوء ولا غراميات، ولا أشياء ممّا يعيش فيها كثير من الشباب، هذا شاب عجيب حقًا.

ويخبرنا ﷺ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعَةَ أَسْئَلَةٍ أَسَاسِيَةٍ، مِنْ

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: التذكرة الحمدونية (٢٠/٦)، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (١٧٣٧١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (١٧٤٩)، وقال محققه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في المجمع (١٧٩٥٤): رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن. عن عقبة بن عامر.

هذه الأسئلة: «عن عُمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيمَ أبلاه؟»^(١). سؤالان: أحدهما عن العمر عامة، والآخر عن الشباب خاصة.

اغتنم شبابك قبل هرمك:

ويقول ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتِكَ»^(٢). فأول ما يجب أن تنتهزه هو شبابك، لئلا تفوتك هذه المرحلة: مرحلة القوة والقدرة، والطاقة والرغبة في العمل، بدل أن تضعها في الملاهي والمعائب والمحرمات، أو في غير الطاعات: اكتسب هذه المرحلة لحياتك الآخرة.

القرآن الكريم يذكر لنا نماذج من ألوان الشباب، منهم من ضيع شبابه في نصرة الباطل، ومنهم من أنفقه في نصرة الحق، منهم من اتبع في شبابه الشيطان الرجيم، ومنهم من اتبع الملك الرحيم.

قصة ابني آدم:

أول من حدثنا الله عنهم من بني آدم اثنان من بنيهِ، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: ٢٧]، شابان من أولاد آدم، من ذرية آدم وحواء، أول من خلق الله من البشر، ولكن غلبت نفس أحدهما؛ فأقدم على قتل أخيه، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة: ٢٧]، كل واحد قرب قرباناً لله ممّا عنده، ﴿فَنُقِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ [المائدة: ٢٧]، واحد قدّم أحسن ما عنده لله، وواحد جاء بأي شيء وقدمه لله، والله تعالى يقبل الأفضل،

(١) سبق تخريجه ص ٦٧.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٣٢)، والحاكم في الرقاق (٣٠٦/٤)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧)، عن ابن عباس.

﴿فَنُقِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، هدد أخاه بالقتل، لماذا؟ حسد أخاه أن قبل قربانه دونه، وما ذنبه؟ انظر أنت لماذا لم يُقبل قربانك؟ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٢٩]، لِنُقِلْنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٢٩]، خوَّفه بنار جهنم، ومع هذا كان ذلك الرجل شريراً، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ [المائدة: ٣٠]، لا يُقال هنا: المجتمع سبب القتل. بعض الاجتماعيين يجعلون الجرائم كلها من فعل المجتمع، لكن هنا لم يكن مجتمع، أول جريمة تقع، أين المجتمع؟ نفسه هي التي أمرته بالسوء، طوعت له قتل أخيه الطيب الخير، الذي قدم قربانه لله فتقبل منه، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

وحمله يحاول أن يدفنه؛ فلم يعرف كيف يدفن هذا الرجل! لم يُقتل أحد قبل ذلك ولم يمت أي أحد من أبناء آدم، هذا أول واحد يموت، كيف يُدفن الميت؟ لم يعرف، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، مات غراب فجاء أخوه يبحث في الأرض، ينقر في التراب، ﴿قَالَ يَوَيْلَئِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]، ندم على أنه حمل تلك الجثة، وسار بها أياماً لا يعرف ماذا يفعل بها! لم يندم على القتل؛ لأنه ظل يحمل إثم هذا القتل، وكلما قُتل واحد من بني آدم كُتب على ابن آدم الأول هذا كفل منها، الحروب التي تقوم ويُقتل فيها الملايين يتحمل إثم قتل كل واحد من هؤلاء؛ لأنه أول من سن القتل، «ومن سنَّ سنَّة سيئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١).

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

إبراهيم عليه السلام:

نجد ممّن حدثنا الله عنهم من الشباب سيّدنا إبراهيم، بعث الله سيّدنا إبراهيم برسالة التوحيد، ونبذ الأصنام، وكان يجر أصنام أبيه في الشارع ويقول: من يشتري من لا يضر ولا ينفع^(١). وذهب إلى الأصنام وهدد أصحابها المشركين قائلاً: ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]. وفعلاً بعد أن ذهبوا إلى عيد من الأعياد أخذ فأسه وظل يحطم هذه الأصنام، آلهة تُعبد وهي لا تستطيع أن تدفع عن نفسها، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، وضع الفأس عنده ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، فلما رجعوا وبحثوا قالوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠].

كلمة فتى تعني شاباً، فالفتى هو الشاب الصغير السن، الفتى الجسم، ومعناه أن إبراهيم كان لا زال في شبابه، يقول العلماء: إنّ الأنبياء لا يُنبّون إلا في سنّ الأربعين. ولكن هذا في الغالب، ليس دائماً، فهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾. وهذا معناه أنّه صغير السن، وقال الله عن سيّدنا يحيى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. وسيّدنا عيسى مات صغيراً وعمره ثلاث وثلاثون سنة، فليس من الضروري أن يُنبأ النبي عند الأربعين.

كان هذا فعل إبراهيم عليه السلام بأصنام المشركين، وحينما جاؤوا به وحققوا معه، وغلبهم بمنطقه القوي؛ قالوا: لا بدّ أن ننتقم منه. فعزموا على أن يحرقوه بالنار، وجمعوا له من الأحطاب والأخشاب، والفحم وكل ما يوقد النار، وأججوا ناراً هائلة، وبالمقلع قذفوا إبراهيم في هذه

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢٣٥/١)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

النار، وقال الله للنار: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. فكانت النار بردًا وسلامًا عليه.

إسماعيل عليه السلام :

ومن الأنبياء الذين كان لهم في شبابهم موقف: إسماعيل بن إبراهيم، أول من وُلِدَ لإبراهيم ابنه إسماعيل، من زوجته المصرية هاجر، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وظل أبوه متعلقًا به إلى أن بلغ ما يبلغ الشباب؛ فرأى في منامه أن يذبح إسماعيل، وأخبر ابنه إسماعيل بهذا، ﴿قَالَ يَبْنِيْ إِيَّايَ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿[الصافات: ١٠٢]، حتَّى إِنَّهُ لَم يَقُلْ لَهُ: افعل بي أو برقبتي ما تؤمر. لا، لم يذكر نفسه، قال له: نفذ الأوامر التي عندك، لا تشاورني، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وفعلاً جاء إبراهيم بسكينه، وأراد أن يذبح ابنه، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمَا قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١١١].

يوسف عليه السلام :

ومن هؤلاء الشباب يوسف عليه السلام، ابتلي في شبابه ابتلاءً من نوع آخر، فإسماعيل ابتلي بأن ينفذ الطاعة التي تتعلق برقبته، وسلمها لله، فلم يعارض ولم يتلكأ ولم يتعثر، ويوسف ابتلي بابتلاءات أخرى منذ طفولته، من إخوته وهم شباب أيضاً، هم أبناء نبي من الأنبياء: يعقوب،

ولكن غلب على شبابهم الحسد لأخيهم يوسف، أن أباهم اهتم بيوسف أكثر من اهتمامه بهم، وقالوا: لا بد أن نتخلص من يوسف، نقتله. فقال أحد هؤلاء الشباب: ﴿لَا نَقْتُلُكَ يَوْسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]. لا داعي لأن تقتلوه، نتخلص منه بدون قتل، واستقروا على أن يلقيه في الجب عسى أن تأتي قافلة سيارة فتأخذه معها، ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ اللَّهِ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩، ٢٠]. قالوا: نتخلص منه بدل أن يظهر له صاحب ويأخذه منا. وباعوه فعلاً، ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١]. هياً الله له أن يعيش في بيت كريم، بيت عزيز مصر، وأوصى رجل البيت امرأته به، ولم يكن عندهم أولاد؛ فكان مثل ولدهم!

ولكن الله هياً ليوسف محنة أخرى، محنة أشد من المحن التي امتحن بها غيره؛ لأنها محنة تتعلق بدينه، أن امرأة العزيز فُتنت به، وكان يوسف آية في الحسن والجمال، فلما بلغ أشده في بيت المرأة، وأصبح فتى شاباً في مقتبل عمره وفتوته، فُتنت به امرأة العزيز، وهي فتنة دائمة، ليست فتنة امرأة قابلت رجلاً في الطريق أو لقيته مرّة، لا، بل كان يعيش في بيتها، وتراه في الصباح والمساء، والليل والنهار، والصيف والشتاء والربيع والخريف، في كل الأيام، ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، بصريح العبارة طلبت من يوسف أن يعاشرها، ولكن يوسف هذا الشاب الغريب الذي لا زوجة له، والذي هو في منتهى القوة، ومنتهى الشباب والحيوية: رفض أن يستجيب

لها، رفض بهذا الدافع الديني: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]، ورفض بدافع أخلاقي: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، زوجك هذا هو ربي: أي سيدي، أحسن مثواي، ولا يليق بي أن أخونه. ثم رادع مصلحي: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، لو فعلت ذلك كنت خائناً، خنت الذي ائتمنني، وبهذا أكون ظالماً، والظالم لا يفلح أبداً، الظالمون خائبون دائماً في النهاية، ولذلك ردعها يوسف عليه السلام، وحدث ما حدث، وعرف زوجها، وعرفت المدينة كلها ما حدث!

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]، تصوروا امرأة العزيز هذا الرجل، كبير الوزراء، الشخص الثاني بعد الملك في مصر، امرأة هذا الرجل عندها خادم وتراوده عن نفسه، أترك العزيز وتراود خادماً عندها؟! أهذا يحدث؟! إنها امرأة جاهلة لا عقل لها، ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ [يوسف: ٣١]، نسوة الكبراء، الطبقة العالية في المدينة، وجهزت لهن مجلساً عالياً فيه من الطعام والشراب والفاكهة، ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، بمجرد أن أمسكن بالسكاكين ليقطعن الفاكهة: دخل عليهم يوسف الذي كن يظننه مجرد خادم، ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، قالت فذلكم الذي لمتني فيه ولقد رددته عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما أمره، ليسجنن وليكونا من الصغرين ﴿[يوسف: ٣١، ٣٢]، تقول هذا أمام يوسف ليسمع ويرى، سمع في الأول لغة الإغراء، والآن يسمع لغة التهديد، الإغراء لم يأت بنتيجة فلا بد من لغة أخرى!

وكان النسوة كلهن يؤيدن امرأة العزيز، حينما رأى النسوة يوسف عذرتها، فليس هذا شخصاً عادياً، فأيدنها في طلبها، وانضممن إليها في دعوة يوسف إلى الفاحشة، ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣]، كان يوسف مُخَيَّرًا بين مصيبتين: مصيبة في دينه، ومصيبة في دنياه، المصيبة في دينه أن يزني ويكون من الفاسقين، والمصيبة في دنياه أن يُسجن ويكون من الصاغرين، فاختار مصيبة الدنيا، كما علمنا النبي ﷺ أن نقول: «اللهم لا تجعل مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا»^(١). إذا كانت هناك مصيبة في الدين ومصيبة في الدنيا؛ فلا تجعل مصيبتنا في الدين، اجعلها في الدنيا مصائب الدنيا تهون، الدنيا كلها تهون، ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾، سأصرف تصرف الجاهلاء والأغبياء، الذين لا يخافون الله ولا يعرفون الآخرة، وهذا يدل على عتو الغريزة الجنسية، فليست غريزة ضعيفة، ولكنها غريزة قوية، ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُئُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿ [يوسف: ٣٤، ٣٥]، بعد أن تبين لهم أن يوسف لا ذنب عليه، وأنه بريء كل البراءة قالوا: حَتَّىٰ يَتَوَقَّفَ كَلَامُ النَّاسِ لَا بَدَّ أَنْ نَحْبِسَ يَوْسُفَ، نبعده أن أعين الناس، إذا بعد عن أعينهم سكتوا.

دعوة يوسف ﷺ في السجن:

ودخل يوسف وهو في عز شبابه السجن مظلوماً مفترى عليه، بدأ يحل مشاكل المساجين، ويفسر لهم ما يرونه من رؤى، ويدعوهم أن يخرجوا من الوثنية إلى التوحيد، ومن الشرك الذي يعيشون فيه.

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢)، وقال الترمذي: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣)، عن ابن عمر.

وفي هذه الفترة كان يحكم مصر الرعاة العمالقة، وهم من العرب أساسًا، جاؤوا من جزيرة العرب، وهاجموا مصر واحتلوها وظلوا فيها مئات من السنين، ولذلك لا يصف القرآن ملك مصر في عهد يوسف بفرعون كما وصفته بذلك التوراة، لم يصفه القرآن بذلك؛ لأنه لم تكن أسرة فرعونية في ذلك الوقت، إنما كانوا ملوكًا، قال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيَهُ﴾ [يوسف: ٥٠].

كان ملكًا من الملوك الذين حاربهم أحمر المصري بعد ذلك وطردهم من مصر، وكانت مصر في ذلك الوقت كما قلت وثنية لا تعبد الله وحده؛ بل تعبد الأصنام، فدعا يوسف الناس حوله في السجن إلى أن يعبدوا الله، دخل معه فتیان: أحدهما كان ساقياً للملك، وكان الآخر خبازًا، قال لهما يوسف: ﴿يَصْصَحِي السَّجْنِ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، تعبد أصنام لا تبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تخفض ولا ترفع، وتترك الله الواحد القهار؟! ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [يوسف: ٤٠]، مجرد ألفاظ تطلقونها على هذه الأصنام أنها آلهة وما لها من الألوهية شيء، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، إلى آخره.

رؤيا الملك وتعبير يوسف عليه السلام :

ظلَّ يوسف يدعو النَّاسَ إلى الله، ويستجيب له من يستجيب، ويعرض عنه من يعرض إلى أن رأى الملك رؤياه المعروفة، تحدثنا عنها في بعض الخطب، ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، وعرض رؤياه على المنجمين والذين يُعْبَرُونَ الرُّؤْيَ ويزعمون ما يزعمون فلم يستطيعوا، ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلْمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

ولكن الرجل الذي فسّر له سيّدنا يوسف رؤياه وصدقت رؤياه، وخرج يسقي الملك خمراً: تذكّر أن يوسف من أصحاب التفسيرات الهائلة، فذهب على الملك وقال له: أنا أعرف من يفسرها لك. قال: ائتوني به. فذهب إليه هذا الرجل وقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦]. حكى ليوسف رؤيا الملك، وكان ما كان من يوسف، وتحدثنا عنه من قبل، ولكن هذا لون من الشباب الذي قضى شبابه في محن متتالية؛ فصبر على هذه المحن، حتّى هيا الله وجزّاه له أن يصبح الحاكم الحقيقي لمصر.

هناك ملك فعلاً، ولكن يوسف كان من يحكم البلاد بالفعل: في سبع سنوات زيادة في الإنتاج، وسبع سنوات بعدها قلّة في الإنتاج، فأقام عدالة التوزيع، ظلّ يوسف في هذه المدة يحكم مصر حتّى هيا الله له أن يعود أبوه وإخوته إلى مصر ويقول لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

الله سبحانه تعالى يقول: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢]. الإنسان يبلغ أشده في الشباب، فلمّا بلغ أشده آتاه الله حُكْمًا وَعِلْمًا، ليس مجرد علم، ولكن علم معه الحكمة، معرفة الأمور على حقيقتها، ومعرفة الأسباب والعلل، فكان يوسف من المحسنين كما قال له المسجونون معه: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]. وكما قال له إخوته بعد أن أمسك بأخيه معه: ﴿يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨]. وسيّدنا يوسف قال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. كان يوسف من هؤلاء

المحسنين الذين يظهر عليهم الإحسان في أخلاقهم، والإحسان في أعمالهم، والإحسان في تصرفاتهم، فكان شخصاً نموذجياً طوال شبابه ﷺ.

موسى ﷺ :

وكان من الذين أنعم الله عليهم في شبابهم سيّدنا موسى ﷺ، كل أسرة موسى كانوا شباباً، أم موسى كانت شابة؛ فالأم التي تلد وترضع هي في الغالب شابة، وأخت موسى كانت شابة، وموسى ﷺ منذ طفولته، الأنبياء مكتوب عليهم أن يلقوا ما يلقوا من العناء، ومن الحياة الصعبة الشديدة، يتلقونها مرحلة بعد مرحلة، جاء موسى في عهد فرعون الذي كان يُذبح الأبناء ويستبقي النساء، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِبحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

العلو في الأرض: الطغيان والتجبر، والاستكبار في الأرض. علا فرعون في الأرض كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١]. الله وحده هو العليُّ العظيم، أمّا الذين يدعون العلو فليس من مرتبتهم العلو، هم بشر يأكلون ويشربون ويتغوطون، يحتاجون إلى كل شيء، فهم أضعف ما يكونون، ليس من صفاتهم العلو، ولكن فرعون ادعى العلو، علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً، يفرق بين المصريين والإسرائيليين.

والقرآن يشير لنا بأنّ الإسرائيليين أصبحوا من أهل مصر، يقول: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾. كيف يكونون من أهلها وهم قد جاؤوا من فلسطين؟ لأنهم جاؤوا برضا المصريين، ودخلوا مصر برضاهم، وعاشوا

بينهم فأصبحوا فئة منهم، الإنسان يكسب الجنسية إذا عاش في البلد مدة معينة، تتفاوت البلاد في تقديرها، لكن إذا طال به العهد يصبح من أهل هذه البلاد، وفرعون استخدم التفرقة بين أهل البلاد، جعل أهلها شيعة، ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾. وكان الدور في هذه المرة على سيّدنا موسى ﷺ، ونذكر بقية الحديث عن سيّدنا موسى وشبابه الذي قصّه الله تعالى علينا في سورة القصص، ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [القصص: ١٥]، إلى آخره، ثم ذهب إلى مدين وعاش فيها ثم عاد إلى مصر مرة أخرى رسولاً من الله رب العالمين، يدعو فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ولا يعذبهم ويدعوه إلى التوحيد، ﴿أَنْ أَدُؤَا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّيْنٍ ﴿[الدخان: ١٨، ١٩]، ندع هذه المرحلة إلى الخطبة القادمة إن شاء الله.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يفهمنا في كتابه، ويفقهنا في دينه؛ إنّه نعم المولى ونعم النصير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، ادعوا الله يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

وحدة الأمة:

ذكرنا أن أحدث الإحصائيات لأمتنا العربيّة والإسلاميّة المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها تؤكد على أن هذه الأمة بلغت مليارًا وثلثي المليار، وأنا أعتقد أنّها أكثر من هذا، لأنّهم لا يزالون يقولون: إنّ مسلمي الصين عشرون مليونًا. وهذا غير معقول، حينما زرت الصين ورأيت أهلها، في كلّ مكان مسلمون ما شاء الله.

الأمير شكيب أرسلان قال في تعليقه على كتاب (حاضر العالم الإسلامي) لعجاج نويهض: المسلمون في الصين خمسون مليونًا. كان هذا من أكثر من ثمانين سنة، الخمسون مليونًا في ذلك الوقت كم تساوي الآن؟ كانت مصر في ذلك الوقت عشرة ملايين، الآن مصر تسعون مليونًا، فكيف يصبح الخمسون مليونًا عشرين مليونًا؟!

هناك محاولات دائمة لتقليل عدد المسلمين، ولكن المسلمين كثيرون، وهم يزدادون كثرة، المسلمون في أنحاء العالم هم الأمة التي تزداد كثرة يومًا بعد يوم، كل الأمم يقل عددها يومًا بعد يوم، لأنّ الناس لم تعد لهم رغبة في النسل، ومن عنده رغبة يكتفي بواحد أو اثنين، ولذلك تقل أعداد الأمم، نحن الأمة التي رغبها نبيها في النسل: «تَنَاسَلُوا تَنَاسَلُوا تَكْثُرُوا»^(١). ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، وابن حبان (٤٠٥٦)، ثلاثتهم في النكاح، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي. وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٨٩)، عن معقل بن يسار.

أَزَوَجَكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴿[النحل: ٧٢]﴾. أبناء وأحفاد، هذا ما يريده الإسلام، فالأمة الإسلامية تزداد يوماً بعد يوم.

لكن أقول: للأسف أمتنا رغم كثرتها ليست متماسكة، نحن نريد لهذه الأمة أن تتماسك، يمسك بعضها ببعض، أن تصبح حلقاتها متواصلة، أن تصبح جسداً واحداً، وحدة عضوية كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»^(١). ويقول: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٢). ويشبك بين أصابعه هكذا. فهكذا نريد الأمة المسلمة تصبح جسداً واحداً، وبنياً واحداً مرصوصاً، اللبنة مهمما كثر ولكنها مبعثرة لا قيمة لها، متى تكون لبنة قيمتها؟ إذا انضمت إلى لبنة أخرى، ولبنة مع لبنة تُكوّن صفّاً، وصف مع صف يُكوّن جداراً، وجدار مع جدار يُكوّن حجرة، وحجرة مع حجرة تُكوّن بيتاً، وبيت مع بيت يُكوّن حيّاً، وحي مع حي يُكوّن مدينة، ومدينة مع مدينة تُكوّن قطراً، وقُطر مع قُطر يُكوّن مجموعة من البلاد، هكذا يجب أن يكون المؤمنون.

من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا:

ولذلك نحن ندعو الأمة العربية والأمة الإسلامية أن يتوحد بعضها مع بعض، الاتحاد فريضة، النبي ﷺ قال: «لا تختلفوا؛ فإن من كان

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلوة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلوة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١). ويقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. يجب أن تكونوا إخوة متحابين متعاونين متضافرين، كل واحد منكم يسعى إلى معاونة أخيه وخدمة أخيه، لا يستغني أحد منكم عن صاحبه أبدًا.

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَلِأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، يجب أن نكون أمة، والأمة لا تكون إلا بالاتحاد والتضافر والتعاون بعضها مع بعض، أن يعتبر كل جزء منها جزءًا من الجزء الآخر، وعضوًا في هذا الجسم الكبير.

من أجل هذا ندعو الأمة العربية والإسلامية: أن يتكاتف بعضها مع بعض، لا يتركوا بلدًا مثل سوريا يعاني ما يعاني وهم يتفرجون، حرام علينا هذا والله، كل عربي وكل مسلم في أنحاء الأرض عليه فريضة أن يعاون إخوانه الذين يُقَتَّلون ويُدَبَّحون، ويُجَرَّحون ويُعَوَّقون، عشرات الآلاف، أكثر من ثمانين ألفًا، غير المشرّدين وغير المعوقين وغير المصابين.

على العرب والمسلمين أن يقووا هؤلاء الإخوة في سوريا بأنفسهم، وبأموالهم، وبدعائهم، بكل ما يملكون، العرب - كدول وحكومات - مسؤولون عن هذا، قطر أسأل الله أن يجزيها خيرًا عما قدمت، والله أقول هذا من قلبي؛ لأنني أرى ما تفعل قطر من أجل سوريا، وما فعلت من أجل مصر، وقد جاء رئيس وزرائها وأمد مصر بثلاثة مليارات لإسعاف مصر وإنقاذ

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

أحوالها، هكذا ينبغي أن يكون الناس بعضهم لبعض، لا نترك إخواننا يسقطون ونحن قادرون على أن نمسك بهم، وقادرون على أن نحمي ظهرهم، وأن نشد أزهرهم، لا ينبغي للأمم أن تتفرق في أوقات الشدائد، ويترك بعضها بعضاً، إذا كانت هناك أمة حقيقية فهذه الحقيقة تظهر في الشدائد.

سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون:

أما الذين يتفرجون، ويريدون أن تسقط هذه الدولة وراء هذه الدولة؛ فوالله سيحاسبهم الله عز وجل، سيحاسبهم في الدنيا قبل الآخرة، سيأخذون جزاءهم لأنهم ظلموا أنفسهم، وظلموا إخوانهم، وظلموا دينهم، وظلموا أمتهم، والظالم لا بد أن يأخذ جزاءه، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(١).

إننا مع إخواننا في سوريا، معهم بقلوبنا، ومعهم باللسنتنا ندعو لهم، ومعهم بكل حياتنا، ويجب أن نكون جميعاً معهم، ونحن مع إخواننا في مصر، ومع إخواننا في تونس، مع إخواننا في ليبيا، مع إخواننا في اليمن، مع إخواننا في كل مكان يشكون فيه، نضمد جراحهم، نمد إليهم أيدينا، هم منا ونحن منهم، فيجب أن نكون جميعاً فداءً لهذه الأمة الكبرى.

ادعوا الله أيّها الإخوة معي أن يسدد خطي هذه الإخوة، وأن يأخذ بأيديها، وأن يشد أزرها، وأن يحمي ظهرها، وأن يقوي أمرها، وأن يجعل

(١) سبق تخرسجه ص ٤٢.



كلَّ الخير معها، وأن يُهيئ أسباب الفلاح لكلِّ من يساندها، وأن يخذل كل من يخذلها.

اللهمَّ اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهمَّ انصر إخوتنا في سوريا، اللهمَّ افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتمَّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين، اللهمَّ عليك ببشار الأسد وجيشه، وكل من يُعينه على الشرِّ، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيزٍ مقتدر.

اللهمَّ أيد الجيش الحرَّ وأيد إخواننا من الشعب السوري كلّ، مسلميهم ومسيحييهم، وعربهم وأكرادهم، ورجالهم ونساءهم، وشبابهم وشيوخهم، انصر هذا الشعب يا ربَّ العالمين، وانصر إخوتنا في مصر، واجمع الكلمة عليهم، وهيئ لهم من أمرهم رشداً، اللهمَّ هيئ لمصر عهداً آمناً مطمئناً، يستطيع فيه أن يُقدِّم للعالم كلّ رؤيته وعمله، وكيف يصنع بلده، اللهمَّ انصر إخوتنا في تونس يا ربَّ العالمين، وانصر إخوتنا في كل بلاد الربيع العربي، وبلاد العرب والإسلام جميعاً، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، ربَّنَا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصُرنا على القوم الكافرين، ربَّنَا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربَّنَا إِنَّكَ رءوفٌ رحيم.



الشباب في القرآن الكريم (٢) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، وتحدثنا في الجمعة الماضية عن الشباب في القرآن الكريم، تحدث القرآن عن الشباب الذين هم في مستقبل العمر، وفي موضع القوة من حياة الإنسان، فحياة الإنسان تبدأ بالضعف في عصر الطفولة، وتنتهي بالضعف في عصر الشيخوخة، وبين العصرين عصر القوة وهو عهد الشباب، فعلى الإنسان أن يستفيد من هذه الفترة المهمة من حياته، فترة الطاقة والحيوية، والقدرة على العطاء.

ولهذا ذكر الله لنا نماذج من هؤلاء الشباب الذين قضوا أيام الشباب في طاعة الله وَجَلَّ وَجْهَهُ وفي الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة في الدين، وعملوا كل خير لغيرهم من الناس.

ذكرنا من هؤلاء سيّدنا إبراهيم الذي دعا أباه وقومه في شبابه، الذي عرّفنا أنّه كان حينذاك شاباً أنّه حين حطّم الأصنام وسأل قومه عمّن حطّم الأصنام قالوا: ﴿سَمِعْنَا فَنَقُلُ لَهُمْ قَوْلَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]. فتى يعنى أنّه شاب قوي.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠١٣م.

دعوة إبراهيم لأبيه وللناس:

في هذا الوقت بدأ إبراهيم دعوته لأبيه وللناس، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَتَابَت إِلَيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَتَابَت لِمَا لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَتَابَت إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٥]. بهذه الوصايا دعا إبراهيم أباه، ولكن أباه ركب رأسه، وخسر نفسه، وقال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِتِي يَا بَرَهَيْمُ لِمَ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]. فتركه إبراهيم عليه السلام ووعدته أن يستغفر له ربه، وقد استغفر له ربه؛ ولم يكن يعلم أن الاستغفار لا يجوز لمشرك، ﴿وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

كان إبراهيم شابًا قويًا، وكان يدعو الجميع إلى الله وَعَجَّلَ، يدعو قومه، ويدعو أباه، ولكن للأسف أعرض عنه أبوه، وأعرض عنه قومه، قال لهم وهو يشير إلى الأصنام: ﴿فَانْهَمُّ عَدُوًّا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٧ - ٨٢].

هكذا أعلن إبراهيم عليه السلام معاداته لهذه الآلهة المزعومة، التي ليس لها من الربوبية شيء، ولا من الألوهية شيء، ودعا ربه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٩].

موقف إسماعيل عليه والسلام ووصفه في القرآن:

هكذا كان إبراهيم، وهكذا كان ابنه إسماعيل الذي تحدثنا عنه في الجمعة الماضية، حينما عرضه للذبح، وأمسك بالسكين، ووضع رقبتة، أمامه وكاد يقطع رأسه، ولكن جاءه الفرج من الله: ﴿أَنْ يَتَبَرَّهِيْمُ * قَدْ صَدَّقَ الرُّيَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٧]. وكان هذا أساساً للتضحية عندنا في عيد الأضحى، نتذكر ما فعله إبراهيم وابنه إسماعيل، إذ أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه لله، نحن نحتفل في كل عام بهذا الموقف العظيم، موقف إبراهيم وابنه إسماعيل.

وكان إسماعيل من أنبياء الله العظام، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥]. الإنسان الصادق نرى صدقه يتمثل في أسرته، فهو يأمر أهله ويأمر امرأته كما يأمر أولاده أيضاً؛ بالصلاة والزكاة ومكارم الأخلاق.

ونجد من الأنبياء الذين أرسلهم الله، حتى الذين أرسلوا في سن الأربعين هم شباب، سن الأربعين لم يترك الشباب، فمن كان في الأربعين فهو في سن الشباب.

موسى عليه السلام:

وقد تحدثنا عن بعض قصة موسى عليه السلام، حينما أرسل الله موسى إلى فرعون المتأله الجبار؛ لإنقاذ بني إسرائيل، وإنقاذ المصريين أنفسهم من الوثنية التي تتمثل في عبادة فرعون، حيث قال لهم فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. فهو يرى نفسه الرب الأعلى والإله الأعظم، ويجب أن يتجه إليه الناس بالعبادة!

الأنبياء يُربّون في أتون المحنة:

هياً الله موسى ﷺ ليقوم بهذه الرسالة الكبرى، ودائماً يربي الله أنبياءه في أتون المحنة، لا يربّهم على الرفاهية، ولا على النعمة المطلقة، إنّما يمتحنهم، وانظر إلى موسى ﷺ من أوّل يوم وُلد في المحنة، حينما ولد جاء الوحي إلى أمه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

حين تخافي عليه ألقه في البحر! وفعلاً ألقته في البحر، فانظر كيف حال الأم حين تستجيب لهذا، وترمي ابنها في البحر، ماذا يفعل به البحر؟ ولكنها استجابت لوحي الله تعالى إليها، فالتقطه آل فرعون، لماذا التقطوه؟ التقطوه ليكون لهم ولداً، ولكن النتيجة جاءت عكس ذلك، كما يقول الله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. وكما يقول الشاعر:

لِدُوا لِلْمَوْتِ، وابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْو يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ^(١)

هل يلد الإنسان من أجل الموت؟ وهل يبني من أجل الخراب؟ لا، ولكن هذه هي النتيجة، أن كل حي سيموت، وكل مبنى سينتهي إلى الخراب.

نجا موسى من القتل، حينما أراد فرعون أن يقتله، قالت له امرأته: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. وبحثوا عن مرضع فقالت لهم أخته؛ وقد أمرتها أمها أن تتبعه وتقص

(١) البيت لأبي العتاهية، انظر: الحماسة البصرية لصدر الدين البصري (٤٢٧/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.

وموسى لا يسعه أن يستنجد به رجل ضعيف ضد رجل قوي، ولا يلتفت إليه! لا بد أن يكون مع الضعفاء ضد الأقوياء، مع المظلومين ضد الظالمين، هذا شأن الرجل الحر، وشأن صاحب الأخلاق الكريمة، ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، كل ما فعله، ضرب الرجل لكمة فأنتهى الرجل بهذه اللكمة؛ كأنه كان ينتظرها، ربّما كان عنده ضعف في القلب أو في شيء، فبوكزة واحدة قضى عليه.

قال موسى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]. ما كان يريد أن يقضي على الرجل، يريد أن يدفع شره عن صاحبه، ولا يريد أن يقتله، ولكن هذا قدر الله، وكزة واحدة قتلته، وكان موسى من أقوياء الرجال، كان رجلاً طويل القامة، مفتول الذراعين، عظيم القوة، وكان يغضب إذا استغضب، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ﴾ [القصص: ١٦]، لأن الله يعلم أنه لم يكن يقصد القتل، القتل الخطأ ليس فيه جريمة القتل، جعل الإسلام فيه دية، ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢]، فهكذا كان علاج الإسلام للقتل الخطأ، ولكن هذا في دولة مؤمنة تحتكم إلى الإسلام، أمّا هذه فهي دولة وثنية، فاستغفر موسى ربه، ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

قال موسى: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]. أمّا وقد غفرت لي يا رب؛ فأنا أعاهدك ألا أكون عوناً لمجرم، ولا لطاغية، ولا لظالم أبداً، وهذا شأن الإنسان الحرّ صاحب الإيمان والأخلاق، يلتزم مع الله ألا يكون ظهيراً وعوناً ويذاً للمجرمين، لا يكون عصا لهؤلاء يتوكؤون عليها، لا يكون سيفاً يضربون به، إنّما يكون دائماً مع الحق ضد الباطل، مع العدل ضد الظلم، مع الضعيف ضد القوي.

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ [القصص: ١٨، ١٩]، عاش في المدينة عاصمة مصر يترقب ماذا سيفعل القوم به؟ فإذا بالرجل الذي نصره بالأمس يناديه، فزجره سيّدنا موسى، ولكن الرجل الآخر هم بقتل صاحبه فأراد أن يدفعه أيضًا فقال له: ﴿يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩]، فهذا جعل موسى يزداد خوفًا، معناه أن الرجل يعرف أنه قتل رجلًا بالأمس، مثل هذه الأخبار في تلك المدينة تنتشر بسرعة.

إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [القصص: ٢٠]، من أطراف المدينة، ليس من وسط المدينة، يقولون: الأطراف سكنى الأشراف. يسكنون في الضواحي بعيدًا عن ضوضاء الناس وعن زحمة الناس، جاء الرجل مسرعًا يهرول ﴿ قَالَ يَمُوسَى إِبْرَئِيلُ الْمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠]، هيا الله لموسى من ينصحه هذه النصيحة، قال له: يجلس الملاء، وهم الذين يملؤون العين مهابة، كبار القوم: يجتمعون بعضهم ببعض، ويتحدثون عن قصّة موسى الذي قتل المصري؛ دفاعًا عن صاحبه من بني إسرائيل، ويريدون أن يقتلوه، ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١]، استمع إلى نصيحة هذا الرجل، وعلم أنها نصيحة في محلها، جاءت من قلب يحبه، ويخشى عليه من سطوة أعدائه، فخرج من المدينة خائفًا متوجهًا ناحية مدين، ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢]، اتجه إلى أقرب بلد يستطيع أن يصلها على رجليه، لم تكن هناك سيارات

ولا قطارات ولا طائرات، ولم يكن معه حتى حمار يركبه، فخرج على رجليه، حماره رجلاه!

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، بعد أيام سار فيها ماشيًا، ليس معه نقود، وليس معه طعام، يأكل ممًا قد يجد في البادية من أشياء يأكلها الإنسان عند اللزوم، أو لا يجد شيئًا فيصبر على الجوع، حتى ورد ماء مدين، الماء الذي يشرب منه الناس، ويسقون منه أنعامهم ودوابهم، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]، وجد جماعة من الناس يسقون إبلهم وبقرهم وغنمهم وعنزهم.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣]، وجد فتاتين تقفان بعيدًا عن الناس في جانب، ومعهما غنمهما، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، قالتا: نحن فتاتان لا نستطيع أن نزاحم الناس، وليس لنا أخ يقوم مقامنا، وأبونا رجلٌ مُسِنَّ، فنحن ننتظر حتى ينتهي الناس من سقياهم وندخل بشياهنا وغنمنا لنسقي، ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، بقوته وشبابه، وعادت الفتاتان مسرورتين، لأول مرة ترجعان مبكرًا، وقصتا على أبيهما قصّة هذا الشاب الغريب الذي سقى لهما ولم يعرفهما!

وما هي إلا دقائق حتى جاءت إحداهما تمشي على استحياء، ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، هكذا جاءت الفتاة وحدثته بكل وضوح، وبكل قوّة وبكل صراحة، ليس في هذا شيء أن تكلم المرأة الرجل ويكلم الرجل المرأة؛ كما كلم موسى الفتاتين معًا، وكما كلم إحداهما الآن، ليس في هذا شيء، إذا لم يكن هناك شر

أو نية سوء؛ فلا حرج في هذا، ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، فذهب مع هذه الفتاة، مشى أمامها وهي وراءه، تقول له: يميناً، شمالاً، وهكذا. حتى وصل إلى أبيها.

إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾، قصته مع فرعون، وقصة فرعون مع بني إسرائيل، وقصة القتل الخطأ الذي حدث، وما كان ينتظره من فرعون وجنوده، فقال له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]. أنت الآن في أمان، نجاك الله من هؤلاء القوم الظالمين، ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَأُ اسْتَعْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَشْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، كلمة قالتها هذه الفتاة، لعلها هي التي ذهبت إليه لتستدعيه.

أفضل ما يوظف الإنسان شخص فيه خصلتان أساسيتان: القوة والأمانة، ما معنى القوة؟ أن يكون قادراً على العمل الذي يقوم به، إن كان العمل يحتاج بدنًا قويًا يكون ذا بدن قوي، أو يحتاج عقلاً قويًا يكون ذا عقل قوي، أو يحتاج خبرة عملية أو تدريباً فهو خبير مدرب، هذا معنى القوة، كما قال سيّدنا يوسف: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. العلم هو القوة، والحفظ هو الأمانة، لا تكفي القوة وحدها، وإنما لا بدّ من القوة مع الأمانة، قد يكون الإنسان قويًا ولكنه فاجر لا يخاف الله ولا يستحي من الناس، يأكل أموال الناس بالباطل، هذا لا خير فيه، إنما الخير كل الخير فيمن جمع بين القوة والأمانة، أو بين الحفظ والعلم، هاتان الصفتان هما اللتان جعل منهما علماء المسلمين أساساً للترجيح بين الأفراد بعضهم وبعض، كان سيّدنا عمر قويًا أمينًا، وكان يحب الأقوياء الأمناء ليوظفهم في العمل عنده، وأحياناً

يجد قوّة بلا أمانة، وأحياناً يجد أمانة بلا قوّة، ويسأل الله أن يجمع للناس بين الأمرين^(١).

قال الرجل الشيخ الكبير هذا، بعض النَّاس يقولوا: إنَّه شعيب نبي الله. ولكن هذا خطأ، فشعيب كان قبل موسى بسنين، كان قريباً من عهد سيّدنا لوط، قال: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]. ربّما كان اسمه شعيباً لأن النَّاس تسمي بأسماء أنبيائهم وكبرائهم، لا مانع من هذا، ولكنّه ليس شعيباً نبي الله، ولو كان هو ما أخفاه الله، لماذا يخفي مصاهرة نبي لنبي؟ فهو شيخ كبير من شيوخ مدين، قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجْجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]. أنا أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين، اختر من تشاء منهن، كل ما أطلبه منك تعيش معي ثماني سنوات: تشتغل في أرضي، وترعى غنمي، فإذا زدت سنتين على الثمانية فهذا من عندك، وما أريد أن أشق عليك. قال موسى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]. قال له: أنا رضيت بشرطك هذا، حسبما يتيسر أي الأجلين قضيته، لم يرض أن يلتزم بشيء فيجب عليه، ولكنهم قالوا: إنّه قضى أبرّ الأجلين وأوفاهما، وفي عشر سنين لهذا الرجل.

نبوة موسى بالوادي المقدس طوى:

قضى موسى الأجل، وسار بأهله عائداً إلى مصر، وفي الطريق إلى مصر ﴿ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا مَخَالِبٌ﴾ [القصص: ١٧].

(١) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦٨/٢٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ إِيَّيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ [القصص: ٢٩، ٣٠].

وفي سورة طه قال له ربه: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿٣٢﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٣٣﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿٣٤﴾ [طه: ١٢ - ١٥].

وظل يخاطب الله موسى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿٣٥﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى ﴿٣٦﴾ [طه: ١٧ - ١٩]. كان يكفي أن يقول له: عصا. ولكنه أراد أن يتحدث مع الله، ولكن أيضًا لما تحدث لم يرد أن يطيل الكلام، فهذا من أدب العبودية مع الألوهية، ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٣٧﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٣٨﴾ [طه: ١٩ - ٢١]. انقلبت العصا حية، الجماد صار حيوانًا يتحرك، فأمسك الحية فرجعت عصا، هذه من المعجزات المادية الحسية الكبرى، قال: ﴿وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢]. كان موسى قريبًا من السمرة فلما وضع يده في جيبه خرجت بيضاء من غير سوء، ليس فيها جذام ولا برص، ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ ﴿لِزُرِكَ مِنْ عَيْنِنَا الْكُبْرَى﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٤﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٥﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٦﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٧﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٨﴾ هَٰزُونٌ أَخِي ﴿٢٩﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣٠﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣١﴾ كَىٰ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٢﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٤﴾ [طه: ٢٢ - ٣٥]. الإنسان وحده ربما يغفل أحيانًا، ربما ينسى أحيانًا، ربما يضعف أحيانًا، ولكنه مع أخيه ينبهه إذا غفل، ويذكره إذا نسي، ويقويه إذا ضعف، فيقول: كي نسبحك نحن الاثنان كثيرًا ونذكرك كثيرًا.

القول اللين مطلوب من الداعية:

وفعلًا أرسل الله موسى وأخاه هارون وقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

المأمون الخليفة العباسي ابن هارون الرشيد دخل عليه أحد الرجال يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر؛ وأغلظ له في النصيحة، قال له: يا ظالم، يا فاجر، يا كذا. فقال المأمون: يا هذا، إنَّ الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق. قال: من؟ قال: بعث موسى وهارون - وهما خير منك - إلى فرعون - وهو شر مني - وقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ^(١).

فالقول اللين مطلوب من الداعية، حتَّى مع أشد الناس كفرًا، ومع أشد الناس عتوًا على الله وعلى الناس، أن يستعمل معه الرفق، لعله يتذكر أو يخشى، ولذلك حينما ذهب موسى إلى فرعون انظر ماذا قال له؟ قال له بهذا اللفظ المهذب الرقيق: ﴿هَلْ لَّكَ إِلَيَّ أَنْ تَزُكِّيَ﴾ ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩].

هكذا أعد الله موسى في شبابه ليواجه هذا الفرعون الأكبر، هذا الطاغية الظالم، يواجهه بالبينات وبآيات الله ^{عَزَّ وَجَلَّ}، وإن شاء الله نؤجل باقي الحديث إلى الأسبوع القادم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠١/٧٣)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَصْلُونُ:

فِي هَذَا الْيَوْمِ الْكَرِيمِ أَحَدَثَكُمْ عَنْ عِدَّةِ أُمُورٍ سَرِيعَةٍ:

زيارة المجاهد إسماعيل هنيّة قطر:

الأمر الأوّل هو زيارة الأخ الكريم المجاهد إسماعيل هنيّة: رئيس حكومة غزّة إلى دولة قطر، فأهلاً ومرحباً به، ترحب به قطر كلها: أميراً وشعباً وحكومة، وندعو الله له ولإخوانه في غزّة، وإخوانه في فلسطين: أن يجمع كلمتهم على الهدى، وقلوبهم على التقى.

وقد جاء هو لعدة أمور، منها المساعدة في إعمار غزّة، وقطر لها فضل بعد الله تبارك وتعالى في هذا الأمر، نشكر لدولة قطر ما تقوم به من أجل غزّة، ومن أجل فلسطين، وما تقوم به من أجل السودان ودارفور، وما تقوم به من أجل سوريا؛ حتّى تكف الدماء التي تُراق كل يوم، وما تقوم به من أجل العالم العربي والعالم الإسلامي.

جاء الأخ إسماعيل هنيّة قطر من أجل المسارعة والمبادرة في هذا الأمر المهم، وهو إعمار غزّة، فلا تزال هناك في غزّة مبانٍ مخرّبة، خربتها الحرب الظالمة المدمرة لأبناء فلسطين، ولا بدّ للعرب والمسلمين وللقادرين أن يساهموا بما يستطيعوا في بناء غزّة.

وجاء الأخ إسماعيل أيضاً ليقوي فكرة المصالحة، ويمر بها إلى أقصى ما يستطيع، يمدّها بقوته، ويمدّها بإخوانه، وقد أيدت قطر هذا الأمر، ونحن كلنا نؤيد أن يصطلح الفلسطينيون، ليس هناك مبرر أن

يكون الفلسطينيون قسمين، قسم في الضفة وقسم في غزّة، هو بلد واحد فلماذا نقسمه، لا بدّ أن نتصر على أنفسنا، وعلى شياطيننا: شياطين الإنس، وشياطين الجن، على كل من يسول لنا أن نظل هكذا مفترقين، ليس هذا في مصلحة القضية أبدًا، مصلحة القضية تقتضي أن يتفق الجميع، نحن بلد واحد، وشعب واحد، وهمّ واحد، وهدف واحد، لا يجوز لنا أبدًا أن نفرق على هذا الأمر.

نحن نرحب بأخينا إسماعيل هنيّة وإخوانه المرافقين له، ونرحب بأبناء فلسطين جميعًا، وندعو الله تبارك وتعالى لهم أن يوفقهم في مهمتهم، وأن ينجح مسعاهم، وأن يعودوا إن شاء الله وقد امتلأت أيديهم وقلوبهم بما في هذا البلد من خير كبير.

تفجيرات بوسطن وتكساس:

الأمر الثاني هو ما حدث في أمريكا، ما حدث في بوسطن من تفجيرات، وما حدث أخيرًا في تكساس من تفجيرات، قُتل فيها نحو العشرين، وجُرح فيها العشرات.

ونحن لا نحب لأي بلد أن تُفجر مبانيه، أو يُغتال رجاله، نحن ضد الاغتيال، وضد التفجير في المباني والمنشآت المدنية، إذا كانت بيننا وبين أحد حرب فلتكن وجهًا لوجه، لا نغتيال ولا نخرب المباني كما يفعل بشار الأسد الظالم في سوريا، يهدد سوريا، يكاد لا يريد أن يبقى فيها حجرًا، يريد أن يخرب البلد، يقتل الأمنين، يقتل الناس في بيوتهم، يقتل الرجال، يقتل الشيوخ الكبار، يقتلهم بالدبابات، بالمدافع، بالبوارج الحربيّة، بطائرات الميج، بهذه الأسلحة التي تأتيه من روسيا أو من إيران، من هنا ومن هناك، يقتل بشار الأسد هؤلاء.

نحن ضد من يقتل الناس، كأن من يفعل هذا ليس من هذا البلد وليس من هذا الشعب، لو كان من هذا الشعب لعز عليه أن يرى الدماء كل يوم تُسفك، أن يرى الأرواح تُزهق، ولكن كأنما هو رجل من بلد آخر، لا يعيش بإيمان ابن الشعب السوري، لا يعيش بعاطفته، لا يعيش بهذا الكيان الكبير، ولذلك يقتل الناس ولا يبالي، وقال بأنه سيستمر في هذا القتل، ولكن الله لن يبقيه.

أقول: إنَّ الله لن يبقِي هذا الظالم، سيأخذه أخذ عزيز مقتدر، سيُنزل به بأسه الَّذِي لا يُرد عن القوم المجرمين، وأنا أدعو الله عليه في الليل والنهار، وفي الصباح والمساء، وأدعوكم أيُّها الإخوة المسلمون في قطر، وفي بلاد الخليج، وفي بلاد العرب، وفي بلاد المسلمين، وفي بلاد الدُّنيا كلها: أن تدعو على هذا القاتل الجبار الَّذِي يقتل شعبه كل يوم بالعشرات والمئات، يضرب النَّاس بالطائرات المقاتلة؛ كأنه في معركة حربية.

هؤلاء النَّاس لا نرحمهم ولا نشفق عليهم؛ لأنَّهم لم يرحموا شعوبهم، لو رحموا من في الأرض لرحمهم من في السماء، ندعو الله أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وأن يُنزل بهم بأسه الَّذِي لا يُرد عن القوم المجرمين، وأن يأخذ بأيدي إخواننا في سوريا.

ونحن نخشى أن يكون ما حدث في بوسطن وتكساس عملاً مدبَّراً من أي قوم، وما نحب أن يحدث، وأنا أقول: أنا أدين هذا العمل وأنكره، ولو كان الَّذِي عمله أيًّا كان، لو كان عربياً أو مسلماً، أو من أي بلد أدين عمله.

نحن نريد الأمن والسلام للناس، هذا الإسلام الَّذِي أكرمنا الله به جاء يدعو النَّاس إلى السلم، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وجعل تحية المسلمين في الدُّنيا السلام: السلام عليكم ورحمة الله، وفي الآخرة السلام: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]،

وجعل من أسماء الله (السلام)، ومن أسماء المسلمين (عبد السلام)،
فنحن دعاة السلام، ولا نحب أن نحارب إلا من يحاربنا، وفي الحرب
نتخلق بأخلاق الحرب، وبأساليبنا التي نراها تابعة لما يأمر به ديننا،
وما يوجه إليه قرآننا وسنة نبينا، هذا ما ننكره، وهذا ما ندعو إليه.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا، اللهم
استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن
أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم
أيد إخواننا في سوريا، وأيد إخواننا في مصر، وأيد إخواننا في تونس، وأيد
إخواننا في ليبيا، وأيد إخواننا في اليمن، وأيد إخواننا في المغرب، وأيد
إخواننا في الصومال، وأيد إخواننا في مالي، وأيد إخواننا في بنجلاديش،
وأيد إخواننا في فلسطين، وفي الأردن، وفي لبنان، وفي إيران، وفي العراق،
وباكستان، وفي أفغانستان، وفي ماليزيا، وفي إندونيسيا، وفي سائر بلاد الله.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي
السفلى، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ ولا أقل من ذلك، اللهم
أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثاً هنيئاً مريئاً
غدقاً، اللهم اجعله نافعا غير ضار، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً
سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ربنا آتينا في الدنيا حسنة، وفي
الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.



الشباب في القرآن الكريم (٣) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا معكم حول القرآن الكريم وموضوعات القرآن الكريم، التي تحدثنا عن عدد منها في هذه الخطب، وآخر موضوع هو الشباب في القرآن الكريم، تحدثنا عن عدد من هؤلاء الشباب الذين اهتم القرآن بذكرهم في شبابهم وفي فتوتهم؛ مثل سيّدنا إبراهيم وابنه إسماعيل، وسيّدنا يوسف وإخوته، وسيّدنا موسى، وانتهينا في قصّة سيّدنا موسى إلى رجوعه مع أهله، وتهيئة الله له أسباب الرسالة إلى فرعون، ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، وحدث ما حدث بينهما، وهذا قد قصصناه في جمع أخرى، فلا داعي لأن نعيد ذكره مرّة أخرى.

ذرية من قوم موسى آمنوا به على خوف من فرعون:

ولكن القرآن ذكر لنا أن موسى قد هيأ الله له مَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ فتياناً من بني إسرائيل كما قال ﴿وَعَلَىٰ﴾: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]. ذرية من قوم موسى آمنوا به،

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٦ أبريل ٢٠١٣م.

وهم يخافون من فتنة فرعون وإيذائه، لم يكن الإيمان أمراً خالصاً للإنسان، يستطيع من يؤمن بدين أن يؤمن به ولا حرج عليه، ولكن من آمن بموسى تعرض لفتنة كبيرة، كما حدث للسحرة الذين آمنوا بموسى حينما قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]. قال فرعون: ﴿فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]. أنا أم إله موسى؟ وعذبهم وقتلوا شهداء في سبيل الله، من أجل هذه القضية؛ فكان الإيمان يكلف صاحبه كثيراً، ولذلك قال سيّدنا موسى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦]. فالإيمان يجعل صاحبه في فتنة ومحنة، يتعرض فيها للبلاء وللأذى من أصحاب السلطة.

فرعون كان يملك الجنود والبطش والقوة والسلطان، فمن آمن مع موسى تعرض لإيذاء كبير، ولذلك آمن هؤلاء الشباب على خوف من فرعون وملأ فرعون الكبار من قومه: أن يفتنهم!

حياة جديدة في الصحراء:

وظلوا على هذا حتّى هَيَّأَ اللهُ لَهُمُ الْخُرُوجَ مِنْ مِصْرَ، خرجوا مع سيّدنا موسى، وأذن الله لهم أن يظلّوا أربعين سنة بعيداً عن أرض مصر، حرّم الله عليهم البقاء في مصر، وقضى أن يظلّوا في الصحراء أربعين سنة يتيهون في الأرض، يسمونها (سنوات التيه).

لماذا حرّم الله عليهم البقاء في مصر أو دخول الأرض المقدسة، وهياً لهم أن يعيشوا في الصحراء أربعين سنة؟ لأن الجيل الذي عاش في ذل الفراعنة وتحت سطوة فرعون وجنوده: امتلاً بالذلة وبالخنوع والخضوع للأوامر والنواهي؛ فلا بدّ لهذا الجيل أن يعيش حياة جديدة في الصحراء،

ليس فيها هذا الخنوع والإذلال، ولذلك حرم الله عليهم دخول الأرض المقدسة، وأن يظلوا أربعين سنة تائهين في الأرض، فهيأ الله لهم في أرض التيه المن والسلوى، المن الذي يخرج من باطن الأرض يسمونه (الفجع)، والكمأة من المن، والسلوى قالوا: إنها طيور كانت تأتي مهاجرة إلى سيناء. وبعضهم يقول: إنَّ المنّ: حلوى تكون على بعض الشجر الذي يظهر في هذه المنطقة.

فهي أشياء أعطاه الله لهم في غاية من الحلاوة والجمال والكثرة، وبدون تعب، ولكنهم سئموا من كثرة هذا، وقالوا لموسى: نريد أن نأكل من البقول والعدس والبصل، وهذه الأشياء التي تنبت في الأرض. فقال لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١]. إن كنتم تريدون هذا ارجعوا مصر، وذوقوا ذل فرعون حتى تأكلوا هذه الأشياء، ربنا حرمكم من هذه الأشياء لتعيشوا أحرارًا، لتذوقوا نعمة الحرية، وتبدؤوا حياة جديدة، تبدؤوا سنين عمركم حرة من أول الأمر.

داود عليه السلام :

وهكذا ربّى الله هؤلاء القوم حتى دخلوا إلى الأرض المقدسة، وبقوا فيها مدة من الزمن، حتى هيا الله لهم سيّدنا داود وسيّدنا سليمان، وبعث إليهم قبلهما طالوت ملكًا، وداود وهو شاب قتل جالوت، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فداود أصبح ملكًا وهو شاب، ولكنّه كان شابًا متعبداً لله تبارك وتعالى، حتى إنَّ النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ،

ويقومُ ثلثه، وينام سُدُسَه»^(١). ولذلك أحبَّ الله صيام داود وقيامه، وكان أيضًا يأكل من عمل يده، كان ملكًا آتاه الله الملك، ولكنَّه كما قال النبي ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعامًا قَطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإنَّ نبيَّ الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»^(٢). كان يصنع الدروع ويبيعها ويأكل من ثمنها.

سليمان عليه السلام :

وهيأ الله ابنه سليمان؛ فظهر من صغره حكمًا، حكم في بعض القضايا هو وأبوه داود، وكان رأي سليمان هو الصواب في فهمه واجتهاده، ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، حكم سليمان وهو صغير في هذه القضية بالحكم الصحيح، لا مانع أن يحكم الصغير بما لا يؤتى للكبير، قد يكون الرجل كبيرًا ولكن الله يعطي بعض الشباب من الفهم ما لم يؤتاه هذا الشخص الكبير، هذه هدايات وهبات من الله تبارك وتعالى.

ثم صار سليمان بعد ذلك هو الملك بعد أبيه، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٣٩]، ولكن داود وسليمان إنما مكثا ملوكًا عدة مئات من السنين، كان عمرهم طويلًا؛ فبقوا مئات من

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

السنين، ثم انسحبوا من هذه البلاد وأخذها الرومان منهم، وبعد ذلك أخذها المسلمون من الرومان، لم يأخذوها من الإسرائيليين ولا من بني داود وسليمان.

أيوب عليه السلام :

وكان من الشباب الذين حدثنا الله عنهم أنبياء آخرون مثل سيّدنا أيوب، ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، أصابه من المرض ما أصابه، وفقد أولاده، وكانت زوجته هي التي بقيت معه، ولكن الله هياً له أن يُشفى من مرضه.

بعض المفسرين قالوا: إن جسمه مبتلى إلى درجة أنّ النَّاسَ كانت تنفر منه. وهذا لا يجوز، أن يصل المرض بالأنبياء إلى أن ينفر النَّاسُ منهم؛ لأنّه كيف ينفر الله النَّاسَ من نبيه؛ وقد أرسله إليهم؟! أرسل الله نبيه إلى النَّاسَ ليلبّغهم دعوته فكيف يكون فيه من الأمراض ما ينفر النَّاسَ منه؟ هذا لا يصح عن العلماء، فهذه أقوال ما أنزل الله بها من سلطان، وإنّما الذي حدث أن أيوب عليه السلام مسه، ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، مسه الضر كما يمس كل إنسان، ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، فهو نوع من المس، لا يوجب أن يُصاب من الأمراض بما ينفر النَّاسَ منه.

شفى الله أيوب عليه السلام وأعاد الله له مثل ما كان معه من أولاد، وجعله الله تعالى مثلاً للصبر، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، كما يحتاج النَّاسُ إلى مثل عليا يبلغون أرقاماً عالية لا يبلغها أحد، فهذا بلغ رقماً قياسياً في الصبر لم يبلغه أحد، الصبر الذي يُبتلى به النَّاسُ غير الصبر على مشاق الدعوة، كل الأنبياء أوتوا هذا النوع من الصبر.



يونس عليه السلام :

وهناك أيضًا سيّدنا يونس عليه السلام ، الَّذِي لَقِبَهُ الْقُرْآنُ بِذِي النُّونِ، والنون يعني الحوت، ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، سيّدنا يونس عليه السلام وهو من بلدة نينوى في العراق، كان مع قومه وغاضبهم وغضب منهم، وهاجرهم وتركهم وذهب إلى السفينة، وكان البحر يضطرب بها لثقل وزنها، وقالوا: لا بدّ أن نخفف العدد وإلا تغرق السفينة كلها. فعملوا قرعة؛ فخرج السهم عليه، وكرروا القرعة وفي كل مرّة يخرج السهم على يونس؛ فآلقوه في البحر، ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢].

دعوة ذي النون:

كان عليه اللوم لأنّه غاضب قومه وتركهم، ولم يأذن الله له في فراق قومه، التقمه الحوت، جعله لقمة له، لأنّه حوت ضخمة، ٥٠ متر أو كذا، ولكن سيّدنا يونس لم يئس من رحمة الله وعجل، ﴿فَنَكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ﴾: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، الَّذِي أصبح القبر الكبير الَّذِي يضم جسد سيّدنا يونس عليه السلام ، نادى بهذا الدعاء الجميل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. هذا الدعاء الجميل يتضمّن ثلاثة بنود: البند الأوّل التوحيد: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾. والبند الثاني التنزيه: ﴿سُبْحَانَكَ﴾. أنزهك عن الظلم، لم تظلمني، أنا ظلمت نفسي، قصرت فاغفر لي، والبند الثالث الندم: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. وهذا يُعتبر استغفارًا وتوبة إلى الله وعجل.

ولذلك يقول نبينا ﷺ: «دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروبٌ إلّا

فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١). إذا كنتَ في كُرْبَةٍ، إذا كنتَ في غُمَّةٍ، إذا كنتَ في حالة لا تجد لك منها مخرجًا، نادِ رَبَّكَ بما نادى به ذو النُّونِ ربه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]. إذا كانوا في غمة والتجؤوا إلى ربهم، لا يتركهم الله ولا يتخلى عنهم أبدًا، بل يجعل لهم من كل همٍّ فرجًا، ومن كل غمة مخرجًا، ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

يحيى عليه السلام :

ومن الأنبياء الشباب الذين ذكرهم القرآن لنا سيّدنا يحيى، الذي وهبه الله لسيّدنا زكريا، فقد كان زكريّا شيخًا كبيرًا، وكانت امرأته عاقراً، ونادى ربه بعد أن دخل على مريم وهي في محرابها، فوجد عندها رزقًا، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ أِنِّي لَلْبِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً اِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿[آل عمران: ٣٧، ٣٨]، فوهب الله له يحيى، وأصلح له زوجه، وقال الله تعالى عن يحيى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيًّا﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿[مريم: ١٢ - ١٥]. وهكذا كان يحيى عليه السلام، وهو ابن خالة سيّدنا عيسى المسيح عليه السلام، كان يحيى من الأنبياء الشباب، الذين وهب الله لهم الحكم والحنان، والطهارة والتقوى، والبر بالوالدين، ولم يكن من أهل الجبروت على الناس، بل كان من أهل مكارم الأخلاق والحكمة، والإحسان إلى الناس جميعًا، هكذا كان يحيى عليه السلام.

(١) رواه أحمد (١٤٦٢)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، قال: ورواه جماعة عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن سعد؛ فلم يقل فيه عن أبيه. والحاكم في الدعاء (٥٠٥/١)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣)، عن سعد بن أبي وقاص.

أهل الكهف:

وذكر القرآن لنا من الشباب أهل الكهف، قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]. كان أهل الكهف فتية، أي كانوا شبابًا في مستقبل عمرهم، في هذا العمر الوردي، في السنين النضرة من حياتهم، آتاهم الله هذا الإيمان؛ فآمنوا بربهم في قوم وثنيين، يعبدون مع الله آلهة أخرى، ولكن الله ﷻ هداهم بين هؤلاء الضالين، فلم يضلوا كما ضل قومهم، ولم يكفروا كما كفر أهلهم، فآمنوا بالله تعالى، ولجؤوا إلى الكهف ليحتموا من نقمة قومهم.

كان قومهم قومًا جبارين يؤذون المؤمنين، وبخاصة أنهم عدد قليل، لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم فتنة هؤلاء الجبارين، فأووا إلى الكهف؛ لكي ينشر لهم ربهم من رحمته، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١]، ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، ثلاثمائة سنين بالتوقيت الشمسي، الذي نسميه الآن التوقيت الإفرنجي، وازدادوا تسعًا بالتوقيت القمري العربي.

كانوا فتية شبابًا؛ فناموا ومعهم كلهم، واختلف الناس في عددهم، ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]. وقال سيّدنا عبد الله بن عباس: أنا أعرف عددهم، هم سبعة وثمانهم كلهم؛ لأن الله تعالى لم يقل: رجماً بالغيب بعدما قال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(١).

(١) تفسير الطبري (٦٤٢/١٧).

وانظر أصبح كلهم يُذكر معهم، فهو رفيق القوم، ومن يرافق السعداء يسعد حتّى وإن كان كلبًا، كلب فتية الكهف ذكره القرآن: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]. أخذوه للحراسة، ولكن أبى الله إلا أن يذكره معهم كما ذكروا هم، ثامن القوم، فهكذا يسعد الرفيق برفقة السعداء.

حينما استيقظوا من نومهم شعروا بالجوع، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليأتي إليهم بالطعام، ولكن عرف الناس أمرهم، ثمّ توفوا فبنوا عليهم مسجدًا، وأصبحوا من عليّة المؤمنين، خلّد القرآن ذكرهم في سورة من كتابه هي سورة الكهف، ووجدوا قرية في الأردن، هي أشبه ما تكون بما ذكره الله تعالى في القرآن، فهؤلاء من الشباب الذين أورد الله قصصهم في القرآن الكريم.

لقد كان في قصصهم عبرة:

لماذا قصّ علينا الله هذه القصص، وأوردها في كتابه الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ هل لمجرد التسلية، لنظّل نحكيها ونتسلّى بها؟ لا، وإنّما ذكر هذه القصص؛ لتكون عبرة لأولي الألباب، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثِثُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده:

ذكر الله لنا هذه القصص التي أودعها في كتابه الخالد، الذي جعله الله تبيانًا لكل شيء كما قال لرسوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. فعلينا نحن أن نتعلم

من هذه القصص؛ عسى أن يكون منا: من له قوّة ويقين أهل الكهف، أو له رحمة وطهارة سيّدنا يحيى، أو له صبر سيّدنا أيوب، أو له دعاء وتضرع سيّدنا ذي النون، أو له تقوى سيّدنا إسماعيل، أو له عزيمة سيّدنا يوسف الذي رفض الفاحشة، وهكذا ليأخذ كل منا عبرته من قصص هؤلاء الأنبياء العظام، وقد جمع الله ما تفرق في أنبيائه من محامد ومكارم وفضائل لمحمد ﷺ، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. اقتدِ بكل هداهم، خُذْ من كل واحد أفضل ما عنده، فأخذ مُحَمَّدٌ أَفْضَلَ ما عند هؤلاء جميعاً، ولذلك يستطيع الإنسان أن يقتدي بمحمد ﷺ في كل ناحية من نواحي الحياة، في السلم، وفي الحرب، وفي الشباب، وفي الشيخوخة، وفي العزوبة، وفي الزواج، وفي أكثر من زوجة، وفي حكم الناس، وفي الغنى، وفي الفقر، في كل شيء تجد محمداً ﷺ هو الأسوة للناس، المعلم لكل من يريد أن يتعلم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

التذكير إلى الجمعة:

صلاة الجمعة هي الفريضة الأسبوعية التي فرضها الله على المسلمين، وجعل يومها العيد الأسبوعي لهذه الأمة المحمدية القرآنية الإسلامية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. إذا كان عندك محل تجاري وسمعت الأذان الأول للجمعة اسع إلى ذكر الله، وذر البيع، وطبعًا ذر الشراء، لكن البيع هو الأهم لأنه هو الذي به يكسب الناس الثمن، ولذلك يحرصون عليه، فذروا البيع وذرُوا الدُّنْيَا كلها واذهبوا إلى المسجد، ولذلك كانت فريضة الجمعة فريضة مهمة عند كل مسلم.

أحد الأجانب كان رئيسًا للبعثة التبشيرية التي ذهبت إلى مصر في أوائل القرن الماضي لتبشر المصريين بالمسيحية، وأنها هي الخلاص، وتدعو إلى الإيمان بالمسيح وترك الإسلام، فيظل الناس يسمعون لهم حتى يظنوا أنهم استجابوا لهم، فيمر أحد الناس فيقول للجالسين: وحدوه. فيردون عليه: لا إله إلا الله. ويقول: صلوا على النبي. فيقولون: ^{صَلَاةُ} ^{وَالصَّلَاةُ}. فيخيب أمل المبشرين بما رأوا!

سيظل الإسلام صخرة عاتية:

وكتب رئيس هذه البعثة في نهاية رحلته تقريرًا يقول فيه: سيظل الإسلام في مصر صخرة عاتية، تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي؛

ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، واجتماع الحج السنوي. ما دامت هذه الدعائم الأربع موجودة، لا يمكن أن ينجح تبشيرنا في المسلمين.

الدعامة الأولى القرآن، ما دام القرآن يُقرأ، ونحن نرى القرآن يُقرأ في كل مكان، أنواع من القراءات والإذاعات، ويحفظه المئات والآلاف والملايين، كنت في ليبيا فقالوا: حفظ الملايون الأول، وبدأنا في الملايون الثاني. قلت لهم: هل تبالغون؟ قالوا: لا، هذا مسجل في الملفات، كل واحد من الملايون الأول له عندنا ملف مسجل فيه بياناته: اسمه، ومحل إقامته، وعمره إلى آخره. فإذا كان هناك في ليبيا مليون حافظ؛ وهي قليلة العدد، فكم يكون في مصر من الحفاظ وهي تسعون مليوناً؟ وكم في باكستان من يحفظ القرآن، حتّى وهو ولا يفهم العربية.

ذكر الرجل القرآن، وذكر اجتماع الجمعة الأسبوعي، لأن هذا الاجتماع هو الذي يحفظ على المسلمين إسلامهم، ولكن إذا كانوا يحضرون من أول الخطبة، أنا يؤسفني جدّاً والله، وأكاد أبكي حينما آتي؛ فأجد مجموعة قليلة من أبناء هذا المسجد، وسائر المسجد فراغاً، ما كان يحدث هذا من قبل أبداً والله، صحيح نحن نتأخر حتّى نبدأ، فما الذي يؤخر الناس؟ من يأتي متأخراً يُحرم من جائزة السباق إلى المسجد. هناك جائزة أخبر عنها النبي ﷺ حين قال: «مَنْ راح في الساعة الأولى - أي في الفوج الأول - فكأنما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة؛ فكأنما قرّب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

السابقون سبقوا، والمتأخر لا شيء له، لماذا نأتي متأخرين؟ لماذا لا نحضر مبكرًا؟ لماذا لا تأخذ بيضة أو دجاجة أو شاة؟ لماذا تحرم نفسك؟ أنا والله أعجب من هذا، نحن نتأخر حتى نبدأ، يا أخي احضر مبكرًا، اجلس فوجدك في المسجد صلاة، ما دمت تنتظر الصلاة فأنت في صلاة، لماذا تحرم نفسك من هذه الصلاة؟ القطريون وأهل الخليج عودوا النَّاس هذه العادة أنَّ المسجد فيه مصاحف، خذ لك مصحفًا واقرأ سورة من القرآن، أو ربعًا من القرآن، أو آيات من القرآن، لماذا تأتي متأخرًا؟ أنا أعجب من أبنائي أبناء هذا المسجد، ما كانوا هكذا، لماذا تعلمت هذا الأمر من المساجد الأخرى؟ تعلمتم شيئًا يضركم في دينكم وديناكم والله، والله إنني لآسف أشد الأسف: أن أجد من هؤلاء الشباب - ومعظمكم شباب - من يغيب عن مسجدهم، أنا أعرف أن بعض النَّاس يصلون في بعض المساجد ويأتون، وهؤلاء لهم ظروفهم، أمَّا الذي يصلي هنا فينبغي أن يأتي إلى المسجد مبكرًا؛ ليكتب في هؤلاء الذين يدونهم الله في السابقين إلى الجمعة، فيأخذ من يستطيع من جوائزه، أمَّا من حرم نفسه فلا حول ولا قوَّة إلا بالله.

قضية العراق:

هناك شيء آخر لا بدَّ أن أذكره، إخواننا أهل السُّنة في العراق يقاتلون ويدافعون عن أنفسهم، عن هويتهم، عن دينهم، عن كل ما يحرصون عليه في بلدهم، كان العراق للعراقيين جميعًا، ولكن بعد الغزو الأمريكي تغير العراق، سلَّم الأمريكان العراق للمالكي وأمثاله يتحكمون فيه تحكمًا طائفيًا، لم يصبح العراق لأهل العراق، كان العراق للمسلمين والمسيحيين، وللمسلمين: سنتهم وشيعتهم، أصبح العراق لطائفة واحدة:

طائفة الشيعة، أصبح الشيعة هم المتحكمين في العراق، أصبح نور الدين المالكي هو الحكم الذي يحكم في أهل العراق، في دمائهم وأعراضهم، وأموالهم وحرمااتهم، في يده الجيش والشرطة، وفي يده المال والسلاح، وفي يده كل شيء، وإيران تسنده من ورائه، تشد أزره، وتحمي ظهره.

هذا ما يجري في العراق، وإخواننا صبروا على ذلك طويلاً، حاول المالكي أن يشوه أهل السنة، بدأ بتشويه نائب الرئيس العراقي، وزور عليه ما زور، وفعل ما فعل من أفاعيل؛ حتى اضطره إلى أن يترك العراق، ويذهب إلى إخواننا الأكراد، ثم يأتي إلى قطر وإلى البلاد العربية.

هذا ما فعله المالكي، وهو لا يزال يذهب إلى آخر مدى، في سحق إخواننا من أهل السنة وقتلهم، بالأمس قتل من قتل، أكثر من مائة قتلوا، ومئات جرحوا وأصيبوا، لا يبالي، وهو وراء ما يجري أيضاً في سوريا، العراق تشتغل في سوريا، وحزب الله يشتغل أيضاً في سوريا، وإيران تشتغل في سوريا، أصبح الشيعة الآن يعملون ضد أهل السنة، وهؤلاء هم المفسدون في الأرض، ليس كل الشيعة هكذا، أنا ذهبت إلى إيران، وقابلت الرئيس مُحَمَّد خاتمي، وكان نعم اللقاء، وحينما جاء إلى قطر زارني في بيتي، هو وأمثاله عندهم عقلية متفتحة، تنظر إلى المسلمين كأمة كبرى.

نرفض التمدد فوق الإسلام:

أمّا من يجعل المذهب فوق الإسلام، ويجعل طائفته فوق الأمة، فهذا هو الذي نرفضه، نرفض المالكي، ونرفض ما فعله في نائب الرئيس: طارق الهاشمي، وما يفعله في أهل السنة من تمزيق وقتل وتجريح، وإخراج من البلاد، وإلصاق بالتهم، هذا ما نرفضه، نحن نريد أمة

الإسلام أمة واحدة، ولكنها لا تكون أمة واحدة إذا كان هناك أناس ينظرون إلى أنفسهم: أنهم وحدهم الأمة، وسائر الآخرين ليسوا من الأمة، هذا ما يريده الإيرانيون، هم بذلك يخرجون أنفسهم من أمة الإسلام.

نحن نحذر المالكي، ونحذر كل من يؤيده ويتبعه، بأن هذا هو الخطر الأكبر، إنكم بذلك تحاربون أمة الإسلام بكل المشارق والمغارب، أمة الإسلام أكثر من تسعين في المائة منها أهل السنة، ولن تسكت عنكم، لن تصبر عليكم أبدًا، إذا كنتم تستعملون هذه الطريقة في التفريق بين الناس، في تعذيب أهل السنة، في قتل أهل السنة، في اضطهاد أهل السنة، في إبعاد أهل السنة من المناصب، تأكلون كل شيء وحدكم، وتريدون أن تأخذوا كل شيء لكم؟ هذا ما لا يقبله أحد أبدًا، نحن نرفض هذا وندعو المسلمين إلى أن يقفوا ضد هذا الظلم البين، ضد هذا الافتراء على أهل الإسلام، وعلى أمة الإسلام.

مؤتمر الحوار بين الأديان في قطر:

ثم لا بد لي من كلمة أقولها بالنسبة لمؤتمر حوار الأديان، الذي ينعقد في قطر، هناك حوار للأديان الثلاثة: الإسلام، والمسيحية، واليهودية، وأقول لكم أيها الإخوة: إنني شاركت في هذا الحوار الذي بدأ منذ عشر سنوات، في السنة الأولى والثانية والثالثة، كان حوارًا بين المسيحية والإسلام، وقد بدأ سنة ٢٠٠٣م. وكنت في المستشفى أقوم بعمل جراحة في ركبتي، وعُقد المؤتمر الأول؛ فلم أستطع أن أحضره، أمر أمير البلاد حفظه الله: أن يأخذوا حديثًا مني وأنا على السرير، وأذاعوه في الجلسة الأولى الافتتاحية، وفي السنة الثانية حضرت المؤتمر، وكانت لي كلمة في افتتاحه.

فلما كانت السنة الثالثة حضرت أيضاً؛ ولكنهم أعلنوا في هذه السنة أنهم سيدعون في العام القادم اليهود، فقلت لهم: إذا دعوتهم اليهود؛ فإني لا أشارك معكم، أنا أشارك في اللقاء الإسلامي المسيحي، أمّا اليهودي فلا جدال بيننا وبينهم، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ لا تجادلوا معهم، لا بالتي هي أحسن ولا بالتي هي أخشن.

وهؤلاء اليهود ظلمونا ظلمًا بينًا، سفكوا دماءنا، قتلوا أولادنا، شردوا أهلنا، أخذوا ديارنا، غصبوا حقوقنا، اليهود الآن قالوا: تعالوا ندعو إلى السلام. فقلنا: لا بأس أن ندعو إلى السلام، ولكن أوقفوا الاستيطان. لكنهم أبوا أن يوقفوا الاستيطان إلى اليوم، لا زالوا يستوطنون من أرض الفلسطينيين ويتوسعون، ولا يسمحون لفلسطيني أن يبني دارًا في القدس الشريف.

المقدسيون يريدون ديارًا لأن ديارهم ضاقت عليهم، أصبح الجد والأب والابن في دار واحدة، هم يبنون ويتوسعون ولا يسمحون للفلسطينيين أن يبنوا ويتوسعوا، فكيف نقبل هؤلاء؟ هؤلاء الذين يحاولون هدم المسجد الأقصى، ويغيرون كل يوم في القدس، يريدون أن يتلعبوا هذه الديار المقدسة كلها، فتصبح تحت أيديهم، ونحن يجب أن نعيش في العراء، هؤلاء لا يمكن الحوار معهم.

ولذلك أنا أقول للأستاذ الدكتور مُحَمَّد المسفر أستاذ العلوم السياسية في جامعة قطر، الذي كتب اليوم في جريدة (الشرق) القطرية عن أنني مقاطع لهذه الحوارات، وهو يقول: إنَّ الحق معي، لأن هذه الحوارات لم تأتِ بنتيجة، حتّى الآن سبع سنين، وكل سنة يعيدوا ما قالوه في السنة الماضية، ويقولون كلامًا؛ لكن لا يمكن أن يترتب

عليه شيء، ما دام هناك من يؤمن بإسرائيل، ويريد لها أن تستقر وأن تتسع وتمتد؛ فهو عدو للعرب وللمسلمين، أنا لا يمكن أن أكون في مؤتمر يضم اليهود الظالمين، وهؤلاء ظلمونا ظلمًا كبيرًا؛ ولا يمكن أن أضع يدي في أيديهم، فيدهم ملوثة بالدماء، يدهم يد قاتلة، يد باطشة، يد ظالمة، فلا يمكن أن ألوث يدي بأن توضع في أيديهم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينصرنا على أعدائه وأعدائنا، اللهم انصُرنا على أعدائك وأعدائنا يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، ربنا آتينا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. اللهم انصر إخواننا في سوريا على أعدائهم الغاشمين، اللهم خذ هؤلاء الأعداء أخذ عزيز مقتدر، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم انصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر إخواننا في فلسطين، وفي الأردن وفي لبنان وفي العراق، اللهم انصر إخواننا أهل السنة في العراق، اللهم انصرهم على الظالمين الطاغين.

اللهم انصر إخواننا في باكستان وفي بنجلاديش، وفي الصومال، وفي كل مكان في بلاد الله يا رب العالمين، اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سحاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.



الزوجة في القرآن الكريم (١)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، الموضوعات التي يعرض لها هذا الكتاب العظيم، وهي موضوعات لا حصر لها، لا نكاد نحصرها، موضوعات دنيوية، وموضوعات أخروية، موضوعات فردية، وموضوعات أسرية، وموضوعات اجتماعية، وموضوعات اقتصادية، وموضوعات سياسية، وموضوعات دينية، وموضوعات تاريخية، موضوعات كثيرة تشمل كل ما يخطر ببالك وما لا يخطر به ممّا يحتاج إليه البشر، وما زلنا منذ أكثر من سنتين نعرض لهذه الموضوعات.

ومما نعرضه اليوم من هذه الموضوعات: موضوع (الزوجة في القرآن الكريم)، فقد عرض القرآن الكريم للمرأة باعتبارها إنساناً، وباعتبارها أنثى، وباعتبارها بنتاً، وباعتبارها زوجة، وباعتبارها أمّاً، وباعتبارها عضواً في المجتمع، كل هذا عرض له القرآن الكريم.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٧ مايو ٢٠١٣م.

الزوجة في القرآن الكريم:

ونحن اليوم نعرض للمرأة باعتبارها زوجة، لماذا؟ لأن أول امرأة في تاريخ البشر هي حواء، خلقها الله تعالى لوظيفة أولى، أول وظيفة لها أن تكون زوجة لآدم. خلق الله آدم أولاً، فهو أول البشر، خلقه من طين، ثم نفخ فيه من روحه، وكان ما كان، وخلق الله له من نفسه امرأة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]. النفس الواحدة التي خلق الله منها البشر هي نفس آدم، لأن آدم هو أول من خلق الله وَجَعَلَ من البشر، ومن آدم خلق الله حواء.

معنى خلق حواء من آدم:

ما معنى أن الله خلق حواء من آدم؟ الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ويقول: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، ويقول: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١].

هل خلق الله من كل شخص زوجة له؟ لا يُتصوّر هذا الأمر، ولذلك فالذين يقولون: إن الله خلق حواء من ضلع آدم. لم يأت على قولهم دليل، لا من القرآن، ولا من السنة الصريحة، إنما قال النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»^(١). في الضلع نوع من الاعوجاج، فهو يشير إلى الضعف المقصود في خلق المرأة لتكون أنثى، لتكون مطيعة للرجل،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٣٣٣١)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٨)، عن أبي هريرة.

ففيها نوع من الخلقة الفطرية التي تجعلها تابعة للرجل وطوعاً له، وهي من جنسه تماماً، أي أن فيها نوعاً من الضعف يجعلها أهلاً ليقودها الرجل، حتى تستطيع الحياة أن تسير، ولذلك قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

فالرجل مفضل على المرأة في الناحية العقلية، والمرأة مفضلة على الرجل في الناحية العاطفية، فكلاهما مفضل على الآخر في ناحية من النواحي، لماذا فُضِّلَت المرأة على الرجل في ناحية العاطفة؟ لأنها أم، لا بد أن يكون عندها من الحنان ومن قوّة العاطفة، ما تتحمّل به تربية الأطفال في كل مراحلهم ومناكفاتهم، لا يتحمّل الرجل هذا كله، لكن تتحمّله المرأة، ولذلك نقول: معنى أن الله خلق حواء من نفس آدم: أي من جنسه، كما خلق كل امرأة من جنس الرجل، ﴿وَمِنْ عَائِنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

حواء زوجة سيّدنا آدم:

وكانت حواء - كما سمّتها السنّة - هي أوّل من تزوج آدم ﷺ، هي أوّل امرأة تتزوّج في البشر، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، فهم بعض الناس أن كلمة ﴿زَوْجَهَا﴾، في الآية تعني الرجل، مع كلمة (زوج) في اللغة العربية للذكر والأنثى، كما قال تعالى عن السحرة: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. أي: وزوجته. فالمرأة زوج والرجل زوج، وكلمة (زوج) تعني اثنين، وكأن كل واحد منهما في نفسه فرد، وفي حقيقته زوج، لأنّه يحمل روح الآخر

وضميره، فالله تعالى خلق من جنس آدم زوجاً له، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

وما أحق كلمة (الأرحام) في الآية أن تُعرف بالأرحام الإنسانية العامة، وليس الرحم الخاصة: الأخ والأخت وأولادهما، والعم والعمة وأولادهما، والخال والخالة وأولادهما، إلى آخره، لا، بل هي أوسع من ذلك، فتشمل الأرحام البشرية كلها، فالبشرية كلها أقارب، لأننا كلنا أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة: آدم وحواء.

كانت أول زوجة في التاريخ هي حواء عليها السلام، ثم أباح الله للأبناء في عهد آدم أن يتزوج بعضهم من بعض، لأنه لو حرّم أن يتزوج الأخ أخته لانقطعت البشرية مبكراً، فكان لا بد أن يبيح للأولاد أن يتزوج بعضهم من بعض، وكانت حواء تلد ولداً وبنثاً في كل مرة، فكان الولد يتزوج أخته غير التوأم، واستمر البشر هكذا حتى جاء الأنبياء.

وأول الأنبياء الذين أرسلوا إلى الآخرين في نظر القرآن هو سيّدنا نوح، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]. ويقول البعض: إن آدم أيضاً نبيّ مرسل. هناك خلاف في هذا، ونحن نؤمن أن آدم أول من أوحى الله إليه، لا بد أن يوحى إليه برسالة يعمل بها، ويعمل بها أبنائه، فآدم نبي بطبيعة الحال، هل هو رسول؟ معظم العلماء يقولون: أرسل. لأنه لا بد أن يبعثه الله بشيء يقوله لأولاده، يعلمهم ما علمه الله، ويأمرهم بما أمر الله به وما نهى الله عنه، ويكفي هذا أن يجعله رسولاً.

وجاء بعد سيّدنا نوح سيّدنا هود، وسيّدنا صالح، وسيّدنا إبراهيم، وسيّدنا إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، ويوسف، وموسى،

وهارون، وعيسى، وخُتموا بمحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام. يقول الله تعالى في شأن الرسل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]. فكل الأنبياء جعل الله لهم زوجات، وبعض هذه الزوجات كانت زوجات صالحات.

والأصل أن الرجل الصالح يتزوج امرأة صالحة، وأن المرأة الصالحة تتزوج رجلاً صالحاً، هذا هو الأصل كما يقول القرآن: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]. ولكن أحياناً تأتي خوارق تخرج عن هذا الأصل فيتزوج الإنسان الصالح بامرأة سيئة، وتتزوج المرأة الصالحة برجل سيئ.

زوجة سيدنا نوح:

وهذا ما ذكره القرآن حينما قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، هذان نبيان من أنبياء الله، أحدهم نوح شيخ الأنبياء الذي عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه؛ فما يزدادون إلا فراراً منه، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥، ٦]. ابتلي سيدنا نوح بزوجه وابنه، آمن به من آمن من الناس، وكما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَمْنٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. لم تجلب له التسعمائة والخمسون عاماً إلا قلة قليلة، ورفض الأكثرية دعوة نوح عليه السلام، ومنهم امرأته وابنه، دعا ابنه أن يركب معه في السفينة لينقذه الله وعجل فأبى وقال: ﴿سَأَوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَّعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وكانت زوجته أيضاً من المغرّقين، خانت نوحاً ﷺ، كفرت بدعوته. العلماء يقولون: ليس المقصود بالخيانة هنا الخيانة الجنسية، وإنما الخيانة الدينية. خانتها لأنها كفرت بدعوته التي جاء بها لينقذ الناس من الشرك الذي وقعوا فيه، هم أوّل من وقعوا في الشرك من الخلق بعد عهد آدم ﷺ، فجاء نوح ﷺ يدعو قومه لينقذهم من ضلالة الشرك، ويعيدهم إلى التوحيد، وكان يُفترض أن تكون امرأته أوّل من يتبعه، فامرأة الإنسان هي أحق من يعرف: هل هو صادق أم كاذب؟ أهو محق أم مبطل؟ وهي تعرف أن هذا الرجل رجل صادق، رجل لا انحراف فيه، لا يعيبه أحد في سلوكه، ولكن حقّ عليها القول، أبت أن تطيعه وكانت من القوم الظالمين.

زوجة سيّدنا لوط:

ومن النساء اللاتي خُنَّ أزواجهن أيضاً امرأة سيّدنا لوط، وقالوا: إنّه كان ابن أخي سيّدنا إبراهيم ﷺ. كانت امرأة سيّدنا لوط تُحرض الناس عليه، وإذا جاءه ضيوف ذهبت إلى قومه تخبرهم بأمرهم، فكانت جاسوساً على زوجها، وحينما جاءت ملائكة الله بالعذاب إلى قوم لوط قالوا له: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْفُتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]. فذهبت مع الهالكين، وقيل لها: ادخلي النار مع الداخلين. فهذه سنّة الله، يمكن أن تكون المرأة الكافرة مع مؤمن، ويمكن أن تكون المرأة المؤمنة مع كافر.

آسيا زوجة فرعون:

وقد ذكر الله لنا إحدى المؤمنات كانت مع كافر من أكفر الكفار، إنّه كافر جبّار مستكبر، وهي امرأة فرعون، هيّا الله لموسى منذ ولادته أن

تستقبله امرأة فرعون، حينما استقبله فرعون، وعرف أنه من بني إسرائيل أراد أن يقتله، فقالت زوجة فرعون: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]. فأقنعت زوجها - ولم يكن رجلاً ينجب - أن يبقيه ولا يقتله، عسى أن يعود عليهما بالنفع أو يتخذانه ولداً لهما، فاقنعت فرعون بما قالت.

وحينما أرسل الله موسى ﷺ برسالته، كان من أول من آمن بموسى امرأة فرعون، أراد الله أن تؤمن امرأة فرعون، وماشطة امرأة فرعون، ومؤمن من آل فرعون، ثم آمن سحرة فرعون كلهم، خرّوا ساجدين، ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢].

أمنت امرأة فرعون بموسى، وقال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]. لم تطلب من الله مجرد أن يبني لها بيتاً، ولكن أن يكون البيت عنده، لأنها تريد جوار الله، والمثل يقول: الجار قبل الدار. ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، هكذا قالت هذه المرأة المؤمنة، ولذلك عدها النبي ﷺ من النساء الأربع، اللاتي هنّ أفضل أهل الجنة، فقال: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»^(١). رضي الله عنهن جميعاً.

الزوجة هي أول ما مارسته المرأة. أول امرأة في العالم حواء قبل أن تكون أمّاً كانت زوجة، تزوّجها آدم ﷺ فكانت نعمت الزوجة، كانت

(١) سبق تخريجه ص ١٣.

زوجة مطيعة لزوجها، فخير النساء - أي الزوجات - من تَسُرُّ زوجها إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، ولا تخالفه في نفسها ومالها، والنبِيُّ ﷺ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا»^(١). ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. هذه هي الزوجة الصالحة.

فاظفرُ بذاتِ الدين:

وكان النبي ﷺ يُحَرِّضُ النساءَ أَنْ يَكُنَّ زَوَاجَاتٍ صَالِحَاتٍ، وَيُحَرِّضُ الرِّجَالَ أَنْ يَكُونَ اخْتِيَارَهُمُ الْأَوَّلَ لَصَلَاكِ الْمَرْأَةِ وَدِينِهَا وَإِيمَانِهَا. لَا مَانِعَ أَنْ يَطْلُبَ الرَّجُلُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً حَتَّى لَا يَتَطَلَّعَ إِلَى غَيْرِهَا، وَأَنْ تَكُونَ حَسْبَةً نَسِيبَةً مِنْ بَيْتٍ شَرِيفٍ، بِنْتُ فُلَانٍ وَجَدَهَا فُلَانٌ، وَأَنْ تَكُونَ غَنِيَّةً حَتَّى تَعِينَهُ بِمَالِهَا، لَا مَانِعَ مِنْ هَذَا، وَلَكِنْ لَا يَجْعَلُهُ هُوَ الْأَسَاسَ، الْأَسَاسُ هُوَ الدِّينُ، النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»^(٢). لَا تَجْعَلْ هَذِهِ الثَّلَاثَ تَغْرُكَ، اجْعَلِ الدِّينَ هُوَ أَوَّلُ مَا يَهْمُكَ، «فَاظْفُرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»، التَّصَقَّتْ يَدَاكَ بِالتَّرَابِ كَنَايَةً عَنِ الْخُسَارَةِ.

وذات الدين هي التي تكون عوناً لك، تعينك على إقامة الصلاة، وأداء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام اليتامى، والإحسان إلى الجيران، وإعطاء أبناء السبيل، تعينك

(١) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٦٤)، وأبو يعلى (٢٤٩٩)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

على كل خير، ولذلك قال النبي ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وخير متاعها المرأة الصَّالِحَةُ»^(١).

الإسلام أباح الزينة والتمتع بجمال الدنيا:

الدُّنْيَا كلها متاع يتمتع الإنسان بها، ولم يُحَرِّم الإسلام الدُّنْيَا علينا، ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿[الأعراف: ٣١، ٣٢].

الأشياء التي تتمتع بجمالها في الدُّنْيَا أباحها الإسلام، وسماها زينة الله، وجعل التمتع بها أمراً مشتركاً بين المؤمنين والكفار، ولكنها يوم القيامة خالصة للمؤمنين دون غيرهم، فلم يحرم الإسلام الدُّنْيَا علينا، الدُّنْيَا متاع، فتمتع بالحلال من الدنيا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿[المائدة: ٨٧، ٨٨]، أحل الله لنا طيبات الدُّنْيَا من المأكَل والمشرب والملبس والمركب وكل طيبات الحياة، وكان النبي ﷺ يأكل من الطيبات، ويحب الثوب الجميل، ويقول: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ». هكذا علّم المسلمين، حينما قال له رجل: يا رسول الله، إنني رجل أولعت بالجمال في كل شيء، أحب أن يكون ثوبي حسناً، ونعلي حسناً. فقال له: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ - ليس هذا من الكِبَر - الكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢). فمن الكبر أن ترد الحق، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، عن ابن مسعود.

شَرُّ عَظِيمٍ أَنْ تَحْتَقِرَ النَّاسَ:

ومن الكِبَرِ احتقار الناس، والنبي ﷺ يقول فيما رواه مسلم: «بَحْسَبِ امرئٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم، كُلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمه، وماله، وعِزُّه»^(١). من الشرِّ العظيم أن تحتقر أخاك المسلم، تنظر إلى نفسك نظرة استعلاء واستكبار، وتنظر إلى أخيك المسلم نظرة الازدراء والاحتقار، وليس هذا من الإسلام في شيء.

الإسلام يبيح لنا الدنيا، «الدُّنيا متاعٌ، وخيرُ متاعِها المرأةُ الصالحة»، المرأةُ الصالحة هي أعظم متاع الدنيا، قد تكون امرأة جميلة، ولكن ليست صالحة، ليست هذه بشيء، وقد تكون جميلة، ولكن ليست صالحة، وقد تكون حسيبة ونسيبة، ولكن ليست صالحة، وإذا لم تكن صالحة لن تفيدك، إذا لم يكن عندها إيمان بالله، ويقين بالآخرة، وانتظار لما عند الله من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار، إذا لم تكن تخاف الله وترجو الله وتتقي الله؛ فاحذر منها، وابحث عن المرأة الصالحة.

ولذلك حينما نبدأ الزواج نبدؤه بما يُسمِّيهِ الإسلام الخطبة، أن تخطب المرأة، أي تتعرَّف عليها، وتتَّفَق مع أهلها على الزواج منها، ولهذه الخطبة خطوات لا بدَّ أن تتبعها حتَّى تتحقَّق من المرأة التي تريدها، فليست كلُّ امرأةٍ صالحة لكلِّ رجل، يمكن أن تصلح امرأة لفلانٍ ولا تصلح لفلان، ولذلك من نجاح الزواج إحسان الخطبة، يخطب المرأة التي يريد.

كانت لي شروط للزواج:

أنا حينما أردت أن أتزوج كانت لي شروط في المرأة التي أريدها، قلت لهم: أنا أريد أن أتزوج على قدر من الجمال بحيث تسُرُّني، لا بدَّ

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

أن تكون معقولة الجمال، ولا بدّ أن أراها ليطمئن إليها قلبي، وأريد امرأة لها أهل، ولها إخوة، فأنا ليس لي إخوة، وأبنائي ليس لهم أعمام، أريد أن يكون لهم أخوال، ولا بدّ أن يكون لها قدر من الثقافة، فأقل شيء أن تكون حاصلة على ثانوية عامة، وإذا كانت جامعية فهذا أفضل، خطبت امرأة جامعية فلم يرضوا بي لسبب ما، فخطبت امرأتي وكانت تحمل شهادة الثانوية العامة وقبلتها.

وكان الشرط الرابع هو التدين، أن تكون متدينة وقابلة لتديني، كان لي تدين معروف في ذلك الوقت، أنا صاحب دعوة، فلا تأتي واحدة تقول: لا تخطب حتّى لا يصيبك أذى من الدولة. لا بدّ أن تكون صابرة على ما يصيبني من ابتلاء، وهكذا، فكانت لي أربعة شروط في المرأة التي أريدها، وهكذا ينبغي للإنسان أن يحدد الأشياء التي يطلبها، حتّى لا يُفاجأ بامرأة غير التي كان يريدتها تمامًا، على كل إنسان أن يحدد الشروط التي يريدتها في خطيبته من العلم والدين إلى آخره.

إن شاء الله في الخطبة التالية نتحدث عن الزوجة المطلوبة، وكيف نخطبها، وكيف نتزوجها؟ ونسأل الله تعالى أن يهدينا إلى التي هي أقوم، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا؛ إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي كلمات في هذه الخطبة.

زيارة إلى غزّة:

أوّل كلمة أني خطبت الجمعة الماضية في الجامع العمري في غزّة، وكان الجامع العمري كنيسة، ثمّ لما أسلم أهل البلد لم يعد أحد ينتفع بهذه الكنيسة فحوّلوها إلى مسجد، وغيروا في اتجاهه إلى القبلة، وإلى الآن يمكن أن تعرف أنّه لم يكن مسجدًا من أوّل الأمر.

كانت أيامًا ثلاثة تلك التي قضيتها في غزّة، ذهبت يوم الأربعاء، وعدت مساء الجمعة، وكان معي أكثر من خمسين أخًا من الإخوة، أو عالمًا من علماء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومن لم يكن من العلماء فهو معهم مؤيّد لهم، والأكثرية الكبرى كانت من العلماء، ومنهم الرئيس السوداني الأسبق سوار الذهب، وعدد من الإخوة من بلاد مختلفة، من ستة عشر بلدًا أو أكثر فيما أذكر.

كنا في غزّة، وكانت أيامًا طيبة في الحقيقة، من أعظم وأجمل الأيام التي قضيناها، كان أخونا إسماعيل هنيّة رئيس وزراء غزّة يرافقني في هذه المدة، ويقود السيارة التي نركبها معًا، وقد شعرت أنّ الشعب الغزاوي يحب الأخ إسماعيل هنيّة وإخوانه، كلما مررنا بجماعة يقولون: أبا العبد، حيا الله أبا العبد. ويحيوننا معه، لكنّه الأساس، الناس يحبون الرجل، ويمشي معهم بحاله وطبيعته بدون حراسة.

وجدت هناك شعبًا في معظمه منسجمًا متآلفًا والحمد لله، يحب بعضه بعضًا، ويؤثر بعضه بعضًا، ويتعاون بعضه مع بعض، ويتفاهم بعضه مع بعض، كانت هذه الأيام أيامًا جميلة، تعبت فيها بعض الشيء، لأنني في سني هذا حينما تتزاحم الأعمال، أتكلم في اليوم الواحد أربع مرّات أو خمس، لا بدّ أن يتعب الإنسان، ولكن عدت بحمد الله سليمًا.

أكرمنا الإخوة هناك وأعطونا الجواز الفلسطيني تكميمًا لمثلي، وإن كان هذا الأمر للأسف أغضب إخواننا في فتح، وقالوا: إن من لا يملك أعطى من لا يستحق، لا يملك إسماعيل هنية إعطائي الجواز، ولا يستحق يوسف القرضاوي الجواز. فشكر الله لهم، وسامحهم وغفر لهم، والله إنني أعمل لقضية فلسطين وأنا ابن خمس عشرة سنة، وأنا الآن في السابعة والثمانين، صار لي اثنان وسبعون سنة وأنا أتحدث عن قضية فلسطين، بالقصائد وبالخطب، وبقيادة المظاهرات، وبالسجون أحيانًا، ولقينا ما لقينا من أجل هذه القضية.

ونحن لا نمن على أحد بذلك، فهذا واجبنا، نرى أنّ العمل لقضية فلسطين واجب على كل مسلم بما يقدر عليه، هناك من يقدر بالمال فليبدل المال من أجلها، وهناك من يقدر بالكلام فليناصرها بالكلام، وهناك من لا يستطيع إلّا الدعاء فليدعو، وهناك من يستطيع أن يجمع الناس فليجمعهم، يجب أن نعمل كلنا من أجل قضية فلسطين، لا نمن على فلسطين بما أدينا.

أنا بحمد الله معي جوازي القطري ولست محتاجًا إلى جواز، ولن أستعمل هذا الجواز، هو نوع من التكريم من الإخوة، لا أدري لماذا يغضب الإخوة في فتح؟ وقد أعطوا هم من دوني، من لا يستحق بالفعل أعطوه الجواز الفلسطيني.

الوحدة وإنهاء الانقسام:

ستبقى فلسطين إن شاء الله، وستبقى غزّة، وأنا دعوت هناك مرارًا وتكرارًا إلى الاتحاد الفلسطيني، إلى أن ينتهي هذا الانقسام، غزّة في جانب والضفة في جانب، أو فتح في جانب وحماس في جانب، دعوت إلى الانتهاء من هذا الانقسام، وأن يصبح الجميع بلدًا واحدًا وشعبًا واحدًا، كان الإخوة معي وسمعوا ما قلت، ولعلكم سمعتم فقد كان يُنقل إليكم باستمرار، أقول هذا، ولا زلت أقوله، وسأظل أقوله، أنا أدعو إلى الوحدة، لا أدعو إلى الانقسام أبدًا، ولا أحب الانقسام، الانقسام شر، والاختلاف شر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُكُمُوتَ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. والنبى ﷺ يقول: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١). أنا أدعو الجميع إلى الوحدة، لا أريد أن يكون بين الفلسطينيين انقسام أبدًا.

وقد رأيت الإخوة في غزّة من كل الفصائل قد اجتمعوا معي، وجدت تعاونًا وتوافقًا وتآلفًا وتحاضنًا، يحبون أن يكونوا جميعًا معًا، ودعوني إلى أن أقوم بهذا الأمر، وأنا أدعو إلى الوحدة ما أمكنني، أريد أن يكون الإخوة في حماس وفي الجهاد يدًا واحدة، وقد دعوتهم إلى ذلك، وسأظل أدعو إلى ذلك، بل أريد أن يكون الجميع يدًا واحدة، وقلبًا واحدًا، لا أريد تفرقًا أبدًا، التفرق شر، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، أريد أن يأتي يوم قريب وقد أصبح أبناء الشعب الفلسطيني كلهم يدًا واحدة، هدفهم واحد،

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

وبرنامجهم واحد، وعدوهم واحد، لماذا يختلفون؟ لماذا يصير بعضهم في اليمين، وبعضهم في اليسار؟ هذا ما لا نحبه أبدًا.

وهناك أمر كان الجميع ينتظره ونحن في غزّة هو الذكرى الخامسة والستون لقيام دولة إسرائيل، احتفلت إسرائيل يوم الأربعاء الماضي ١٥ مايو بالذكرى الخامسة والستين لقيام دولتها على أرضنا، لم يكن لها أرض، ولم يكن لها شعب، هذا ما يعرفه الجميع، لكن بعض الناس يجادلون في ذلك، وناقشت بعض الأشخاص.. قلت لهم: هل عندك خبر أن قبل مائة سنة لم يكن لليهود مكان في هذه البلاد كلها، لا في القدس ولا في الخليل، ولا في نابلس، ولا في جنين، ولا في كذا. قال: لا يمكن. قلت: ارجع إلى التاريخ. فرجع إليه وقال: أنا وجدت فعلاً أن اسمها فلسطين، ولم يكن هناك دولة اسمها إسرائيل. قلت له: جاءت هذه الدولة بالحديد والنار والحيل والأكاذيب، ودخلت هذه البلاد وطردت أهلها من ديارهم من بلادهم، لا زال بعضهم يحمل مفاتيح دياره يريد أن يعود إليها، يمسك مفتاح داره بيده ويخبؤه، ينتظر أبناء فلسطين أن يأتي يوم يعودون فيه إلى بيوتهم ليدخلوها!

هذا ما حدث، ساعد الإنجليز والغرب الصهيونية الآثمة لتدخل هذه البلاد، كان منهم من يريد أن يذهب إلى إفريقيا، أو إلى أمريكا اللاتينية، وهناك مُتَّسَع، ولكن بعضهم أبى إلا أن يعيش في أرض فلسطين، ويسمونها أرض الميعاد، وزعموا أن عندهم بشرى أو منامًا من سيّدنا إبراهيم: أَنَّهُمْ سَيَعُودُونَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، ونحن أبناء سيّدنا إبراهيم، إبراهيم أبونا، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فنحن أبناء إبراهيم، إسماعيل هو الابن الأكبر لإبراهيم، نحن ورثة هذه

الأرض، ونحن الذين ورثنا إبراهيم، ولكن لهم تفسيرات وتأويلات كاذبة لا تنطبق على الحقائق أبداً!

هؤلاء يريدون أن يظل العرب مطرودين عن أرضهم، وأن يستوطنوا بدلاً عنهم كل مكان في الأرض الفلسطينية، حتى القدس العربيّة، القدس الإسلاميّة، قدس المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، يريد أهلها بيوتاً لهم، فبعد مدة تكبر أسرهم، وتضيق بهم بيوتهم، ولهم أراضٍ، ويريدون أن يخرجوا إلى أراضيتهم؛ فلا تعطيتهم إسرائيل هذه الأراضي لينوا عليها!

تسمح للإسرائيليين أن يحيطوا بالفلسطينيين من كل ناحية، ولا تسمح للفلسطينيين أبناء بيت المقدس أن يذهبوا إلى بلد يعيشون فيه مع آبائهم وأحفادهم، إنه الظلم، والغلط، والاستكبار في الأرض، التجبر على عباد الله، هذا ما تقوم به الدولة الصهيونية إسرائيل، حينما قامت إسرائيل كنا نسميها في الصحف إسرائيل (المزعومة)، وظللنا عدة سنوات نكتب (إسرائيل المزعومة)، ثم رأينا هذه المزعومة تركل هذه الدولة، وتُركّع هذه الدولة، وتُخرج هذه الدولة، وتفعل ما تشاء، فحذفنا كلمة (المزعومة) بعدما أوشكنا أن نكون نحن المزعومين في ذلك الزمان.

ولكننا بحمد الله استيقظنا، نحن العرب، نحن الفلسطينيون، نحن المسلمين، أمّتنا التي بلغت ملياراً وثلثي مليار، أمّتنا الكبرى، أمّة الإسلام، أمّة القرآن، أمّة مُحَمَّد ﷺ، أمّة الخلود، أمّة النصر، الأمّة التي كتب الله لها أن تبقى إلى يوم القيامة، الأمّة الأخيرة، والأمّة الخالدة، أن لها أن تستيقظ، وإذا لم تستيقظ فمتى تستيقظ؟ لماذا لا تغار على قضية

فلسطين؟ إِنَّ الغيرة على قضية فلسطين والدفاع عنها واجب على كل مسلم، يجب علينا أيُّها الإخوة أن نعمل حتَّى نعيد إلى أهل فلسطين حقهم، وسيعود إن شاء الله، نحن نعلم أَنَّ الباطل يمكن أن يستمر مدة من الزمن، ولكن لا يستمر إلى الأبد، الحق هو الدائم، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، سيزهق الباطل ويبقى الحق، ونحن أنصار الحق سنظل مع هذا الحق، معنا كل العرب وكل المسلمين، ومعنا كل الشرفاء، كل من ينادي بالحق في العالم، وهم كثيرون، كلهم معنا، حينما يرون تجبُّر إسرائيل التي تزعم السلام وتريد سلامًا مجانيًا، تريد أن تعيش في سلام وطمأنينة، وهي تأكل الأرض من يمين وشمال، هيهات أن ينالوا منا هذا السلام.

التضامن مع شعب سوريا:

بقيت كلمة من حق إخواننا السوريين الذين أصابهم ما أصابهم من القتل والتدمير، لم يُصَبَّ شعب من الشعوب بما أصاب الشعب السوري، أصبح الملايين مشرّدين في الأرض، أصبح مئات الآلاف مقتولين، كل يوم يقتل ناس من الشعب السوري، سنتان ودخلنا في الشهر الثالث من السنة الثالثة يومياً يُقتل أناس من السوريين، يقتلهم بشار الأسد، الذي صار له هو وأبوه أكثر من خمسين سنة في الحكم، ويريد من بلد جمهوري أن يعطيه أكثر من خمسين سنة!

الحاكم في النظام الجمهوري يمكث ثماني سنوات أو عشر، وهذا يريد أن يمكث أكثر من خمسين سنة، وهذا لم يكن سياسيًا، كان طبييًا، جيء به ليحكم البلد، وحكَّم البلد، ولكنّه يريد أن يحكمها أكثر وأكثر، بماذا يحكمها؟ بالحديد والنار، بالجيش الذي تأتيه أسلحته من الشعب

السوري، من أقوات أولاده، من عصارة أرزاقه، يدفع الشعب أمواله لهذا الجيش ليشتري السلاح من روسيا، ولكن هذا السلاح لا يملكه الشعب، يملكه بشار الأسد ورجاله، ليس للشعب نصيب فيه، أصبح الشعب يُقتل بهذا السلاح، دفع الشعب أمواله ليقتل الجيش رجاله!

هذا الأسد ليس أسدًا، هو وحش يقتل الناس، فالأسد لا يقتل إنسانًا؛ إلا إذا كان جائعًا ولم يجد شيئًا يقتله، هؤلاء شر من الوحوش، هم أقدر خلّاق الله ﷻ الذين يقتلون الشعب، يضربونه بالطائرات الميج، وبالمدبّابات، وبالأسلحة المتطورة، وبالراجمات، وبالبوارج الحربيّة، وهناك شبيحة يقتلون النّاس في الشوارع والحارات وفي البيوت، هؤلاء لا بدّ أن ندعو الله تعالى عليهم أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، هم وكل من يعينهم.

وأنا أقول بصراحة: الذي يقاتل السوريين الآن في سوريا هم إيران، بأموالهم التي يدفعونها لقادته وللروس ولغيرهم لشراء الأسلحة، ويأتي الرجال من إيران والعراق ولبنان: رجال حزب الله، ومن فعل ذلك لا يكون حزبًا لله أبدًا، هذا حزب الطاغوت، حزب الشيطان، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَتِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَتِّلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]، هؤلاء طواغيت، وأتباع للطواغيت.

لا يستحقّ هؤلاء الإخوة السوريّون إلا أن نكون جميعًا معهم، كلنا مع الإخوة السوريّين، كلّ عربيّ، وكلّ مسلمٍ صادقٍ الإسلام، يخاف الله، ويحبّ الله، ويخشى الدار الآخرة، ويخشى يومًا يُسأل فيه: ماذا عملت من أجل إخوانك الذين عذبوا وطُوردوا؟ لا بدّ أن يكون عنده جواب، لا بدّ أن نكون مع إخواننا، سنكون معهم، ندفع لهم ما استطعنا،



لا ندّخر عنهم شيئاً أبداً، لا ندّخر عنهم مالاً، ولا ندّخر عنهم وسعاً، نحن مع إخواننا في سوريا، فكونوا مع الله أيّها الإخوة السوريّون وثقوا به، معكم إخوانكم المسلمون في كلّ مكان وستنتصرون، أنا واثق بالله تعالى أنّكم ستنتصرون، سنُصلّي في المسجد الأموي معاً إن شاء الله ربّ العالمين.

اضطهاد الدعاة في بنغلاديش:

وبقيت كلمة أخيرة عن إخواننا في بنغلاديش، في بنغلاديش يُقتل العلماء، ويُقتل المؤمنون، ويُحكم على العلماء بالإعدام، ما فعلوا شيئاً إلاّ أنّهم أيّام الانقسام حينما كانت بنغلاديش تسمّى باكستان الغربيّة، وكان هناك أناس لا يحبّون أن تنفصل باكستان؛ لأنّ باكستان بلد كبير انفصلت من الهند، ويجب أن تبقى بلداً كبيراً، فكانوا ضدّ انفصال بنغلاديش عن باكستان، وكثير من العلماء فعلوا ذلك، فتأتي حكومة بنغلاديش لتحكم عليهم بالإعدام، حكم على كذا عالم من كبار العلماء والفقهاء والمُحدّثين بالإعدام.

نحن ضدّ هذا الظلم، وندعو بنغلاديش التي قامت أوّل ما قامت من أجل الإسلام أن ترعى الله في الإسلام، وفي علماء الإسلام، وفي كلّ من يتمسّك بالإسلام، دم المسلم حرام، لا يجوز أن يقتل المسلم بغير حقّ، الإسلام يحرم أشدّ التحريم أن يقتل المسلم بالأكاذيب، بالظنّة، بالشبهة، خصوصاً دماء العلماء، اتّقوا الله أيّها الناس!

يا أبناء بنغلاديش، اتّقوا الله في إخوانكم، اتّقوا الله في علمائكم، اتّقوا الله في زعمائكم، اتّقوا الله في بلدكم، اتّقوا الله في شعبكم، ولا تريقوا دم إنسان لم يرتكب ما يوجب قتله أبداً، حرام عليكم والله،

ستقف شعوب العالم الإسلامي كله ضدكم، وستلعنكم، وستدعو الله عليكم، وسيأخذكم الله أخذ عزيز مقتدر، فاتَّقُوا الله ولا تتركبوا هذه الموبقات.

أَسْأَلُ الله تعالى أَنْ يُهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَأَنْ يَخَفِّفَ عَنْ أَمَتِنَا هَذِهِ النِّوَائِبَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.





الزوجة في القرآن الكريم (٢) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، هذه الموضوعات المتنوعة التي تشمل أمور الدين والدُّنيا، وتتعلّق بالفرد، وتتعلّق بالأسرة، وتتعلّق بالجماعة، وتتعلّق بالأمة، وتتعلّق بالعلاقات الإنسانية والدولية، وتتعلّق بالأرض وبالسما، وبالله وبالمخلوقات.

لا زلنا نتحدّث عن الزوجة في القرآن الكريم، وقد تحدّثنا عن حواء أمّ البشر، زوجة آدم، المرأة الأولى في الحياة البشرية؛ أوّل ما تعرضت له أن كانت زوجة، لم تتعرّض لكونها ابنة أو طفلة أو شيء من هذا، وإنما تزوّجت آدم ﷺ.

تحدّثنا عن حواء زوجة، وعن امرأة نوح، وامرأة لوط، وآسيا امرأة فرعون، وعدد من النساء، ووجدنا من هؤلاء النساء مَنْ كُنَّ خير النساء، ومنهنَّ مَنْ كُنَّ شرّ النساء، حتّى نساء الأنبياء امرأة نوح وامرأة لوط، ولكن كان منهن نساءً: كُنَّ على خير ما أراد الله للمرأة، أن تكون به زوجة صالحة.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣١ مايو ٢٠١٣م.

مَقَوِّمَاتُ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الصَّالِحَةِ:

وقد عرض القرآن مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الصَّالِحَةِ فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. هذه هي مَقَوِّمَاتُ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ الطَّيِّبَةِ، يكون فيها السكن بين الزوجين، السكينة النفسيَّة، هذه السكينة هي أعظم ما يؤتاه الإنسان، هي سرُّ السعادة التي يبحث النَّاسُ عنها، هي الطمأنينة المنشودة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

كما يكون في الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ المودَّةُ والمحبةُ، ليس العشق الذي يبحث عنه النَّاسُ بين الرجل والمرأة، ولكن المودَّةُ، المحبةُ الهادئةُ المستقرَّةُ المطمئنةُ، التي نراها بين الأزواج؛ حينما يربط الله بين رجل وامرأة، ويجد المودَّةَ منها، وتجد المودَّةَ منه، قال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. حني تمتد المودة من الزوجين إلى الأقارب، الذين يعيشون معهما. وفي الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ رحمة.

هاجر زوجة سيِّدنا إبراهيم:

وجدنا من الزوجات اللواتي عرضهن القرآن أمثلة طيبة، من هؤلاء امرأة إبراهيم عليه السلام التي أنجب منها أوَّلُ أبنائه، أوَّلُ أبناء سيِّدنا إبراهيم هو سيِّدنا إسماعيل كما قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. وهبه إسماعيل من امرأته المصريَّة هاجر، التي أهداها إليه ملك مصر، فأنجب منها ابنه الأوَّل إسماعيل، وذهب بهما إلى مكة، قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]،

تركهم في ذمة الله، وودع امرأته، فقالت له: إلى أين تذهب؟ قال: إنني ذاهب إلى ربي. قالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن هو لا يُضيّعنا^(١). ما دام الله أمرك بهذا، وتركنا بأمر منه، فالله لا يضيّع أحداً أبداً، ولذلك فجر الله لها ماء زمزم، حينما سعت في هذا المكان تبحث عن ماء لتشرب منه هي وابنها الرضيع؛ فهيئاً الله لها زمزم، هذه امرأة سيّدنا إبراهيم الأولى.

سارة زوجة سيّدنا إبراهيم:

وامرأته الثانية التي حدثنا عنها القرآن هي سارة، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، بشرها الله بابنها إسحاق، ومن ورائه ابنه يعقوب، ذرية من بعدها ذرية، ﴿قَالَتْ يَوْنِلَقَ إِلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، هي امرأة عجوز؛ كيف تلد؟ وزوجها شيخ كبير؛ كيف ينجب؟ شيء عجيب، ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، ليس عند الله شيء عجيب، كل ما نستعجب منه هو عند الله أمر سهل، كل الأمور سهلة عند الله، ليس عنده شيء سهل وشيء صعب، أو شيء سهل وشيء أسهل منه، كلها تأتي بكلمة، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، بأمر الله ﴿كُنْ﴾ تولد المولودات، وتخلق المخلوقات، وتوجد الموجودات، فلا يصعب على الله تعالى شيء، هكذا أمر الله ﷻ في هذه الكائنات.

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤)، عن ابن عباس.

امتحان إبراهيم في ولده:

هكذا أتى الله سيّدنا إبراهيم أولاده، وامتحان الله إبراهيم في ولده إسماعيل، ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِيْ إِيَّيَّ أَرَأَيْ فِي الْمَنَامِ إِيَّيَّ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات: ١٠٢، ١٠٣]، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، أسلما لله، ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمَا ﴾ ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٦]، فلما نجح إبراهيم ﷺ في هذا الامتحان العظيم كافاه الله تعالى، وبشّره بإسحاق، ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَقَ وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٢، ١١٣].

زوجة سيّدنا موسى:

ومن الزوجات اللاتي ذكرهن القرآن: زوجة سيّدنا موسى ﷺ، حينما خرج من مصر خائفاً يترقب، وجاءه رجل من أقصى المدينة يسعى، ﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ ابْنُ الْمَلَأِ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِيَّيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٠ - ٢٢].

عندما ورد ماء مدين ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص: ٢٣]، تدفعان الغنم عن الناس، وتنزلان بعيداً عنهم، ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣]، حين ينتهي الناس من سقيهم ندخل نحن بغنمنا، وأبونا شيخ كبير، وليس لنا إخوة، فلماذا نبتعد عن الناس ونتجنبهم، ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ﴿ فَجَاءَتْهُ

إِحْدَهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِبْنُ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴿[القصص: ٢٤، ٢٥]، ما فعله فرعون في أهل مصر، ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ * قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأَتَّى أَسْتَجِرُّهُ إِبْنُ خَيْرٍ مَنِ أَسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿[القصص: ٢٥، ٢٦].

بعض الناس يقولون عن الشيخ الكبير: إنه شعيب نبي الله. وليس هذا صحيحًا، فقد كان شعيب قبل ذلك بسنين طويلة، لكن يمكن أن يكون اسمه شعيبًا، لأن الناس يسمون بأسماء الأنبياء والكبار والزعماء، قال له هذا الشيخ الكبير: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٍ﴾ [القصص: ٢٧]، ثماني سنوات، ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿[القصص: ٢٧، ٢٨]، كانت هذه زوجة مباركة في هذا البيت الكريم من هذه المرأة الأريية الأدبية التي قالت: ﴿إِبْنُ خَيْرٍ مَنِ أَسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾. والغالب أنها التي اختارها موسى ﷺ.

امرأة عمران:

ومن الزوجات اللاتي ذكرهن القرآن أيضًا: امرأة عمران، وفي القرآن سورة اسمها (آل عمران)، أي: أسرة عمران، وهي أسرة سيدنا عيسى، فالله تعالى اهتم بعيسى ﷺ وبأسرته، وجعل للأسرة سورة في القرآن باسمها، نحن لا نعرف إلا امرأة عمران، ولكن لا نعرف عن عمران شيئًا، فكل ما ذكره القرآن عن امرأة عمران، وهذا يدل على أن القرآن ليس عنده ذكر وأنثى، وأيها أفضل؟ يمكن أن تكون المرأة أفضل من عدة رجال، ولذلك ذكر لنا القرآن امرأة عمران، ولم يذكر لنا عمران، وماذا فعل عمران؟ لا نعرف عن عمران شيئًا إلا أنه زوج هذه المرأة الصالحة.

حملت امرأة عمران، وشعرت بحملها، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]، محرراً خالصاً لك، لا أشرك فيه أحداً معك، كله لك يارب، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]، نذرت الجنين في بطنها ليكون خادماً للمعبد الذي يتعبدون الله فيه، ظنت أنه سيكون ذكراً يستطيع أن يخدم المعبد، ويقوم بأمره، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٦، ٣٧]، قالوا: أحيانا يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيقول لها: ﴿أَنَّىٰ لَكَ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران: ٣٧، ٣٨]، الذي يرزق بغير حساب، ويخرج الشيء في غير أوانه، ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

زوجة سيدنا زكريّا:

طلب زكريّا ﷺ من ربّه - وهو شيخ كبير، وامرأته عاقر، ليست لديها قدرة على الإنجاب - أن يرزقه الولد، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ * وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤-٦]، فاستجاب الله دعاءه، وناداه بالبشرى: ﴿يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، فتعجّب من ذلك، خصوصاً أن زوجته عاقر، لكنها قدرة الله الذي

لا يعجزه شيء، ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، كيف أصلحها؟ هل عمل لها عملية ملائكية ربانية؛ بحيث أصبح رحمها قادرًا على الحمل، وقادرًا على الإنجاب؟ كل شيء بيد الله تبارك وتعالى.

هكذا رأينا هؤلاء الأنبياء أزواجًا صالحين، ورأينا زوجاتهم صالحات يقمن بخير ما تقوم به المرأة حينما تكون زوجة، تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها، تحفظ عرضه، وتحفظ ماله، وتحفظ أولاده، وتحفظ كل ما يطلب حفظه، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، هكذا تكون المرأة المؤمنة.

أم المؤمنين زينب بنت جحش:

كما ذكر لنا القرآن كيف تزوج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، بنت عمّة النبي ﷺ، وكان قد زوجها لِحَبِّهِ زيد بن حارثة، الذي تبّناه في الجاهليّة، وكان الناس يقولون عنه: زيد بن محمد. ثم أنزل الله تحريم التبني، ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]، هذا كلام باللسان، لا يصبح ابنك بمجرد أن تقول: هذا ابني. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ * ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤، ٥]، ولذلك أصبح زيد بن مُحَمَّد هو زيد بن حارثة، وكان حبيبًا للنبي ﷺ، وكان ابنه أسامة الحبيب بن الحبيب.

ولم يكن زيد بن حارثة مستريحًا مع زوجته زينب بنت جحش، وكان يشتكي إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. مع أن النبي ﷺ يعرف أنه سيتزوجها بعد ذلك،

ولكن خشي النبي ﷺ أن يواجه المجتمع العربي المكي الجاهلي بأمر يخالف ما توافق عليه هذا المجتمع أعماراً طويلة، أجيالاً وراء أجيال، ولكن الله تعالى أنزل القرآن وزوج زينب من النبي ﷺ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

كانت زينب تقول لضرائرها من نساء النبي: أنتم زوّجكن آبائكن وأولياؤكن، وقد زوجني الله من فوق سبع سماوات^(١). الله تعالى هو الذي زوّجها لرسوله، ﴿زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾، أبنائهم بالتبني، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

تخيير النبي أزواجه:

كما أنزل الله في سورة الأحزاب قوله لنبيه: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. اجتمع أزواج النبي ﷺ، بعضهن مع بعض، وقلن: لقد نصر الله رسوله، وأصبح سيد الجزيرة، وسيد العرب، ونحن نعيش في حياة متقشفة، لماذا لا يُنعم الرسول علينا، ويوسّع علينا في المعيشة؟ فما كان من الوحي السماوي الأعلى إلا أن نزل يُخيّر نساء النبي: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، تُردن خواتم من الذهب الفاخر، أو من الماس

(١) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٠)، عن أنس.

أو من الجواهر، تُردنَ لحومًا وخيرات باستمرار، تردن حياة الرفاهية، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمْتِعْكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَحًا جَمِيلًا﴾، أُعطي لكل واحدة متعتها، وأسرحها لترجع إلى بيت أبيها، ﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩].

هنا جاء النبي ﷺ بأول امرأة من نسائه، جاء بعائشة أحب نساءه إليه، وقال لها: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحبَّ ألاَّ تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، فقالت: أفيك يا رسول الله، أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، وأسألك ألاَّ تُخبر امرأة من نساءك بالذي قلت! أحببت أن تنفرد بالنبي ﷺ، ويختار نساؤه الحياة الدنيا وزينتها، وتبقى عائشة وحدها معه، فقال لها: «لا تسألني امرأةً منهنَّ إلاَّ أخبرتها، إنَّ الله لم يبعثني مُعْتَنًا وَلَا مُتَعْتَنًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا مُيسِّرًا»^(١). أنا أريد التيسير على الناس والتخفيف عنهم، لا أريد أن أشقَّ عليهم، سأقول لهم: عائشة قالت كذا. لأرغب الجميع في أن يقلنَ مثلها. فاختر الجميع الله ورسوله والدار الآخرة.

وفي هذا ردُّ على الذين يقولون: إنَّ محمدًا كان رجل شهوات، وكان رجل نساء، مَنْ يريد النساء يوسَّع عليهنَّ، ويغرقهنَّ في الزينة، وفي المتاع، وفي رفاهية الحياة، أمَّا أن يعيش مثل هذه الحياة المتقشِّفة؛ فذلك هو مُحَمَّد رسول الله.

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧٨)، عن جابر.

أهل بيت النبي ﷺ :

هكذا علّم القرآن نساء النبي ﷺ ، وقال لهنّ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ * وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

هذه الآية في نساء النبي ﷺ ، ولكن هناك أناس يريدون أن يخرجوا هذه الآية من معناها الصريح، ويجعلوها في عليّ بن أبي طالب وفاطمة، والحسن والحسين، لا، هي جاءت في نساء النبي، جاء الخطاب فيها يقول: (وَقَرْنَ، وَلَا تَبَرَّجْنَ، وَأَقِمْنَ، وَآتِينَ، وَأَطِعْنَ، وَأَذْكُرْنَ)، الخطاب كلّهُ لنساء النبي، ويمكن أن نجعل الآخرين من آل البيت معهم من باب الإلحاق والقياس، لكن الأصل أنّ هذا خطاب لنساء النبي ﷺ ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ *.

لماذا خاطبهم بالذكور، ﴿ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ﴾ ، لأنّ العادة جرت أن يُخاطب الناس النساء بما يُخاطب به الرجال، ولذلك حينما قضى سيّدنا موسى مدته في مدين، وسار بأهله، ﴿ ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩]، يخاطبهم بخطاب الذكور: ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم ﴾ *.

وحينما قالت زوجة سيّدنا إبراهيم: ﴿ يَوَيْلَ لِّيَ ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢]. قالت الملائكة: ﴿ أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]. يخاطبهم بخطاب الذكور: ﴿ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ *.

قصة التحريم:

وكذلك نجد في سورة التحريم موقف النبي ﷺ مع نسائه، أنه حَرَّمَ بعض النساء عليه، أو بعض ما كان يأكل، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ١ - ٣].

وحاولت عائشة وحفصة أن تُكَوِّنَا حزبًا ضدَّ سائر نساء النبي الأخريات، ولكنَّ الله ﷻ حَذَّرَهُمَا مِنْ ذَلِكَ، وقال: ﴿إِنْ نَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّاتٍ عِدَّتٍ سَيَحْتِ ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٤، ٥].

وفي هذا نرى أنَّ الله تعالى عَرَّفَ رسوله: كيف يعيش مع أزواجه؟ فللنساء أخلاق معينة، خصوصًا حينما تريد أن تستأثر بزوجهما، أن تكون هي صاحبة المتاع الأكبر، أن تملك معظم الأشياء، أو كل الأشياء إن أمكنها، عَرَّفَ رسوله: كيف يخاطب المرأة الصغيرة؟ وكيف يخاطب المرأة الكبيرة؟ كيف يعيش مع المرأة الواحدة؟ وكيف يعيش مع مجموعة النساء؟

هَيَّا اللَّهُ لرسوله من الأسباب ما يجعله خير الأزواج، وخير الآباء، وخير الأجداد، إِنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، نَسَأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَرْزُقَنَا حَسَنَ الْأَسُوءَةِ بِهِ، وَالْإِقْتِدَاءَ بِهِ؛ إِنَّهُ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرُ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

القضية السوريّة:

هناك قضية إسلاميّة أصبحت هي اليوم قضية الأمّة الإسلاميّة الأولى، لم تنسنا قضيتنا الأولى وهي قضية فلسطين، ولكن هذه القضية أضيفت إليها، وأصبحت قضية حيّة تفرض علينا أن نسمع لصوتها، وأن نستجيب لندائها، وأن نكون مع أهلها، هذه القضية هي قضية سوريا، وهي قضية عادلة كل العدل، فيها الحق كل الحق، ولهذا فنحن مع هذه القضية، كل الأمّة مع قضية سوريا.

سوريا من أولى البلاد التي استقلت وأقامت النظام الجمهوري في أرضها، استقلت من الفرنسيين الذين كانوا يحتلون أرضها، وأرض لبنان، بعد قتال ضارٍ، وبعد عمليات جهادية رفيعة، وبعد أن ساهم الشعب كله في بذل الدماء والأرواح، استقلت سوريا وأصبحت جمهوريّة، صار أهل سوريا ينتخبون رئيسهم بأنفسهم أحرارًا متساوين.

ولكن أيضًا ممّا ابتليت به سوريا أنّها كانت أوّل بلد عربي يحدث فيه انقلاب عسكري، قام سامي الحناوي سنة ١٩٤٩م. بانقلابه ليحيل سوريا الجمهوريّة إلى بلد يحكمه العساكر، وطبعا سامي الحناوي قام عليه انقلاب، وقام على الانقلاب انقلاب.

الوحدة بين مصر وسوريا:

ثم انتصرت سوريا على هذه الانقلابات، وعادت إلى العهد

الجمهوري مرّة أخرى، إلى أن تولى رئاسة الجمهوريّة الرئيس شكري القوتلي، وقامت سوريا تطلب بكل فئاتها بالانضمام بحريتها إلى مصر، طلب سوريا البلد الجمهوري أن ينضم إلى جمهوريّة مصر، وانضمت سوريا إلى مصر، وأصبح اسمهما الجمهوريّة العربيّة المتحدة، وأصبح شكري القوتلي المواطن العربي الأوّل بعد أن كان رئيسًا للجمهوريّة، كانت هذه نعمة من الله تبارك وتعالى.

كنت أخطب في ذلك الوقت في جامع الزمالك في القاهرة، أتيح لي أن أعود إلى الخطابة بمناسبة العدوان الثلاثي على مصر، وخطبت خطبة تاريخيّة يذكرها النّاس الذين عاصروها في ذلك الوقت، أرّحّب بالوحدة الاختيارية بين مصر وسوريا، وفرح النّاس لهذه الوحدة، وقامت الأغاني تشيد بالوحدة السوريّة المصريّة.

ولكن للأسف لم تحتفظ مصر بهذه الوحدة، أرادت أن تلقى سوريا ما تلقاه مصر من الحكم العسكري الظالم، لم تستفد من الجمهوريّة السوريّة الحرّة لتدخل مصر في شيء من الحرّيّة، وتخرجها من هذا السجن المؤبّد، للأسف لم تفعل ذلك، وأرادت أن تسجن السوريين كما سجن المصريون، وسرعان ما ضاق بذلك السوريّون، وثاروا على هذا الحكم الظالم، كما قال شكري القوتلي: كان لهذا الحكم ألف عين، وألف أذن يتجسّس بها، ولكنّه لم يكن يرى أو يسمع شيئًا. لا يحس بما يحس به الناس، ولا يشعر بما يشعرون به، حتّى صار السوريّون يكرهون الاستبداد المصري، ويكرهون التوغل في حياة الناس، فكانت النتيجة أن انقلب السوريّون على المصريّين، وكان الشيخ علي الطنطاوي وعلماء سوريا قد قاموا من قبل يخطبون، ويلقون الأشعار ترحيبًا بهذا الحكم.

عائلة الأسد وطائفتها:

ثم ذهب الحكم الظالم، وتنفس الناس الصُّعداء، وعادوا إلى الحرية، ولكن العسكريين لم يتركوا الناس ليعيشوا في أمان وحرية، ظلوا وراء سوريا بالمرصاد، واحدًا وراء واحد؛ حتَّى جاءهم حافظ الأسد، جاء بمن وراءه من فئته النصيرية، ولا أقول: كل النصيرية. هناك من النصيريين مَنْ وقف مع الشعب، ولكن أغلبيَّة النصيريَّة وقفت مع حافظ الأسد، هذه الفئة التي قال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية ما قال، قال: إنَّهم أكفر من اليهود والنصارى^(١). وقد رأيناهم الآن يقتلون الشعب كما يقتلون القطط أو الفئران أو الصراصير، لا يبالون بمن يقتلون من الناس بعشرات الآلاف.

جاء حافظ الأسد وتمكَّن بالتدرج من هذا الشعب، وأصبح هو الحاكم بأمره، ومعه فئته النصيرية، التي سمَّاهما الفرنسيُّون العلويَّة، أو العلويِّين، ومعه البعثيون الحزبيُّون، شاركهم معهم، وصدَّق بعض النَّاس أنَّهم مخلصون، وأنَّهم يريدون تحرير فلسطين، ويريدون لسوريا أن تكون كذا وكذا، ولكن مضت الأيام، سنون عشر، بعد سنين عشر، بعد سنين عشر، خمسون سنة مضت على حافظ الأسد - ومعه ابنه بعد ذلك - حتَّى مرض حافظ وانتهى، لقي الله ﷻ بما لقيه به، وجيء بابنه بشار الذي لم يكن قد بلغ السنَّ التي تصلح لرئاسة الجمهوريَّة، فغيَّر الدستور مخصوصًا لكي يصلح لذلك، وكان طبيعيًا، لم يكن سياسيًا، ولم يشغل بالسياسة.

فُرض حافظ الأسد وابنه على الأُمَّة خمسون سنة، فُرض هؤلاء على سوريا، وأصبحوا المتمكنين منها، وأقالوا الضباط أصحاب الرتب الكبيرة المتمكنين في الجيش السوري من أهل السنَّة، ومن الفئات

(١) مجموع الفتاوى (١٤٩/٣٥).

الأخرى، حتّى من النصارى، حرم كل هؤلاء من الجيش، وأصبح حافظ الأسد وجماعته هم المتحكمين في هذا البلد.

ماذا فعلوا مع إسرائيل؟ لم يطلقوا رصاصة واحدة على الجيش الإسرائيلي، أسقطوا القنيطرة قبل أن تسقط، وسلّموها لإسرائيل، مع أن مكان الجيش السوري كان مكاناً حصيناً، يستطيع أن يشرف فيه على إسرائيل من عل، ولكنهم سلّموه لإسرائيل، لم تنل إسرائيل منهم شيئاً يخيفها أبداً، لم نرها خلال خمسين سنة قتلت جندياً إسرائيلياً، أو استعادت موقعاً سورياً من أيديهم، أو فعلت أي شيء، ولكنّها تدّعي أنّها أهل المقاومة، أيّ مقاومة؟!

إنّها تضحك على العرب، وتضحك على المسلمين، وتوهم الناس أنّها تقاوم، وهي لا تقاوم، ولا تفعل شيئاً، كل ما في الأمر أنّها تمهّد لنفسها لتحكم البلد، ليكون كل شيء في أيديها، المخابرات بأيديها، الأسلحة بأيديها، الطائرات بأيديها، الراجمات بأيديها، البوارج بأيديها، كل شيء بأيدي هذه الطائفة، هكذا أصبحت سوريا.

ثورة سوريا:

ولما قامت ثورات في بلاد الربيع العربي، وانتصرت تونس، ثمّ انتصرت مصر، ثمّ انتصرت ليبيا، ثمّ انتصرت اليمن، كانت سوريا فيمن قام من هذه البلاد، فمن حق هذا البلد الذي شعر بالظلم، وشعر بالاضطهاد، وشعر بالتمييز بين أبنائه، الأكراد من ناحية، والنصارى من ناحية، وأهل السنة من ناحية، كل الفئات الأخرى شعرت بالتمييز، ما عدا هذه الفئة ومن يُسبّح بحمدها، ومن يحني لها رأسه، ومن يُطأطئ لها ظهره، كل الفئات مضطهدة في سوريا.

لهذا كان للشعب السوري الحر الأبي أن يقوم مع الشعوب، ويطالب بحريته، قام الشعب السوري على بكرة أبيه يطالب بحريته، فرفض الجيش الذي يحكم سوريا أن يطاوع هذا الشعب، وبدأ يقتل هؤلاء الناس، وليس مع هؤلاء الناس سلاح، ليس معهم بندقية، ولا مدفع، ولا سيف، ولا عصا، ولا حجر، ينادون بالسنتهم: الحرّية الحرّية، الكرامة الكرامة، نريد أن نعيش أحراراً في بلادنا، نريد أن نعيش كما يعيش الناس من حولنا، نريد أن نأخذ حقوقنا، نريد أن نتساوى في بلادنا، لا نريد فئة من الناس تتجبر علينا، وتتحكم فينا. هذا ما قام من أجله الشعب السوري كله على بكرة أبيه ليهتف به وينادي.

قام بشار الأسد، وما هو بأسد، بل هو وحش، وما هو بشار، بل هو منذر، ووراءه كل ما يخيف وما يهدّد، ليس وراءه شيء يبشر أبداً؛ وقف هذا الرجل ضد شعبه من أوّل يوم، وأرادني أن أقف معه، وطلب من الأخ القائد المجاهد خالد مشعل، وأراد منه أن يرد عليّ، ولكن خالد قال له: مَنْ يرد على يوسف القرضاوي، وهو مَنْ هو بين علماء المسلمين؟ لا يستطيع أحد أن يردّ عليه. ومنذ ذلك الوقت سقط خالد مشعل في عين الأسد المزعوم، ومن هنا بدأ يقاوم الفلسطينيين وغيرهم، بدأ يقاوم الناس جميعاً.

هذا الرجل رجل مستكبر جبّار، يقتل الناس - كما رأينا - كل يوم، لا يمر يوم دون قتل، هل مرّ عليكم يوم دون أن يقتل فيه هناك العشرات والمئات؟ يقتل الناس كل يوم كما يريد بأسلحة الجيش، بالطائرات، والصواريخ، والبوارج الحربيّة، والدبابات، والراجمات، والمدفعية الثقيلة، والقنابل الذكيّة، والقنابل المتطورة.. يقتلهم بكل أنواع الأسلحة

التي يملكها الجيش السوري، وتأتي هذه الأسلحة من روسيا التي وقفت ضد المسلمين.

يجب أن يعلم المسلمون جميعاً أن الروس هم أعداء المسلمين، الروس قاتلوا المسلمين من أول يوم بأسلحتهم، يمدون السوريين بهذه الأسلحة، ولا زالوا يمدونها أسلحة بعد أسلحة، من كل الأنواع والألوان، تأتيهم من كل ناحية، يقتلون المسلمين بأسلحة من الروس.

كما يقتلون المسلمين بأسلحة من إيران، ورجال من إيران، وضباط من إيران، الذين يقودون العمل الحربي الآن في سوريا هم رجال من إيران، ورجال من لبنان؟ أتدري مَنْ هم الرجال من لبنان؟ اسمهم حزب الله، وهم حزب الطاغوت، حزب الشيطان، حزب الله لا يقتل المسلمين، وهؤلاء يتقربون إلى الله بزعمهم بقتل المسلمين، جاؤوا يقتلون أهل القصير، ومن حول القصير في بلدان شتى، هم لا يقتلون أهل القصير وحدهم، يقتلون أهل سوريا في الشرق وفي الغرب، وفي الشمال وفي الجنوب، آلاف مؤلفة من أتباع ما يسمّى نصر الله، وما هو إلا نصر الشيطان.

هؤلاء الذين جاؤوا ليقتلوا المسلمين في سوريا يقولون: نحن نقتل أعداء المقاومة! أي مقاومة؟ هل قاومتكم أنتم الإسرائيليين؟ ما قاومتكم الإسرائيليين، وإنما قاومتكم المسلمين الذين يطلبون الحرية.

قام الشعب السوري برجاله ونسائه، بشبابه وأطفاله، بمسلميه ومسيحييه، بعربه وأكراده، قام الشعب كله بكل فئاته من كل الجهات: يقاوم الأسد الوحش، الغدار القاتل، الذي يستبيح الدماء، ويستبيح الحرمات، هذا الوحش لا بد أن يأخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر، سينزل عليه بأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين.

أنا أقول لكم أيُّها الإخوة هنا في قطر، وفي بلاد الخليج، وفي بلاد العرب، وفي بلاد الإسلام، وفي بلاد العالم كله: سينتصر الشعب السوري، والله سينتصر الشعب السوري على هذا الظالم الجبار، على الأسد ورجاله وأعوانه، على حسن نصر الشيطان، على حزب الطاغوت الذي يقتل المسلمين، يقتل أهل القصير، يقتل الرجال، يقتل الشيوخ، يقتل النساء، يقتل الأطفال، يقتل هؤلاء بيده، لكنّه لن ينجو، سيقتله السوريون الذين ليس عندهم من الأسلحة ما عند الجيش.. صار عندهم قليل من الأسلحة، جمعها الناس من هنا ومن هناك، ولكن عشرات الآلاف الذين جاؤوا من إيران، وجاؤوا من العراق، وجاؤوا من لبنان، وجاؤوا من بلاد شتى، بلاد الشيعة في كل مكان، جاؤوا ليقاتلوا أهل السُّنة ومَن معهم، يقاتلون النصاري، يقاتلون الأكراد، يقاتلون كل من كان من غيرهم.

وأنا لا أتهم الشيعة جميعاً بذلك، هناك شيعة أفاضل، منهم أصدقاء لي في إيران، وفي العراق، وفي لبنان يرفضون هذا الظلم المتوحش، المُتَجَبَّر في الأرض، المستكبر بغير الحق، فنحن لا ندين هؤلاء، وإنما ندين هذه الفئة، وكل مَنْ يقف معها، كل مَنْ يقف مع حزب الله ويؤيِّده، وهو ليس حزب الله، ﴿أَسْتَحْذَوْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَا غَلَبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢٢]، فالله تعالى أقوى منهم، وسيغلبهم الله وعجل.



أنا أدعو المسلمين في كلِّ مكان أن ينصروا إخوانهم، ليس معقولا أن نترك إخواننا في سوريا لهذه الآلاف المؤلفة التي زحفت عليهم، ومعهم أسلحتهم القاتلة، يقتلون إخواننا ونحن نتفرج عليهم، حرام علينا، والله لو كانت عندي قدرة لذهبت إلى هؤلاء وقاتلت معهم، كل مَنْ كانت عنده قدرة، المدرب على القتال الذي يعرف كيف يقاوم هؤلاء القتلة، وكيف يضرب بالسيف والمدفع، وكيف يضرب بالقنابل وغيرها من الأسلحة، مَنْ عنده قدرة على هؤلاء، ويجد السبيل مُيسرا إليهم يجب أن يذهب.

أدعو المسلمين أن يذهبوا لينصروا إخوانهم في سوريا، فلا يمكن أن ندع إخواننا يُقتلون ونحن نتفرج، حرام علينا، لماذا يأتي هؤلاء من هنا ومن هناك ويقتلون إخواننا ونحن نتفرج، ونقول: لا حول ولا قوَّة إلا بالله؟!!

علينا أن نكون مع المؤمنين المستضعفين، لا نتركهم أبداً، كل مؤمن قادر عليه أن يعينهم، هذا واجب الأفراد، مَنْ يستطيع من الأفراد الذين دُربوا قبل ذلك في حروب، وباتت عنده قدرة يعرف أنها تنفع إخوانه هناك؛ فليذهب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وعلى الدول أن تنصر إخواننا، لماذا لا تنصرهم الدول؟ لماذا لا نجد إلا قطر وتركيا وقليل من البلاد، وأكثر البلاد لا تفعل شيئاً؟ لماذا لا ترسلون مَنْ يعاون إخواننا بأيّ طريقة من الطرق؟

علينا أن ننصر إخواننا، ولا ننتظر الغربيين، الغربيون قالوا: نحن سننصر سوريا. ولكن طريقتهم يمكن أن تستمرّ سنتين أو ثلاث، أو أكثر، ولكن الأمر يحتاج إلى إسراع أكبر، فلا ينفع العمل البطيء، هؤلاء يبادرون ويسارعون بقتل المسلمين؛ فلماذا لا نبادر ونسرع؟!!

علينا - أفرادًا ودولًا - أن نبادر ونسرع، ندعو مصر، وندعو السعودية، وندعو كل البلاد الخليجيّة: الكويت، والإمارات، وعمان، والبحرين، وكل البلاد الإسلاميّة: المغرب، وتونس، وليبيا، كل البلاد يجب أن تقوم بنصيبها، لا يجوز أبدًا أن نسكت على هؤلاء ونبقى منتظرين.

كيف ينتصر هؤلاء؟ بماذا ينتصرون؟ إذا لم ينتصروا بإخوانهم فبمن ينتصرون؟ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، إن لم تنصروا إخوانكم كما ينصر الآخرون إخوانهم، إن لم تعطوهم الأسلحة كما يعطونهم الأسلحة، إن لم تأتوا بالرجال لينصروهم كما يأتوا بآلاف الرجال ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

خاب ظننا في الشيعة:

ما كنا نظن أن الشيعة تريد هذا الغدر بأهل السنّة، أرسل لي رئيس مجمع التقريب بين المذاهب في إيران يقول لي: إنك كنت قديمًا ممّن يدعو إلى التقريب بين المذاهب، وإلى الوحدة الإسلاميّة، وقمت بدور كبير في ذلك؛ لماذا لا تعود إلى هذا الأمر؟

وقد ظلت سنين أدعو إلى التقريب بين المذاهب، وحضرت مؤتمرات التقريب التي انعقدت في المغرب، وفي سوريا، وفي البحرين، وفي قطر، ودعوت إلى التقريب، ولكنني وجدت أن التقريب لا يقرب بين المذاهب، هم ينتفعون بذلك، ونحن لا ننتفع به، بعد أن نقرب بين المذاهب يقيمون حسينيات وأشياء، ونحن لا نقيم شيئًا، ووجدناهم يغزون بلادنا.. أرسلنا أربعين داعية إلى إفريقيا؛ فرصدوا لنا في كل بلد

أموالاً إيرانية، ورجالاً إيرانيين، يريدون أن يغزوا أهل السنة، ويأخذوهم إلى الشيعة، أهذا معقول يا جماعة؟ هل معقول أن تستغفلونا إلى هذا الحد؟! نحن لا نريد أن نُكَلِّم المسلمين عن الشيعة والسنة، وأنتم نشرتم دعائكم بين السنة، واستطعتم أن تجذبوا هؤلاء الناس الفقراء، كما يصنع المبشرون النصارى، هم يصنعون نفس الشيء، هذا ما نراه في إفريقيا، عندنا كتاب عن التشيع في إفريقيا.

هذا غير ما يفعله المالكي في العراق، أنتم تقرؤون أن أهل السنة في العراق قاموا يدافعون عن أنفسهم ضد ما يفعله الشيعة بهم هناك، يريدون أن يأكلوهم أكلاً، يقتلوهم قتلاً، يُسلِّطون عليهم مَنْ يُسلِّطون، منذ قامت الحرب الأمريكية في العراق وأصبح أهل السنة تحت سلطان الشيعة، يقتلون مَنْ يقتلون، وينسفون مَنْ ينسفون، ويفعلون ما يفعلون، ويدعي المالكي أنه هو المُخَوِّل بذلك.

ولذلك قام أهل السنة ينادون بالإنصاف، ينادون بأن يكون لهم حقهم، ينادون بالعدل بين الطوائف؛ وإلا قامت حرب أهلية تأكل الأخضر واليابس، حرام عليكم أيُّها النَّاس أن تُقَتِّلُوا المسلمين، أن تدفعوهم إلى هذه المجازر، اتَّقُوا الله في أنفسكم، كونوا عقلاء، عودوا إلى الشعوب، ليس عند الشعوب هذه العقلية التي تفتت النَّاس بعضهم عن بعض، وتضرب النَّاس بعضهم ببعض.

لا بد لنا أن نعود إلى إيماننا، إلى إسلامنا، الإسلام يأمر المسلمين أن يكونوا أمة واحدة، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، نُحذِّر أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً،

كما قال النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١). كأهل الجاهليّة، علينا نحن المسلمين أن ننصر إخواننا، وأن نقف معهم، وأن نندد بقاتليهم، وأن نقف مع الحق حيثما كان، والحق لا بدّ أن ينتصر، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

أسأل الله تعالى أن يجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن ينصر إخواننا في سوريا، وإخواننا في العراق، وإخواننا في كل مكان، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.



الظلم في القرآن الكريم (١)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَسْلُونُ:

لَا زِلْنَا فِي مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْيَوْمَ نَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْضُوعِ (الظلم في القرآن)، كَمَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ، وَكَمَا نَهَى عَنْهُ الْقُرْآنُ، وَكَمَا حَارَبَهُ الْقُرْآنُ.

الظلم أَسَاسُهُ الْعَدْوَانُ عَلَى حَقُوقِ الْآخَرِينَ: عَلَى حُرْمَاتِهِمْ، عَلَى أَنْفُسِهِمْ، عَلَى أَمْوَالِهِمْ، عَلَى أَعْرَاضِهِمْ، عَلَى كُلِّ مَا يَهْتَمُونَ بِهِ، هَذَا الْعَدْوَانُ هُوَ الظُّلْمُ أَوْ الْبَغْيُ أَوْ الطَّغْيَانُ، إِذَا زَادَ الظُّلْمُ يُسَمَّى طَغْيَانًا.

وَاللَّهُ ﷻ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى عِبَادِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ حَرَامًا بَيْنَكُمْ، فَلَا تَظَالَمُوا»^(٢).
يَعْنِي: لَا يَظْلِمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَأَوَّلُ ظُلْمٍ يَظْلِمُهُ الْإِنْسَانُ هُوَ ظُلْمُهُ لِنَفْسِهِ.

وَقَبْلَ أَنْ يُحَرَّمَ الْإِسْلَامُ الظُّلْمَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ: يَمْنَعُكَ أَنْ تَكُونَ مَعَ الظُّلْمِ بِقَلْبِكَ أَوْ بِلِسَانِكَ، أَوْ بِيَدِكَ أَوْ بِأَيِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكَ تَسَاعِدُ عَلَى الظُّلْمِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ لَكَ: لَا تَظْلِمُ. يَقُولُ لَكَ: لَا تُعِنْ ظَالِمًا. بَلْ أَكْثَرُ

(١) أَلْقَيْتُ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالذُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ١٣ سِبْتَمْبَرِ ٢٠١٣ م.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ (٢٥٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

من هذا: لا تركز إلى ظالم. الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. لا تمل إلى الظالم، ولا تركز إليه.

بل قبل هذا: لا تقترب من الظالم، لا تجلس معه، إذا جلست معه ستسلط عليك النار، ابعد عن النار، النار حينما تحرق لا تحرق فقط من فيها، بل تحرق أيضًا من حولها، فلماذا تقترب من النار؟ ابعد عن الظالم.

لا تدع لظالم بطول العمر:

يقول الإمام الحسن البصري: مَنْ دَعَا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه^(١). حينما تقول لظالم: أطال الله عمرك. فمعنى هذا أن يطول عمر الظلم والفساد والشر في الأرض، فلا تدعو له بطول العمر.

لا تأكل من خبز ظالم، إذا كان الإنسان يعيش من حرام، بأكل الربا، بالاحتكار، بالأخذ من أموال الناس بالباطل، ابعد عن هذا، لا تقترب منه، لا تأكل منه، لأنه يريد لمن يأكل من عيشه أن يكون من جيشه، يقول لك: تأكل تمري وتعصي أمري؟! تأكل خيري وتطيع غيري؟! لا تأكل من طعام ظالم، ابعد عن اللقمة التي تأكلها منه.

احذر أن تكون عونًا لظالم:

الإسلام يُحذّر من أن يكون الإنسان عونًا لظالم، فأعوان الظلمة في جهنم، والقرآن الكريم جعل جند فرعون مثل فرعون، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨]. لأنه لولا هؤلاء الجنود لما استطاع فرعون وهامان أن يفعلوا شيئًا.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠).

الظلمة في الأرض بماذا يظلمون الناس؟ بماذا يقهرون الناس؟ بماذا يقتلون الناس؟ بماذا يدخلون الناس السجون؟ بماذا يستعينون على ضرب الناس وجلد ظهورهم؟ يفعلون هذا بالجنود الظلمة، إياك أن تكون جنديًا لظالم.

الله تعالى يقول عن فرعون: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۚ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يُدْعَوْنَ إِلَىٰ الْنَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۚ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۚ ﴾ [القصص: ٤٠ - ٤٢].

أول شيء عليك أن تحذره أيها المسلم: ألا تكون عونًا لظالم، ولا مجرد راكن ميال إلى ظالم، مجرد الميل إليه يقربك من النار، ويوقعك فيها والعياذ بالله.

ظلم الإنسان لنفسه بمعصية الله:

ثم لا تكن ظالمًا، ابعد عن الظلم، والظلم درجات وأنواع: هناك ظلم بين الإنسان وربه، مثل ظلم سيّدنا آدم وزوجته حواء، أسكنه الله تعالى الجنة، وقال له: كُلْ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ إِلَّا شَجَرَةً وَاحِدَةً، هذه الشجرة ممنوعة عليك، امتحان للإرادة الإنسانية.

لقد نجح سيّدنا آدم في اختبار علمه، حينما قال تعالى للملائكة: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ ﴾ [البقرة: ٣١]. لكن الملائكة لم يعرفوا، ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ ﴾ قَالَ يَكَادُمْ أَنْبِئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿ [البقرة: ٣٢، ٣٣]، فأنبأهم آدم بأسمائهم؛ لأن الله علّمه الأسماء كلها، يهيئه ليصبح خليفة في الأرض بعد ذلك. سيّدنا آدم الذي

نجح في اختبار العلم سقط في اختبار الإرادة، لأن الله قال: لا تأكل من هذه الشجرة. ولكن الشيطان ظلّ يقسم له أن هذه الشجرة شجرة عظيمة، وأن من يأكل منها يصبح خالداً، وظن آدم أن من يقسم بالله لا يمكن أن يكذب، كثيراً ما يُصدّق الطيّبون الكذابين، لأنهم يظنون أن أحداً لا يجرؤ على أن يحلف بالله كاذباً، ولكن إبليس حلف بالله كاذباً، ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴿[الأعراف: ٢٠ - ٢٢]، فوق آدم في الأكل من الشجرة.

ولكن سرعان ما تاب آدم، ثم تاب الله عليه، جعل الله للإنسان مغسلة يغسل فيها نفسه إذا وقع في الخطيئة، هذه المغسلة هي التوبة والاستغفار، ولذلك تاب آدم وزوجه حواء إلى الله تبارك وتعالى، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ * [الأعراف: ٢٣]، قبل الله توبة آدم، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ * ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ * [طه: ١٢١، ١٢٢].

ولذلك انتهت قضية آدم، الذين يقولون: إن قضية آدم حملها أبنائهم من بعده طوال العصور إلى يومنا هذا. هذا غير معقول، كيف نحمل خطيئة لم نشهدها، ولم نشارك فيها، لا بفكر ولا برأي، ولا بعمل ولا برضا؟ انتهت قضية آدم بالتوبة.

ظلم آدم هو مثال لظلم الإنسان لنفسه حينما يرتكب معصية بينه وبين الله تبارك وتعالى، إذا تاب من هذه المعصية تاب الله عليه، فإذا شربت الخمر أو تركت الصلاة أو تركت الصيام أو تركت أيّاً من الواجبات التي بينك وبين الله، ثم ندمت على هذا وتبت إلى ربك، وقلت: رب اغفر لي. فإن الله ﷻ يغفر لك، هو غفار الذنوب، فهذا نوع من الظلم الذي يغفره الله تبارك وتعالى.



الظلم بين العباد:

وهناك نوع آخر من الظلم يكون بينك وبين العباد، هو ظلم لا يتركه الله، الظلم الأول يغفره الله وَعَجَّلَ، والثاني لا يتركه الله، لأنه يتعلق بحقوق الخلق، وحقوق العباد مبنية على المشاحة، وحقوق الله مبنية على المسامحة، الله يسامح في حقه، ولكن العباد لا يسامحون في حقوقهم؛ خصوصًا يوم القيامة.

في الدنيا يمكن أن يسامح إنسان في حقه، فحاول أن تستسمح الناس في دنياهم، أمّا في الآخرة فلا يمكن أن يسامح أحد: لا ابنك ولا بنتك، ولا أخوك ولا أختك، ولا أبوك ولا أمك، خصوصًا قبل الموازين، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ * وَأَبِيهِ * وَصَاحِبِهِ * وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، يقول لك: إذا أعطيتك حسنة نقص ميزاني حسنة، وربما كانت هذه الحسنة هي التي تثقل الميزان، فإذا أعطيتك إياها ذهبت إلى جهنم. فهناك أنانية مطلقة يوم القيامة، الأب الذي كان يضحّي في الدنيا بكل مصالحه وبكل شهواته من أجل أولاده، من أجل فلذات كبده، من أجل أبنائه وبناته، أمّا في الآخرة ﴿يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ * وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، كل واحد يقول: نفسي نفسي.

ولذلك احذر أن تظلم أحدًا أيّ ظلم، فالعباد يريدون حقوقهم يوم القيامة، ولذلك يأتي ناس يوم القيامة ولهم أعمال صالحة: صلوات، صدقات، زكوات، صيام، حج، عمرة، استغفار، دعاء، ذكر لله، صلة للأرحام، عمل أشياء كثيرة! ثمّ يأتي يوم القيامة فلا يجد من هذه الأعمال شيئًا، لماذا؟ لأنّ أصحاب الحقوق أخذوها منه!

يوم القيامة يوم استيفاء الحقوق:

واستيفاء الحقوق يوم القيامة ليس بالدنانير ولا الدراهم، ولا الريالات ولا الجنيهاً؛ ولا بأيّ عملة من هذه العملات، بماذا يتعامل الناس؟ بالحسنات والسيئات، كل واحد عنده حسنات وسيئات، وكل واحد عليه حقوق للناس، فكل من لم يأخذ حقه في الدنيا يطلبه يوم القيامة، يوم استيفاء الحقوق، لا يضيع حق يوم القيامة، ثق مهما كنت ضعيفاً في الدنيا، وأخذ بعض الناس حقك، وأكلوه ولم يقرؤا به، يوم القيامة سيعترفون لك، تقول له: آتني حقي. من أين يؤتيك؟ تأخذ في هذه الحالة من حسناته مقابل حقك، تأخذ من صلاته، ومن صيامه، ومن زكاته، ومن حجّه؛ حتّى تستوفي حقك!

فإذا استوفيتَ حقك فيها، وإذا بقي لك حق تقول له: خُذ من سيّئاتي. فيأخذ من سيّئاتك، لا حق يضيع، إلّا إذا كان أمرك قد انتهى في الدنيا بالتوبة، إذا تبت توبة نصوحاً: يصلح الله بينك وبين هؤلاء الناس يوم القيامة، وبغير ذلك لا بدّ للناس أن يأخذوا حقوقهم، ولذلك يقول النبي ﷺ: «أتدرون من المُفْلِس؟» قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «إنّ المُفْلِس من أَمّتي يأتي يومَ القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإنّ فَنِيَتْ حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحه عليه، ثمّ طَرَحَ في النَّارِ»^(١). هذا من عاقبة الظلم أيّها الإخوة.

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨١)، وأحمد (٨٠٢٩)، عن أبي هريرة.

الظلم من طبيعة النفس البشرية:

يحذر القرآن أن تظلم، إِيَّاكَ أَنْ تَظْلِمَ، للأسف الظلم من طبيعة النفس البشرية، الله تعالى يقول عن الإنسان: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ويقول الشاعر:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فليعلّ لا يظلم^(١)
الإنسان ظالم إذا ترك وحده لغريزته، إذا لم ينتفع بالإيمان الذي يهديه، ويرشده ويحميه.

أول ظلم وقع في الأرض:

أول ظلم وقع في الأرض كان في زمن آدم وحواء، رجل وزوجته وأولادهما، فقتل ابنُ آدمَ الشريرُ ابنَ آدمَ الخير، يُسمِّيهِمَا النَّاسُ (قابيل وهابيل) أخذًا من توراة بني إسرائيل، قابيل هو الابن القوي الخبيث الشرير، وهابيل الابن الطيب، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، الذي لم يُتقبل قربانه توعد أخاه وشقيقه بالقتل!

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، ماذا فعلت لك؟ الله يتقبل من أصحاب القلوب النقية المخلصة لله، أنا جئت بأفضل ما عندي وقدمته إلى الله فقبله مني، ولكن أنت لم تجيء بأفضل ما عندك، لم تقدّم إلى الله الشيء الطيب؛ فلم يقبله الله منك، ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَِّّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]، ولكن هذا الكلام الطيب لم

(١) ديوان المتنبي ص ٥٧١، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

يُلين قلب هذا الأخ الطاغية، ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَاصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]، أوّل ظلم وقع في الأرض هو ظلم ابن آدم هذا، حينما قتل أخاه. ثمّ اشتدّ الظلم وانتشر في الأرض، أصبح الناس يستعملون القوة.

هناك أناس يقولون: إنّ المجتمع هو سبب المظالم. ولكن حين قتل ابن آدم أخاه لم يكن هناك مجتمع، لم يفعل أحد قبل ذلك جريمة القتل، ولذلك تحير كيف يدفن أخاه؟ لم يعرف الدفن، تحير ماذا يفعل في تلك الجثة؟ ثمّ أرسل الله غراباً يُعلّمه من أجل كرامة بني آدم، ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١].

الظلم كرهه إلى الناس، ولذلك الله ﷻ لا يحب الظالمين، ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]، ولا يهدي القوم الظالمين، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، لا يهديهم إلى خير أبداً، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

أخذ القرى، فأحياناً يكون الظلم فردياً، وأحياناً يكون الظلم جماعياً.

والظلم - كما قلت لكم - درجات بعضها فوق بعض، هناك من يظلم فرداً؛ فيأخذ ماله، يسرقه، يختلسه، يأكله بالميال الباطل أو (بالفهلوة) والكذب، كل هذا ظلم محرّم. ظلم الناس بعضهم لبعض، قد يظلم أحدهم زوجته؛ خصوصاً إذا كان متزوجاً أكثر من واحدة، يظلم واحدة لحساب أخرى، ومن ظلم إحدى الزوجتين جاء يوم القيامة وأحد شقيقه مائل^(١)؛ لأنّه مال لإحدى زوجتيه، وظلم الأخرى!

(١) رواه أحمد (٧٩٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩)، جميعهم في النكاح، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٥١)، عن أبي هريرة.



اعدل بين الأولاد:

وقد يميل لأحد أولاده دون الآخر، كما جاء سيّدنا بشير بن سعد الأنصاري، حين أرادت زوجته أن يكتب لابنه النعمان بن بشير شيئاً عنده: حديقة أو نحو ذلك، وقالت له: أشهد على ذلك رسول الله ﷺ. فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له: «أكل أولادك نحلّتهم مثل هذا؟» أعطيتهم مثل هذه العطية؟ قال: لا. قال: «فأشهد على ذلك غيري»^(١)، أنا لا أشهد على ظلم. إذا لم تُعطِ كل أولادك، بعضهم مثل بعض، أو أرضيتهم بأي طريقة من الطرق؛ فأنا لا أشهد على هذا. رفض أن يشهد على تمييز أحد الأولاد بشيء يخصّه دون إخوانه؛ إلّا إذا كان يستحق هذا.

كمن كان له ولدٌ عنده آفة من الآفات؛ فلا يستطيع بسببها أن يعمل كما يعمل إخوانه: أصم، أعمى، أبكم، أعرج، ويريد أبوه أن يعطيه شيئاً، يعوضه عن هذه الآفة، هذا لا مانع منه، لأنّه هذا هو العدل، إنّهُ بذلك يحاول أن يقرب بين الأولاد بعضهم وبعض، فإيّاك أن تظلم أحد أولادك، اعدل بينهم، كما تحب أن يكونوا لك سواء بالبر فاجعلهم أيضاً سواء في العدل، هذا ما جاء به الإسلام.

يريد الإسلام من المسلم أن يكون عادلاً مع أولاده، عادلاً مع إخوانه وأقربائه، بعض الناس يريد أن يأكل حقّ إخوانه، خصوصاً لو مات الأب، وترك لهم تركة، وجعل لأحدهم ولاية عليها، فكثيراً ما يجور الإخوة بعضهم على بعض! والله لن تنفعك الأرض، ولن ينفعك الدنانير والدرهم، والريالات والجنيهات، ولا أي شيء من هذا، إنّما ينفعك الحق، وينفعك العدل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٠)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣)، عن النعمان بن

بشير.

خُذْ حَقَّكَ، وحاول أن تنقص منه أقلَّ القليل بقدر الإمكان؛ حتَّى تكون في مَأْمَنٍ من أن تأخذ زيادة عن غيرك، كان بعض السلف رضوان الله عليهم يفعل هذا، حينما يشتري شيئاً ينقص أي شيء من المكيال أو الميزان؛ خوفاً من أن يكون من الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[المطففين: ١ - ٦]﴾. احذر الحبة في الكيل والميزان.

من أسماء الله الحسنی (الحكم العدل)، فهو الحكم الذي يحكم بين العباد، وهو حكم عدل: يعدل بين الجميع، لا يحابي أحداً لحساب أحد، لا، فكلهم عباده، ليس أحد أقرب إليه من أحد، ولذلك يعطي كل إنسان حقه، وإن كان شيئاً صغيراً، لا يُضَيِّعه الله تبارك وتعالى.

الظلم أيُّها الإخوة الأحبة شيء عظيم، ينبغي لكل إنسان منا أن يتحرز منه، فلا يظلم نفسه، ولا يظلم أحداً من أولاده، ولا يظلم أحداً من أقربائه، ولا يظلم أحداً من جيرانه، فالجيران يتعلّق بعضهم ببعض يوم القيامة ويقول: يا رب، إن هذا ظلمني حقّي: لم يُطعمه وقد كان جائعاً، لم يَكْسُه وقد كان عارياً، لم يُعلّمه وقد كان جاهلاً، لم يقوّه وقد كان ضعيفاً، لم يبذل له شيئاً من الخير، وكان باستطاعته أن يبذل له!

الظلم ظلمات يقوم القيامة:

يا أيُّها الأخ المسلم، إياك أن تكون ظالماً، الظُّلم ظلمات يوم القيامة، هكذا قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٩)،

عن ابن عمر.

لا تُظلم على نفسك طريقك، أنز طريقك: بالعدل تقيمه، وبالحق تحترمه وترعاه لكل الناس حولك، من كان مسلمًا ومن كان غير مسلم، من كان برًا ومن كان فاجرًا، أعطِ العدل للجميع، النبي ﷺ يقول: «اتَّقِ دعوة المظلوم، فإنَّها ليس بينها وبين الله حِجاب»^(١). وفي حديث آخر: «اتَّقُوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا، فليس بينها وبين الله حِجاب»^(٢). حتَّى وإن كان هذا المظلوم كافرًا؛ فالله يستجيب دعوته؛ لأنَّه لا يحب أن يُظلم أحد أبدًا.

ظلم الضعفاء:

وأشد أنواع الظلم: أن تظلم من لا ناصر له غير الله، فالمظلّمين أنواع كثيرة: هناك مظلوم له من يسنده، له قريب قوي، أو صاحب قوي، أو أولاد، أو أي أحد يدافع عنه، وهناك مظلوم ليس له مُدافع إلَّا الله، مسكين والله هذا الذي يأكل الناس ماله، ويهتكون عرضه، ويأخذون حقه، ولا يبالون بأي شيء به، هذا المظلوم هو المظلوم الذي يدافع الله عنه، من لا يجد له ناصرًا غير الله، ليس له عم ولا خال، ولا قريب ولا حبيب؛ فيأتي الظلمة فينتصرون عليه، ولكن هناك من هو أقوى من هؤلاء الظلمة، من ينتصر للمستضعف، ويأخذ له حقه، ولا يبخسه شيئًا أبدًا.

موضوع الظلم في القرآن أيُّها الإخوة لا أستطيع أن أوفيه في خطبة واحدة، ولكنني أكتفي في هذا اليوم ببعض هذا الموضوع؛ لأكمّله في خطبة قادمة حتَّى نوفيه جوانبه: أنواع الظلمة، وأنواع المظلومين، وأنواع

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٢٥٤٩) وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩) عن أنس.



الظلم، وكيف ينتصر الله تعالى للمظلومين، هذا موعد خطبتنا في الأسبوع القادم إذا أحيانا الله ووفقنا.

ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَنَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ حَدِيثٌ عَنْ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَقَضَايَاهُمْ، وَلَا تَوْجَدُ أُمَّةً فِي الْأَرْضِ لَهَا قَضَايَا مُعَلَّقَةٌ، وَقَضَايَا مَظْلُومَةٌ، وَقَضَايَا تَتَنُّ مِنْهَا الْجَوَانِحُ، وَتَبْكِي الْعَيُونَ كَقَضَايَا أُمَّةِ الْإِسْلَامِ.

من قضايا فلسطين:

أَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضَايَا فَلَسْطِينَ، وَفَلَسْطِينَ هِيَ قَضِيَّتُنَا الْكُبْرَى، قَضِيَّةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَى، الْقَضِيَّةُ الْمَحَوْرِيَّةُ الْمَرْكَزِيَّةُ الَّتِي مَهْمَا كَانَتْ لَنَا قَضَايَا، سَتَظَلُّ هِيَ الْقَضِيَّةُ الْأُولَى فِي قَضَايَا الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهَا أَعْدَلُ قَضِيَّةٍ فِي قَضَايَا الْأَرْضِ، قَضِيَّةُ أَنَاسٍ أَخَذَتْ مِنْهُمْ أَرْضَهُمْ، شَاهَدْنَا هَذَا، نَاسٌ جَاءُوا مِنْ بِلَادِ شَتَّى إِلَى أَرْضٍ لَيْسَتْ أَرْضَهُمْ، وَدَارَ لَيْسَتْ دَارَهُمْ، وَاغْتَصَبُوا هَذِهِ الْأَرْضَ بِطَرَقِ شَتَّى، ثُمَّ بَعْدَ مَدَّةٍ قَالُوا: نَرِيدُ أَنْ نَقِيمَ فِيهَا دَوْلَةً. وَفَعَلًا أَقَامُوا الدَّوْلَةَ الَّتِي سَمَّوْهَا بِاسْمِ تَارِيخِي مُقَدَّسٍ عِنْدَهُمْ، سَمَّوْهَا (إِسْرَائِيلَ)، وَهُوَ لَقَبُ لِسَيِّدِنَا يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُمْ أَبْنَاءُ يَعْقُوبَ، بَنُو إِسْرَائِيلَ.

أَقَامَ هَؤُلَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةَ فِي سَنَةِ ١٩٤٨مَ، وَوَقَفَ الْعَرَبُ ضِدَّ هَذَا الْقَرَارِ، وَكَانُوا وَقْتِئَاكَ سَبْعَ دُولٍ فَقَطْ، وَدَخَلُوا يَحَارِبُونَ هَذِهِ الدَّوْلَةَ، وَكَادُوا يَنْتَصِرُونَ عَلَيْهَا؛ لَوْلَا مَوَامِرَاتُ الْغَرْبِ عَلَيْهِمْ: الْإِنْجِلِيزُ وَالْفَرَنْسِيُّونَ وَالْأَمْرِيكَانُ وَالرُّوسُ، كُلُّهُمْ كَانُوا ضِدَّهُمْ، قَالُوا: إِنْ إِسْرَائِيلَ خُلِقَتْ لَتَبْقَى، يَجِبُ أَنْ تَبْقَى إِسْرَائِيلُ!

وظللنا نحن نقول عن إسرائيل في الصحف والإذاعات: إسرائيل المزعومة. وبعد عدة سنوات استحيينا، لأنّ هذه المزعومة صارت تركل هذا البلد، وترفس هذا البلد، وتدمّر ما تشاء من هذا البلد، فاستحيينا وحذفنا كلمة (المزعومة) بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

هذه الدولة التي قامت على أرض غير أرضها، باستخدام القوّة العسكريّة المُفْرِطَة، بتربية الرجال الذين جاؤوا بهم من بلاد شتى، وغرسوا فيهم أنفساً غير الأنفس القديمة التي قال لهم موسى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْنَدُوهَا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١]. فرفضوا وقالوا له: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [المائدة: ٢٢].

جاء هؤلاء برجال آخرين، واستطاعوا أن يفرضوا أنفسهم، حماهم الغرب، واستطاع أن يعقد هدنة بينهم وبين العرب، في أثناء هذه الهدنة كان لليهود ألوف يعملون مع الغربيين، جاء هؤلاء الألوف بأسلحتهم، وبما عندهم من خبرة ومعرفة وكيد، واستطاعوا أن يجمعوا من الأسلحة في هذه الأشهر، ما قدروا به بعد ذلك على العرب، وظلوا ينتصرون على العرب مرّة بعد مرّة.

وأصبح هؤلاء اليهود الآن أيّها الإخوة يتحكّمون فينا، وهم بضعة عشر مليوناً في العالم، وفي فلسطين أربعة ملايين أو نحو ذلك يتحدثون من العرب وهم حوالي ثلث مليار من البشر، ويتحدون المسلمين وهم مليار وثلثا المليار من البشر، ولا يستطيع العرب والمسلمون أن يقولوا: لا. ويحموا كلمة (لا)، لأنّهم للأسف تركوا القوّة التي تحميهم. عندهم مصدر واحد للقوّة الهائلة، التي لا يستطيع أحد أن يقف أمامها لو أنّهم تمسكوا بها، وعملوا على أن يسندوها إلى أنفسهم ويستندوا إليها.

عندهم قوّة الإسلام العظيم؛ لكنهم لم يستندوا إليه، استندوا إلى أشياء أخرى، وتفرقوا شيعاً؛ فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر، حكام هنا وحكام هناك، لا يثق بعضهم ببعض، ولا يدين بعضهم لبعض، ولذلك ينتصر اليهود عليهم دائماً.

حقوق البدو في صحراء النقب:

أصبحوا الآن يهددوننا، ويتحكمون في المسجد الأقصى، تحدث إليكم في جمعة سابقة عن هذا الأمر، واليوم أحدثكم عن أمر آخر، إنهم يريدون تصفية صحراء النقب.

كانت صحراء النقب صحراء عربيّة، فدخل هؤلاء اليهود هذه الصحراء، وكان فيها البدو فهجّروا البدو وأخذوا أراضيهم، ولم يبقوا فيها إلّا مجموعة من البدو، يُقدّرون بسبعين ألفاً أو أكثر قليلاً، يملكون ثمانمائة ألف دونماً من الأرض، لكن اليهود لا يريدون أن يبقوا لهؤلاء أرضهم، ولا أن يبقى هؤلاء في أرضهم، التي عاشوا فيها من آلاف السنين، هي أرضهم التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم، قروناً وأعماراً ودهوراً، أراد اليهود أن يُخرجوا هؤلاء العرب المسلمين من ديارهم، ويأخذون دونماتهم، ولا يعطونهم في مقابلها شيئاً يُذكر، ابتلعوها كما ابتلعوا سائر الأرض، وأقاموا فيها دولتهم المزعومة.

نحن المسلمين مطالبون أن نقف مع هؤلاء البدو. للأسف وقف البريطانيون مع هؤلاء البدو الفلسطينيين أصحاب الحق في الأرض، وقفوا معهم في لندن وأكسفورد وفي مدن شتى، يقاومون هذا المشروع الذي يستأصل هؤلاء البدو من ديارهم الأصلية، التي عاشوا فيها آلاف السنين، بينما لم نجد العرب والمسلمين يقفون معهم، العرب يحارب

بعضهم بعضًا، ولم نجد منهم من يحارب عن هؤلاء، بالعكس وجدنا من المصريين من يحارب الفلسطينيين في غزة، ويقطعون عليهم الطرق التي كانوا يدخلون بها الأشياء، فلم يعد لهم طريق، ولا زالوا مُحاصرين، لا يكادون يفكون لهم أسيرًا، هذا ما نراه من المسلمين بعضهم لبعض!

وإخواننا في بلاد الغرب يدافعون عن إخوانهم بكل قوّة، ويقولون: لا نرضى أبدًا أن يُطرد هؤلاء من ديارهم، أين نحن المسلمين من إخواننا؟ لماذا لا ندافع عن هؤلاء؟ أين الإعلاميون، أين الصحفيون الذين أصبحوا يدافعون عن الباطل في بلاد شتى؟!

نحن ننبه إخواننا في بلاد العرب وبلاد الإسلام، إلى حقوق إخوانهم الفلسطينيين في القدس وفي صحراء النقب، وفي كل بلاد فلسطين؛ حيث تؤكل حقوقهم حقًا بعد حق، ونحن عن هذا غافلون.

الانقلاب العسكري في مصر:

بقيت كلمة لا بدّ أن أقولها عن قضية إخواننا في مصر، القضية العادلة التي تشهد لها السماء، وتشهد لها الأرض، وتشهد لها الملائكة، ويشهد لها الصالحون في بلاد العرب والمسلمين، ويشهد لها الأشراف والأحرار في العالم، كل من عنده عقل يعي، كل من عنده ضمير حي، كل من عنده رؤية للأمور يقول: إنّ هذا الانقلاب العسكري الذي قام في ٣ يوليو هو حكم باطل ظالم، طرد الرئيس الشرعي، وحبسه حيث لا يعرف الناس مكانه، وأقام حكمًا باطلاً.

تصوروا بلدًا عاش ستين سنة يُحكم بالظلم والعدوان، يضحك على الناس ويأتي بهذا الحكم ويفرضه على الناس فرضًا، ويقتل مَنْ يقتل،

بعضهم يقول: القتل ستة آلاف وثمانمائة شخص. يحاولون أن يسجلوهم بالأسماء، هم يقولون: إنهم ألف وقليل. حتى لو ألف، حتى لو واحد، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وهؤلاء قتلوا الآلاف، وسجنوا الآلاف، وفعلوا ما فعلوا بالرجال والنساء، الذين يرفعون أصواتهم يحتجون على هذا الباطل: يكون جزاؤهم السحق والقتل، والسوق إلى السجون، والضرب والإهانة؟!!

هذا ما يجري في مصر بعد أن تنفست مصر الصُّعداء، بعد أن جاءت ثورة ٢٥ يناير، بعد أن أصبح الناس أمرهم في أيديهم، ينتخبون ويختارون ما يشاؤون، دستورًا ورئيسًا وبرلمانًا، كل الناس تفعل ما تشاء، من أراد أن يخرج في مظاهرة يخرج، كل المصريين جربوا هذا، ولكن جاء هذا الحكم الظالم ليفرض نفسه على مصر.

وأنا أقول: الشعب المصري عرف الحقيقة تمامًا، ولم يعد أحد يقدر على أن يفرض عليه نفسه بالعنف والقوة، حكم العسكر سقط عند الناس، لم يعد العسكري قادرًا على أن يفرض نفسه على المدني، المدني هو الذي يحكم.

أيها الإخوة، سيّدنا عمر بن الخطاب وسيّدنا خالد بن الوليد اختلفا، ولكن كانت الكلمة لمن؟ كانت لعمر بن الخطاب، لأن خالدًا لم يختره الناس خليفة، كان قائدًا، ومن حقّ الرئيس المدني أن يخلعه، وقد خلعه واختار بدله أبا عبيدة بن الجراح، وأصبح خالد مستمعًا لأبي عبيدة، هذا هو المنطق، الناس لا يسمعون للعساكر.

هؤلاء يريدون أن يكونوا هم دولة فوق الدولة، يحكمون بما يشاؤون

وكما يشاؤون، كل شيء لهم، أراضي هائلة يستحوذ عليها الجيش، وأحياناً يستغني عن هذه الأرض، مَنْ يأخذ هذه الأرض؟ ليس البلد، وإنّما يأخذها الضباط، وهي تساوي المليارات، يأخذونها لأنفسهم، ولذلك أصبحوا يملكون أكثر من نصف الثروة المصريّة، ولا يريدون لأحد أن يتدخل في ميزانيتهم، يريدون أن يكونوا هم سادة أنفسهم، ليس هذا في أي بلد في العالم، لا بدّ للدولة المدنية أن يكون لها سلطانها على العسكريين، وعلى المدنيين، وأن تكون مهمة كل عسكري أن يدافع عن حدود البلد، أمّا أن يخرج عن ذلك ويحكم المدنيين فهذا غلط، لا يريد المصريون هذا، ولا يريد أحد من العرب هذا، ولا يريد أحد من المسلمين هذا.

لا بدّ لنا جميعاً أن نقوم في وجه هذا الظلم الذي يريد أن يُثبّت نفسه، ولا يمكن أن يثبت الظلم أبداً، الظلم في طبيعته زائل، ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا، اللهمّ استرْ عوراتنا، وآمنْ رَوْعَاتِنَا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتَالَ من تحتنا.

اللهمّ أعزّ الإسلام وانصر المسلمين، اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ افكك بقوّتك أسرنا، واجبرْ برحمتك كسرنا، وتولّ بعنايتك أمرنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طَرْفَةَ عَيْنٍ ولا أقلّ من ذلك.



اللهم كُنْ لنا ولا تَكُنْ علينا، وأَعِنَّا ولا تُعِنْ علينا، وانصُرْنَا ولا تنصر علينا، وامكُرْ لنا ولا تمكُرْ علينا، واهدِنَا ويسر الهدى إلينا، وانصُرْنَا على من بغى علينا.

اللهم اجعلنا لك ذكَّارين، لك شكَّارين، لك أوَّابين، لك مُحِبِّين، لك مَطْوَاعِينَ، إليك مُنِيَّين، ربَّنَا تقبلُ توبَتَنَا، وأَجِبْ دَعْوَتَنَا، وثَبِّتْ حُجَّتَنَا، واهدِ قلوبنا، وسدِّدْ ألسنتنا، واسلُلْ سخائم صدورنا.

اللهم انصر إخوتنا في مصر، وفي سوريا، وفي العراق، وفي تونس، وفي ليبيا، وفي اليمن، وفي فلسطين، وفي الأردن، وفي لبنان، وفي إيران، وفي باكستان، وفي أفغانستان، وفي بنجلاديش، وفي سائر بلاد العالم كلها يا ربَّ العالمين، اللهم انصر المسلمين، وأَيِّدْ عبادك المستضعفين، وخذ الظالمين أَخْذَ عزيز مقتدر. اللهم أنزل عليهم بأسك الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمَجْرُمِينَ، اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنَا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وانصُرْنَا على القوم الكافرين، ربَّنَا اغفرْ لنا ولإخواننا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

الظلم في القرآن الكريم (٢) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نتحدث في موضوعات القرآن الكريم، وقد تحدثنا في الجمعة الماضية عن (الظلم في القرآن)، فمن الموضوعات المهمة التي تعرّض لها القرآن: موضوع العدل والظلم في القرآن، ومن أسماء الله تعالى الحسنی (العدل)، هو الحكم العدل، فهو يحب العدل، ويحب العادلين، ويحب المقسطين، ولا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين.

وإذا أمر الله بثلاثة أشياء أو شيئين يكون العدل منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]. العدل ليس للمسلمين وحدهم، العدل للناس كل الناس، هذا عدل الله، عدل الله لجميع عباد الله، لا تظنّوا أنّ الإسلام جاء بالعدل للمسلمين والظلم لغير المسلمين، لا، العدل لكل البشر، يحرم أن تقتل المسلم، ويحرم أن تقتل

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٣ سبتمبر ٢٠١٣م.

غير المسلم، يحرم أن تسرق من المسلم، ويحرم أن تسرق من غير المسلم، هذا ما جاء به الإسلام، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. وحينما يأمر الله بشيء واحد يكون هو العدل، يسميه القسط: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]. أي بالعدل، فبالعدل تقوم السماء والأرض، أن يعدل الإنسان في نفسه، وأن يعدل مع أسرته، مع زوجته، مع أولاده، مع إخوانه، وأن يعدل مع الناس كل الناس: جيرانه وأقاربه، ومن معه، ومن عليه، يعدل مع الجميع، هذا ما جاء به الإسلام.

جاء الإسلام بالعدل، وحرّم الظلم، قلت لكم في الأسبوع الماضي: لم يكتفِ الإسلام بتحريم الظلم، لا، بل لا تظلم ولا تكن عوناً لظالم، قبل أن يمنعك من الظلم منعك أن تكون معاوناً على الظلم، أن تكون جندياً لظالم، أخذ الله جنودَ فرعون وهامان كما أخذ فرعون وهامان.

ابتلاء العلماء في العصر العباسي:

حينما ابتلي المسلمون في العصر العباسي الأوّل بفتنة ومحنة عظيمة، شملت علماء المسلمين الذين هم مع سنة رسول الله ﷺ، عشرات ومئات العلماء، ومئات الصالحين، قُتل منهم من قُتل، وسُجن منهم من سُجن، وضُرب منهم من ضُرب، وأُوذِيَ منهم من أُوذِيَ.

وكان من هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل، ربّاني هذه الأمة، الذي جعله الله علماً للناس يقتدون به، رفض أن يُطيع الحكام، الخليفة العباسي الشهير المأمون بن الرشيد، وأخوه الواثق، وأخوه المعتصم، أراد هؤلاء أن يجبروا الناس على أن يقولوا: القرآن مخلوق. والقرآن كلام الله، وكلام الله تعالى صفة من صفاته، لا يجوز أن تكون مخلوقة.

بعض العلماء ممّن كانوا يُسمّون (المعتزلة)، الَّذِينَ اعتزلوا الحسن البصري، واعتزلوا جماهير المسلمين كانوا يقولون بخلق القرآن، وأرادوا أن يفرضوا رأيهم بالقوّة العسكرية على الناس، وهذا ظلم أن تستخدم السوط والسيف والقوّة الباطشة؛ في إجبار النَّاس على رأي تراه أنت.

ولذلك لمّا رفض أحمد بن حنبل أن يقول بقولهم أُدخل السجن، وتعرّض للأذى وللبلاء سنين طويلة، حتّى جاء الفرج حينما جاء الخليفة المتوكل على الله، وسمح لأهل السنّة بأن يُظهروا رأيهم، وأن يقولوا ما عندهم، واضطهد المعتزلة وأخذوا دورهم، هكذا الدُّنيا دول، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

قال السجّان لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، هل الأحاديث التي جاءت في أعوان الظلمة أحاديث صحيحة؟ قال له: نعم، صحيحة. أعوان الظلمة في النّار والعياذ بالله، لأنّ مُعاون الظالم كالظالم نفسه، فقال له: وهل تراني من أعوان الظلمة؟ قال له: لا، فأعوان الظلمة من يطهو لك طعامك، من يغسل لك ثيابك، من يقضي لك حاجتك، أمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم، لست من أعوان الظلمة، أنت ظالم سجان تسجن النَّاس بغير حق^(١). هكذا كانوا يُعلّمون الناس، لا يجوز أن تكون عوناً لظالم، احذر أن تعينه بقول أو فعل، أو بكلمة أو برأيٍ أو بأيّ عمل، لا تظلم ولا تكن عوناً لظالم.

لا تظلم فيما بينك وبين الله، هناك مظالم بين الإنسان وبين ربّه،

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٤٣٥، تحقيق حسن المساحي سويدان، نشر دار القلم، دمشق،

ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

حكينا بعضها مثل شرب الخمر، وترك الصلاة، وترك الصيام، وهذه الأشياء التي ليس فيها حقوق بيّنة للعباد، وحقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة، ولذلك يسامح ربنا سبحانه فيما كان من حقه، أمّا حقوق العباد فكل واحد مستمسك بحقه، لا يتنازل إنسان عن حقه، لا لأبيه ولا لأمه، ولا لابنه ولا لابنته، ولا لأخته ولا لأخيه، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، لا أعطيك حسنة، يمكن أن يحتاج ميزاني حسنة واحدة، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦ - ١١]، لا يستطيع أحد أن يتنازل عن حسنة واحدة قبل الموازين، وقبل قراءة الصحف، وقبل أن يعرف كل إنسان ما له وما عليه.

استكثر من الحسنات:

ولذلك احرص أيها المسلم وأنت في الدنيا على أن تستكثر من الحسنات، حاول أن تصلي فرائض ونوافل، لا تقل: تكفيني سبع عشرة ركعة الفريضة. لا، أنت في حاجة إلى النوافل، لأن الفرائض قد تكون ناقصة، فكيف تكمّل نقصها؟ من النوافل، وربما كانت عليك للناس حقوق لم تستطع أن توفيتها؛ فيأخذون من نوافلك، بدل أن يأخذوا من فرائضك، أنت في حاجة إلى الزيادة من هذه النوافل.

احرص على أن تبتعد عن المظالم أيّا كان نوعها، حتّى المظالم التي بينك وبين الله تبارك وتعالى.

احذر من المظالم:

واحرص أشدَّ الحرص على ألاَّ تظلم النَّاس، ألاَّ تظلمهم في أبدانهم بالضرب، بالإيذاء، بالقتل، ولا في أموالهم بالسرقة، بالاختلاس، بأكل أموال النَّاس بالباطل، ولا في أعراضهم بالغيبة والنميمة والقذف، احذر أن تظلم أحدًا بأيِّ أنواع الظلم، كل ما يتصل بحُرُمات البشر احذر منه، لا تقل: هذا أمر بسيط. لا، فالقليل على القليل كثير، ويوم القيامة لا يوجد شيء قليل، هناك ميزان حسَّاس، يحسب لك كل حسنة وإن صغرت، ويحسب عليك كل سيئة وإن ضوَّلت، الحسنات والسيئات كلها مكتوبة لك أو عليك.

ولذلك احذر من المظالم، لا تكن ظالمًا، الله وَجَّالٌ لا يحاسب أحدًا بذنب أحد، لا يحاسبك على ظلم أبيك أو جدك أو ابنك أو حفيدك أو أخيك أو أختك أو قريبك أو صاحبك أو صديقك، لا، وإنما يحاسبك على ظلمك أنت، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

لا تستهن بكلمة تقولها:

إيَّاك أن تظلم، وتقول: هذا أمر يسير. لا، فاليسير يتجمع على اليسير، ويصبح شيئًا كبيرًا، وحملاً ثقيلاً، إيَّاك أن تقول كلمة وتستهن بها! ها هي السيدة عائشة زوج النبي ﷺ، الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين كانت تتحدَّث مع النبي ﷺ، وقالت عن إحدى ضرائرها: ما يعجبك من فلانة إلاَّ أنَّها - تشير بيدها إلى أنَّها قصيرة، ليست طويلة - فقال لها: «يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لَمَزَجَتْهُ»^(١). كلمة تُعكر

(١) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧)، عن عائشة.

بحرًا، السيئات لها أثرها، لا تستهين بأي سيئة أبدًا في حق الناس، احذر من حقوق الناس.

لا يوجد دين حمى حقوق الناس كل الناس: الصغار والكبار، الرجال والنساء، الأطفال والشيخوخ، المسلمين وغير المسلمين، الظالم والمظلوم، حتى الظالم لا تقل فيه ما ليس فيه، احذر من الظلم.

ذكر لنا القرآن كثيرًا من الأمم الذين ظلموا، وأخذهم الله بظلمهم، الله لا يترك الظالمين يفعلون في الأرض ما يشاؤون، كأنهم آلهة يتحكمون في رقاب البشر، لا، هناك فوق هذا الكون إله عظيم، الرب الأعلى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ٢-٥]، هذا الرب الأعلى هو الذي يدير هذا الكون، فلا تظن أنك تستطيع أن تفعل ما تشاء، لا، أنت إنسان ضعيف جدًا، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، انظر إلى الفيروس الذي يُمرض الإنسان ويرقده على فراشه، إنسان ما شاء الله: مرتفع القامة، مفتول الذراعين، قوي البدن، فيه صحة، وفيه امتلاء، يأتيه هذا الفيروس الذي لا يستطيع أن تراه بعينك أو بنظارتك، لا تراه إلا بميكروسكوب، يأتيه هذا الفيروس فيرقده، أيها الإنسان الشجاع القوي المستكبر، لا تستطيع أن تقاوم فيروسًا صغيرًا، فكيف تقاوم الله الكبير المتعال، لا يستطيع أحد أن يقاوم الله.

ولذلك حذرنا الله ﷻ أن نظلم العباد، قالوا: هناك ثلاثة أنواع من الظلم: ظلم لا يبالي به الله، وهو الذي تحدثنا عنه من قبل، وهو الظلم فيما بينك وبين الله، وظلم لا يتركه الله، وظلم لا يغفره الله، الظلم الذي لا يتركه الله هو الظلم الذي يكون بينك وبين العباد، أن تظلم العباد في

أنفسهم، في أموالهم، في نسائهم، في أولادهم، في حرماهم، في أموالهم، في أي عزيز عليهم أو أثر لديهم، إياك أن تظلم هؤلاء.

حذر الله ﷻ في كتابه في آيات كثيرة جدًا، القرآن مليء بالآيات التي تحذر من الظالمين، وكم حذر القرآن بني إسرائيل من الظلم، حينما نجّاهم الله تعالى من فرعون الذي كان يظلمهم في كل يوم، نجّاهم الله بمعجزة رأوها بأعينهم وشاهدوها.

موسى عليه السلام غادر مصر خوفًا من بطش فرعون:

حاول موسى وقومه - وهم فئة قليلون بالنسبة لأهل مصر - أن يغادروا مصر هربًا من فرعون وبطشه، فلمّا وصلوا إلى البحر ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، البحر أمامنا، وفرعون وجنوده خلفنا، ليس هناك حيلة، سيقضي علينا فرعون، قال موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، ربي معي سيفعل شيئًا، لا أعرف ما هو؟ لكنّه معي فلا أخاف أحدًا من بعده، ﴿قَالَ لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، هكذا قال الله لموسى وهارون، هذا الرب الذي يسمع ويرى سيهديني إلى شيء، وفعلاً قال الله لموسى: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]. وما يغني ضرب البحر بالعصا؟ لكنّه أمر الله، فضرب موسى بعصاه البحر، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، كالجبل العالي المرتفع، أصبح شقين من المياه، بينهما طريق في أرض يابسة، ﴿فَأَضْرَبَ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا مَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]، فسار بنو إسرائيل في هذه الطريق، والمصريون ومعهم فرعون ينظرون إلى هؤلاء، فدخلوا وراءهم، فلما كانوا في وسط البحر أطبق عليهم البحر، ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، ﴿فَاغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، ولكي يُري الله المصريين آية من آياته

أبقى جثة فرعون، علت الجثة ورأوها، حتى لا يقولوا: أخذته الشمس أو رفعته الآلهة أو كذا. ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفُلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

في هذه الفترة ظلم بنو إسرائيل أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَضَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧ - ٥٩]. أنزل الله عليهم المن، وهو شيء حلو ينزل على الأشجار، والسلوى، وهي طيور تأتي مهاجرة يأكلونها، أرسل إليهم رزقاً من عنده لم يتعبوا فيه، ولكنهم مع هذا لم يشكروا نعمة الله، وظلموا أنفسهم.

الله ﷻ لا يظلم أحداً، وإنما يظلم الناس أنفسهم، فيأخذ الظالمين أخذ عزيز مقتدر، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤]، هذه الإمامة هل ترثها كل ذريتي؟ ﴿قَالَ لَا يِنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، ذريتك المؤمنون العادلون المقسطون لهم حقهم من هذه الإمامة، أمّا الظالمون فلا ينالونها، من استرعى الذئب فقد ظلم، الظالمون لا حق لهم، كما قال تعالى متحدثاً عن إبراهيم وابنه إسحاق: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

التحذير من ظلم الحيوان:

لا تكن ظالماً لإنسان، بل لا تظلم حيواناً، الحيوان الأعجم لا يجوز أن تظلمه، لا يجوز أن تظلم دابة: بقرة، حماراً، دجاجة، كلباً،

هَرَّة، أي حيوان من هذه الحيوانات لو ظلمته لشكاك إلى الله، ارحم هذا الحيوان؛ فإنه يحسُّ كما تُحس، ويتألم كما تتألم، ويتوجع ولا يكاد يبين، ارحم هذا الحيوان ولا تظلمه، إذا ظلمته فإنه سيشكوك إلى الله تبارك وتعالى.

حبست امرأة هَرَّة، خرجت وتركته، ولم تجعل لها أكلاً ولا شرباً، وطبعي أن الكائن الحي: إنساناً كان أو حيواناً؛ إذا لم يأكل أو يشرب مدة من الزمن سيموت، هلكت امرأة في هذه الهَرَّة، فدخلت النار، «دخلت امرأة النار في هَرَّة حبستها؛ فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض»^(١)، لا يجوز للإنسان أن يُعذِّب حيواناً، تعذيب الحيوان كتعذيب الإنسان.

والنبي ﷺ ذم من قتل عُصفوراً عبثاً، كيف يقتله عبثاً؟ لم يذبحه ليأكله، إنما ضربه فقتله فمات فتركه، «من قتل عُصفوراً عبثاً؛ عَجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب، إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة»^(٢)، النَّاس الذين يذهبون إلى الصيد للقنص، ويصطادون الطيور أو غيرها ولا يأخذونها يرتكبون حراماً، لا بد أن تصطاد الصيد وتأخذه فتنتفع به، لا أن تقتله عبثاً وتدعه مُلقى على الأرض، هذا ظلم.

لا تظلم بشراً، ولا تظلم حيواناً، ولا تظلم حتى سائر المخلوقات الإلهية، لا تظلم شيئاً، حتى الأشياء التي تملكها يمينك، كُن عادلاً معها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.
(٢) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف، والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، وضعفه الألباني في بلوغ المرام (٤٦)، عن الشريد بن سويد. وانظر تعليقنا عليه في المنتقى من الترغيب والترهيب (٥٧٧)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

اعدل مع سيارتك، احفظها من الغبار، احفظها من المطر، احفظها من كل ما يسيء إليها، هي مسؤولية، لا تكن أيها المسلم ظالمًا لأي مخلوق من هذه المخلوقات، الله تعالى سيحاسب من ظلمها، إذا قالت: يا رب، ظلمني عبدك ولم يعطني حقي. ماذا تقول لله ﷻ حينئذ؟ احترس أيها المسلم من ظلم هذه الأشياء.

لا تظلم مخلوقًا سواء كان إنسانًا أم حيوانًا أم نباتًا، أم جمادًا، حتى الجماد له حق، البناء له حق، الأدوات لها حق، كيف تحفظها سليمة متقنة، إذا كان لها غطاء غطها، إذا كانت تحتاج إلى تنظيف نظفها، إذا كانت تحتاج صيانة أرسلها إلى الصانع المحترف، كل شيء له حقه، فالإسلام جاء بحقوق الخلق كل الخلق، هذا هو الدين العظيم.

احذر أن تكون ظالمًا أو ظلومًا، هناك ظالم، وهناك ظلوم، نسميها في اللغة العربيّة صيغة مبالغة، هناك آكل وأكول، وشارب وشروب، وهناك إنسان ظلوم وهو الذي يشتد في الظلم، مبالغ في الظلم، إياك أن تكون من هؤلاء الظلومين، والله تعالى وصف الإنسان الذي لا يهتدي بهدي الله، ولا يلجأ إلى الإيمان، ويعيش مع الغريزة، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، إذا سار مع غريزته ولم يهتد بالوحي، ولم يستنر بالعقل، ولم يعرف الخير والشرّ والمصلحة والمفسدة ممّا يعرفه الناس.

احذر أيها المسلم أن تكون ظلومًا أو تكون أظلم، هناك إنسان ظلوم، وهناك إنسان أظلم من الظلوم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤]، الذين يُخربون المساجد

ويمنعون الصلاة هؤلاء أظلم من غيرهم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، كل هؤلاء من أظلم الظالمين.

أظلم الظالمين:

إيّاك أن تكون ظالمًا أو ظلومًا أو أظلم من غيرك، لا تتنافس في الظلم، الظلم لا آخر له، هناك أناس يظلمون ظلمًا كبيرًا، تصور هؤلاء الناس الذين يقتلون الآلاف في مصر، مصر كانت بلدًا آمنة مطمئنة انتهت إلى رئيس اختارته بحريّتها بأغلبية بسيطة، ولكن أي أغلبية كافية، هذا هو المطلوب في النظام الديمقراطي الشوري، الذي نُقِرْه نحن، ونعتبره نظامًا إسلاميًا لأنه يقر نظام الشورى، اختارت الأغلبية مُحَمَّد مرسى رئيسًا لمصر، فجاء أناس ظالمون ظلومون، بل أظلم الظالمين، وزعموا أن الجماهير تطلب منهم أن يتولّوا الحكم ويطردوا مُحَمَّد مرسى، بأي جماهير هذه؟!

هناك صناديق انتخابية هي التي تبين العدد، أمّا أن تحشد مجموعة في ميدان التحرير، هؤلاء تسببوا في قتل الآلاف، ولا زالوا يقتلون الآلاف، والناس تُصاب في بيوتها وفي شوارعها، والدراسة تُعطّل، والدنيا تُخرّب، والأحوال تفسد، وتزداد من فساد إلى أفسد، ومن أفسد إلى الأشد فسادًا، لا يستفيد الناس من وراء هؤلاء إلا الخراب، ثمّ الخراب ثمّ الخراب، هؤلاء أظلم الظالمين.

وهؤلاء الذين يظلمون الناس في سوريا، يقتلون البرّاء الذين ينادون بالحرية والكرامة، ما طلبوا غير هذا، قالوا: نريد حريّتنا وكرامتنا، أن

نكون مثل تونس ومصر وليبيا واليمن، أن تكون لنا حريتنا، أن نختار من نشاء، لا يفرض علينا واحد من الناس. هؤلاء الناس يقتلون بطائرات الميج الروسية، وبالבوارج الحربية، وبالمدافع، وبالأسلحة الثقيلة التي يملكها الجيش، الذي سلّحه الشعب السوري من عصارة أرزاقه، هؤلاء الناس ظلمة.

الله يمهّل ولا يهمل:

هؤلاء الظلمة لا يمكن أن يتركهم الله، فالله لا يترك الظالمين أبداً، سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، هو يمهّلهم ولا يهملهم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، أرخي لهم العنان، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧]، الله يمهّل هؤلاء، ولكنّه لا يغفل عنهم أبداً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

هكذا عرف المؤمنون الصادقون، وهكذا قالوا للجبابرة في الأرض، قالت امرأة للحجاج الثقفي، وهو الذي كان يأخذ الناس بالشبهة، ويقتل بالظّنة، ولا يبالي بقطع الرقاب، قالت له: أنت تحصد، والله يزرع، فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق^(١). أن تقتل الناس، ولكن الله يأتي بذرية من نسل هؤلاء؛ ستقف ضدك في يوم من الأيام.

سيأتي يوم ينال فيه كل ظالم عقوبته، كل من نراهم اليوم في بلاد الإسلام يقتلون الناس بغير الحق، الذين قتلوا الناس في بنجلاديش الدولة الإسلامية الكبيرة التي كانت في يوم من الأيام مع باكستان دولة

(١) انظر: محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١٥٧/٢)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،

بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

واحدة اسمها باكستان، انفصلت عن الهند الوثنية التي كانت تعذب المسلمين وتؤذيهم، فقالت البلاد التي فيها أكثرية إسلامية: ننصل وحدنا. فكانت باكستان الشرقية، وباكستان الغربية.

باكستان الشرقية هي التي أصبحت الآن بنجلاديش بلاد البنغال، هذه البلد الآن تعاقب بعض المسلمين؛ لأنهم كانوا ضد انفصال بنجلاديش عن باكستان، وقت أن كان الاثنان بلدًا واحدًا! عاقبت بعض هؤلاء بالإعدام، منهم الشيخ عبد القادر الملا: الأمين المساعد للجماعة الإسلامية في باكستان الشرقية أو في بنجلاديش، حكمت عليه بالإعدام على ما فعل من أكثر من أربعين سنة، وما فعله هو مجرد رأي تراه الناس!

يحكمون عليه بالإعدام من أجل شيء لا يُوجب القتل، وكان منذ أربعين سنة، هذه السلطة الظالمة في بنجلاديش: قتلت هذا العالم، وسيقتلها الله، وكل من قتل أحدًا بغير حق؛ سيأخذ الله ذنب المقتول من هذا القاتل الظالم، الله ﷻ ليس بغافل، وليس بنائم، وليس بعاجز، الله قادر يا حكام بنجلاديش الظالمين، الله قادر على أن ينتقم منكم، احذروا نقمة الله ﷻ، الله ﷻ عادل ومقسط، وهو يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين، ولا يهدي القوم الظالمين، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في وداع نيلسون مانديلا:

لي كلمات في هذه الخطبة الثانية، أوّلها عن نيلسون مانديلا الرجل الذي قاد كفاح بلده: جنوب إفريقيا، البلد الذي استعمره الأوروبيون، جاءت قلة أوروبية تستعمر هذه البلاد، ثمّ لم تكتفِ بأن تستفيد من خيراتها، وتكوّن ثروات هائلة؛ بل أصبحت هي الحاكمة لهذه البلاد، أبت الأقلّيّة البيضاء إلّا أن يحكموا هذه الملايين كلها، وسرعان ما بدأ أهل جنوب إفريقيا يستيقظون من سباتهم، ويتعلّمون من جهلهم، ويخرجون من الأمّيّة إلى الثقافة والنور، ويطالبون بحريتهم.

وكان من أوائل الذين قادوا كفاح جنوب إفريقيا نيلسون مانديلا، الذي وقف ضد هؤلاء، فدعا الشعب، وقام الشعب معه في البلاد المختلفة، حتّى أخذه العنصريّون وحكموا عليه بأحكام مؤبّدة بالسجن، في سجونهم البعيدة عن العمران، ظلّ ثمانية وعشرين عامًا مسجونًا في سجون الاستعمار الأبيض، الذي حكم جنوب إفريقيا، ولكن لم تزل البذرة التي بذرها مانديلا تعمل عملها في الشعب، حتّى اضطروهم أن يخضعوا لهم، ويفرجوا عن مانديلا من سجنه، وأن يعود ليتفاوض معهم، حتّى نجح في مفاوضاته.

هكذا وصل مانديلا إلى أن يكون هو الحاكم الإفريقي الأوّل في جنوب إفريقيا، ويعيش أصحاب البشرة البيضاء من الأوروبيّين كما يعيش غيرهم، على وزنهم وأقليتهم، لهم حقوقهم، ولكن ليس من

حقهم أن يحكموا الغالبية السوداء، وظل نيلسون مانديلا رمزًا للمساواة، فلا يجوز أن يحتكر السيادة أبيض على أسود، الألوان لا تحكم الناس، هؤلاء ناس لونهم أسود، بلادهم بلاد الشمس المحرقة الحارة، لا دخل للألوان في التمايز بين الناس، كلنا بشر، كلنا أبناء آدم، ولذلك كان مانديلا رمزًا للعدالة الإنسانية الأدمية، حكم جنوب إفريقيا حتى سمحوا له أن يستقر، بعد أن أصبح سنّه كبيرًا، زاد عن تسعين سنة.

وقد زرتة حينما زرت جنوب إفريقيا منذ سنوات في مكتبه، ورحّب بي، وقال: نحن مع قضايا المسلمين، ومع القضية الفلسطينية، ومع القضايا العادلة التي نعرفها. وكان رجلًا من الرجال الأحرار المخلصين حقًا، ولهذا أحببت أن أقول هذه الكلمة في وداعه، الكل سيودعونه يوم الأحد القادم، ونعزي إخواننا في جنوب إفريقيا، ونتمنى لهم أن يكون يومهم خيرًا من أمسهم، وغدهم خيرًا من يومهم.

الانقلاب العسكري في مصر:

وكلمة أخرى أقولها عن مصر، ولا بدّ لنا في كل جمعة من كلمة عن مصر، لأنّ قضية مصر هي البارزة الآن، صحيح عندنا قضية في سوريا عادلة كل العدل، وعندنا قضايا أخرى في العراق، وعندنا قضية في اليمن، وعندنا قضية في تونس، وعندنا قضايا في عدد من البلاد، وكلها قضايا عادلة.

وأعداء الإسلام هم الذين يعملون أيّها الإخوة على إنضاج هذه القضايا؛ لتفرقة المسلمين، وشغلهم عن القضايا الكبرى، بدل أن تعمل مصر هذه السنة التي مضت، ظلموا مُحَمَّد مرسى والله، لم يتركوه يعمل، من أوّل شهر بدؤوا يعملون ضده، وهو لا يدري، لعلكم سمعتم حوار الأخ يحيى حامد مع أحمد منصور، أنّ الأمر مُبَيَّت.

مصر أعظم البلاد العربيّة، وأقدمها نهضة، وأكثرها عددًا، تسعون مليونًا، تونس عشرة ملايين، ومصر عشر تونسات، هذا البلد العظيم أرادوا أن يكيدوا له، ويمكروا به مكرًا كُبَارًا، فسَلَطُوا فئة من النَّاس تعيث في الأرض فسادًا، من الَّذِينَ قال الله عنهم: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١١ - ١٤]. ربك يرصد ويراقب ويُسَجِّل، ولا يفوته شيء.

سَجَّلَ اللهُ ﷻ لهؤلاء الطغاة ما فعلوه بهذا الشعب، وما قتلوه من المصلّين والصائمين، والقائمين والقانتين، من الرجال والنساء، من الشيوخ والشباب والشابات والأطفال، هؤلاء لن يتركهم الله أبدًا، سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

الشعب المصري الذي أثبت وجوده: رجاله ونساءه، شبابه وشاباته، طلابه وطالباته، حكموا عليهم أظلم الحكم، حكموا على الفتيات بإحدى عشرة سنة، ١١ سنة لأن أحدهم يمشي في مظاهرة، يهتف بلسانه، لم يضرب أحدًا، ولم يؤذ أحدًا!

وطلبة الأزهر حكموا على كل واحد منهم بأربع عشرة سنة، غير آلاف الجنهات، غرامة خمسون ألف جنيه على الطالب، هؤلاء النَّاس ظلمة، والله إنهم ظلمة، سيجزيهم الله على ظلمهم هذا في الدُّنيا قبل الآخرة، الظلم لا يُترك للآخرة، الظلم والبغي يحاسب عليه صاحبه في الدنيا، المكر يُحاسب عليه في الدنيا، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرُؤًا مَكْرَنًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ مَكْرِهِمْ * أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ﴾ [النمل: ٥٠ - ٥٣].

الله لا يترك الظالمين أبداً، سيأخذهم أخذاً أليماً شديداً، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(١).

أثبت طُلاب الجامعات في مصر: في القاهرة والإسكندرية، والمنصورة وطنطا، والمنوفية وبلاد الصعيد، في كل محافظات مصر، أثبت الطلاب أنهم رجال لا يخافون الموت، ولا يخافون الضرب والإيذاء، وأثبتت النساء أنهم كالرجال تماماً.

انظروا أيها الإخوة إلى الموقف الذي اتَّخذه الإخوان والإسلاميون، وأنا أقول: الثورة الآن لم تعد ثورة الإخوان، أصبحت ثورة مصر. هم يقولون: ثورة الإخوان. لا لم تعد للإخوان، مصر كلها هي التي تثور الآن، الذين يقفون ضد الثورة محدودون، وهم يقلون يوماً بعد يوم، لأنهم وجدوا أن كل شيء أكل، الحريات كلها أكلت، حقوق الإنسان كلها أكلت، لم يعد شيء للناس.

اختار الإخوان أن يكون مقامهم بجوار مسجد رابعة العدوية - وكانت رابعة مغنية جارية: أمة عند أحد السادة، ثم تابت وأصبحت عابدة من العابدات العظام - أقام الإخوة في هذه الأماكن يصلي فيها المصلون، ويفطر فيها المفطرون، ويقوم فيها القائمون، ويتعبّد فيها المتعبّدون، أقاموا بجوار مسجد رابعة العدوية، يجب أن يفخر النساء بهذا، أن الجميع ينتسبون إلى امرأة، يقولون: رابعة. وأصبح لها شعار، أربعة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٨٦)، ومسلم في الآداب والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى الأشعري.



أصابع، شعار عالمي، يعتز به الناس في أنحاء العالم، رابعة امرأة مسلمة أصبحت هي رمزاً للمجاهدين والمكافحين في العالم، الذين يقفون ضد المتجبرين والمتكبرين في الأرض.

أيُّها المتجبرون، أيُّها الظالمون، أيُّها الذين يأكلون حقوق الناس، أيُّها الذين يقتلون الناس في مصر، الذين يأخذون الناس بغير حق من بيوتهم ومن شوارعهم، يضربونهم أمامنا، أصبح العالم الآن مكشوفاً، هناك كاميرات في كل مكان، وحتى في الهواتف تكشف هؤلاء، أصبحنا نراهم، الله سينتقم منكم أيُّها الظالمون، ثقوا أن آخرتكم قد قربت، الله سيأخذكم أخذاً أليماً شديداً.

لم يعد لكم مكان أبداً، ليس هناك انتخابات، لن ينتخب أحد من الأحرار، لأنَّ الأمر واضح، ليس هناك انتخابات، عودوا إلى الأمر الصحيح؛ فمرسي هو الحاكم الشرعي المنتخب، يأتي ويتفق مع إخوانه ومع الشعب كله على ما ينبغي عمله، هذا هو الواجب، لا تركبوا رؤوسكم، لا تقفوا ضدَّ الحقِّ والخير، من وقف ضدَّ الحقِّ والخير فهو مغلوب أبداً.

أنتم أيُّها الانقلابيون ظالمون، ثقوا أيُّها الحكام المصريون أنكم ظالمون، أنا أحلف بالله أنكم ظالمون، ومعني من يحلف أنكم ظالمون قتلة، قتلتم الناس بغير حق. هؤلاء الذين قتلوهم لم يقتلوا أحداً، لم يعتدوا على أحد، لم يكن معهم عصا، لم يكن معهم حجر، لم يكن معهم شيء، قتلتم هؤلاء الأبرياء، سيأخذكم الله أخذَ عزيز مقتدر، اتركوا الميدان لغيركم، الميدان ليس ميدانكم، الميدان ميدان الأحرار المخلصين المقسطين، الله مطلع عليكم، وسيجزيكم أعمالكم.



اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا،
 اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا،
 وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، ونعوذُ بعظمتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.
 اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطمئنًا، سَخَاءً رِخَاءً وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.
 اللَّهُمَّ هَيِّئْ لِإِخْوَانِنَا مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا. اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَانَنَا فِي مِصْرَ،
 وَانصُرْ إِخْوَتَنَا فِي سُوْرِيَا، وَانصُرْ إِخْوَتَنَا فِي الْعِرَاقِ، وَانصُرْ إِخْوَتَنَا فِي
 فِلَسْطِينَ، وَفِي الْأُرْدُنِّ، وَفِي لُبْنَانَ، وَفِي إِيْرَانَ، وَإِخْوَانَنَا فِي تُونِسَ، وَفِي
 لِيْبِيَا وَفِي الْيَمَنِ، وَفِي الْمَغْرِبِ، وَفِي مُورِيْتَانِيَا، وَفِي الصُّومَالِ، وَفِي
 إِنْْدُونِيْسِيَا، وَفِي مَالِيْزِيَا، وَفِي بَاكِسْتَانِ، وَفِي أَفْغَانِسْتَانِ، وَفِي كُلِّ بِلَادِ
 الْخَلِيْجِ: فِي قَطْرِ، وَفِي السَّعُوْدِيَّةِ، وَالْإِمَارَاتِ، وَالْكُوَيْتِ، وَعُمَانَ، وَفِي
 كُلِّ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، بَلْ نَدْعُو حَتَّى لَغَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ، كُلِّ أَهْلِ الْعَدْلِ، وَكُلِّ
 الْمُسْتَضْعَفِيْنَ فِي الْأَرْضِ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ يَمْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنْ
 يُهَيِّئَ لَهُمْ فَرْصَةَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
 غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى عَبْدِكَ
 وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.





ثبات المؤمنين في المحن والشدائد^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الدنيا دار ابتلاء وامتحان:

حديثنا اليوم عن الثبات، ثبات المؤمنين على الحق حينما تنزل بهم الشدائد، وحينما تقارعهم الخطوب، وحينما تنزل عليهم الكروب، حينما يبتلى المؤمنون، ويزلزلون زلزالاً شديداً، هنا يظهر الثبات على الحق.

كل إنسان في هذه الدنيا مؤمناً كان أو كافراً، برّاً كان أو فاجراً مُعَرَّضٌ للابتلاء، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]. أي يكابد المشقات والآلام منذ ولادته، كما يقول ابن الرومي:

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بَكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوَلَّدُ
وإِلَّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا لَأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ^(٢)؟

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدَّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٧ سِبْتَمْبَرِ ٢٠١٣ م.

(٢) مِنْ شَعْرِ ابْنِ الرُّومِيِّ، انْظُرْ: الْإِعْجَازُ وَالْإِيْجَازُ ص ٢٢٠، نَشْرُ مَكْتَبَةِ الْقُرْآنِ، الْقَاهِرَةِ.

كما قال سيّدنا عليّ رضي الله عنه: ماذا أصف لكم من الدنيا؟ إنّها دار أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء^(١). فأول ما يبدأ الإنسان هذه الدنيا يبدوها بالبكاء، يصرخ أول ما يولد، هذا إيذان بأن هذه هي الحياة الدنيا، هي دار بكاء ودار آلام، يتجرع الإنسان فيها الغصص لبلية نازلة، أو لمنيّة قاتلة، أو لما يقع به من بلاءات كثيرة في نفسه وأهله وأحبّته، إلى آخر ما يجري في هذه الدنيا.

جعل الله ﷻ هذه الدنيا دار ابتلاء، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، كل إنسان مُبتلى في هذه الدنيا، ولذلك قال الشاعر أبو الحسن التهامي:

جُبِلْتُ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْآلَامِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفَ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ^(٢)
هذه طبيعة الدنيا، لا بدّ فيها من الابتلاءات والآلام لكل الناس.

ابتلاء حملة الرسالات وأصحاب الدعوات:

أمّا أصحاب الدعوات وحملة الرسالات فهؤلاء لهم حساب خاص، الله يبتليهم أكثر ممّا يبتلي غيرهم؛ لأنّ لهم شأنًا غير شأن الآخرين، هم يحملون للناس دعوة جديدة كثيرًا ما تخالف ما انتهى إليه أمرهم ممّا ورثوه من آبائهم وأجدادهم ومجتمعاتهم من عقائد، ومن أخلاق، ومن معاملات، ومن تقاليد، ومن تشريعات، يأتي الدين الجديد بما يغيّر هذا كله، ولهذا يقف الناس من هذا الدين موقف العداء.

(١) رواه القالي في الأمالي في لغة العرب (١٢٠/٢)، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(٢) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي، يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعالملي

(٢٠٥/٢ - ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

خلق الله آدم وإبليس، خلق إبراهيم والنمرود، خلق موسى وفرعون، خلق محمداً وأبا جهل، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. فلا بد لأصحاب الرسالات أن يكون لهم بلاء أكبر.

وقد ابتلي المسلمون في مكة ثلاثة عشر عاماً بابتلاءات شتى، ابتلاءات للأفراد رجالاً ونساءً، عذبوا وحُصروا وقُوطعوا حتى أكلوا أوراق الشجر، ودميت أشداقهم ممّا أكلوه، ثمّ أخرجهم الله من محنتهم.

حينما هاجر المسلمون إلى المدينة ظنوا أنّ الأمر قد صفا لهم فبدأهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

يقولون: إنّ اللام هنا في (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) موطئة للقسم، والنون للتوكيد. فقسم الله هنا دليل على أن هذا أمر لا بدّ منه، لا تظن أنّ الحياة ورد خال من كل شوك، لا، ليست هذه هي حياة أصحاب الدعوات، يقول الله تعالى: ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ويقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. الله يعلم كل شيء، حتّى قبل أن يقع، ولكنّه يريد أن يعلمه علم ظهور بحيث يراه الناس.

هذه هي سنن الله في كل أصحاب الدعوات من نوح عليه السلام ومن بعده، هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وأيوب وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام، كل هؤلاء لقوا ما لقوا، ابتلاهم الله تعالى في أنفسهم وفي أموالهم، وكان لا بد أن يكابدوا الحياة.

الثبات والصبر:

ولا بد أن يثبتوا في هذه الابتلاءات، الثبات: أن يصبر الإنسان ويثبت، يقف كالجبل الراسخ لا يتزعزع، ولا تزعزعه العواصف يمينا أو شمالا، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، الثبات: الرسوخ، لا تمل هنا ولا هناك أبداً.

النبي ﷺ يقول: «أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الأُمثَلُ فالأُمثَلُ، يُبتلى الرجلُ على قدرِ دينه، فإن كان دينه صُلْبًا اشتدَّ بلاءؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتلي على حَسَبِ دينه، فما يبرح البلاءُ بالعبد حتَّى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(١). لا يزال ينزل عليه البلاء فيُنظف ما عليه من ذنوب وخطايا حتَّى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة.

هكذا رأينا كل الأنبياء يصيبهم الابتلاء، لا يوجد نبي من الأنبياء إلَّا وابتلي، ولكنهم جميعاً صبروا، كما قال الرسل لقومهم: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَبَ عَلَى مَاءٍ ءَازِيْمُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

(١) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. عن سعد بن أبي وقاص.

هذا هو شأن المؤمنين، الثبات والصبر، الله تعالى قال لرسوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]. الإنسان بحكم الضعف البشري وضغوط الحياة يركن إلى الناس، حتى الرسول نفسه كاد يركن لولا أن ثبته الله تعالى فما ركن إليهم، وقد ثبته الله تعالى بأشياء كثيرة، ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، ينزل عليه من قصص القرآن عن المرسلين وما جرى لهم من أقوامهم حتى يثبت فؤاده.

تثبيت الله المؤمنين:

وحين قال الكفار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. لم ينزل عليه القرآن جملة واحدة، ونزله مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، كلما حدثت حادثة ينزل عليه القرآن مثبتاً، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، وكما قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. الله دائماً يثبت المؤمنين، والمؤمنون دائماً يطلبون تثبيت الله تعالى، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، يثبت أقدامهم، ويثبت أفئدتهم، والمهم تثبيت الفؤاد، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وفي غزوة بدر نزلت الملائكة لتثبيت المؤمنين، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، الملائكة تثبت المؤمنين، والله يلقي الرعب في قلوب الكافرين، والمؤمنون يضربون بسيوفهم.

ثبات المؤمنين في الشدائد هو ما رأيناه في أصحاب رسول الله ﷺ الذين غزوا الغزوات، وسروا السرايا، في كل بيت من بيوت المدينة التي قاومت الكفر بكل عناوينه، وبكل مظاهره، كفر الشرك في البلاد العربية، وكفر اليهودية المتعصبة العمياء، وكفر النصرانية الضالة، وكفر المجوسية التي عبدت النار ولم تعبد رب النار ورب الحياة ورب الإنسان ورب الكون كله، كل الوثنيات.

أراد الله ﷻ أن يقف مُحَمَّدٌ ﷺ وأصحابه - وهم قلة - في مواجهة هذا العالم الكبير الذي يقف ضدهم، سواء كان كتابيًا أم وثنيًا أم ملحدًا، يقف ضد هذه المجموعة الصغيرة التي تنادي بتوحيد الله في عالم لا يعرف إلا الوثنيات.

ولكنَّ محمدًا ﷺ قد ثبتَّ الله فؤاده فأصبح لا يخشى أحدًا إلا الله، علَّمه الله ﷻ منذ نزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُرْمَلُ * قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ * أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥]. يعلمه من أوَّل الأمر أنَّ الرسالة ليست لعبًا، وإنَّما هي قول ثقيل وأمانة كبيرة عُرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، هذه الأجرام العظيمة أبت أن تحمل هذه الرسالة وحملها الإنسان، وحملها الأنبياء من قبل، وجمعها الإسلام الذي يجمع كل ما في الرسالات من محامد ومحاسن وحملها مُحَمَّدٌ ﷺ.

علَّم الله نبيَّه محمدًا ﷺ في مدرسة القرآن وفي مدرسة الليل، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، فكان لا بدَّ أن يواجه الباطل، ولا بدَّ أن يواجه الظلم، ولا بدَّ أن يواجه الضلال، كل مآثم وضلالات الجاهلية التي تفرقت في مختلف العصور والقرون تجمعت في زمان مُحَمَّدٍ ﷺ، وأبى إلا أن يقف ضدها هو وأصحابه.

القلة التي قاتلت في بدر، وقال الله تعالى لها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. قليل من الناس، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْإِنْسُ فَأَوَّكُمُ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

كانت هذه القلة المؤمنة ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصًا، يحاربون الوثنية في العالم، ويحاربون المجوسية الفارسية، ويحاربون الرومانية النصرانية، الإمبراطوريتين الكبيرتين في الأرض، ويحاربون وثنية العرب، ويحاربون اليهود، يحاربون كل هؤلاء، ولكنهم كانوا مع هذا ثابتون كأنهم جبال على الأرض تثبت هذه الأرض.

هذه الكرة المعلقة في الفضاء، نحن نعيش على كرة معلقة في الفضاء ثلاثة أرباعها مياه، من الذي يمسك هذه الكرة؟ الله هو الذي يمسكها، ويمسكها بالجبال، هؤلاء المؤمنون كانوا كالجبال في ثباتها، لا يخافون مخلوقًا، وإنما يخافون الله وحده، كان هؤلاء هم الثابتين على العهود، لا يتزحزون أبدًا يمنة ولا يسرة، هم واقفون في أماكنهم، مستقرون على مواقفهم، ثبتهم الحق، وثبتوا بالحق، وما هو الحق؟ الحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يتزحزح.

وأعظم شيء ثابت هو الله تبارك وتعالى، ولذلك قال ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد بن ربيعة: ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ»^(١)

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٤١)، ومسلم في الشعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة.

وانظر: ديوان لبيد ص ١٣٢، نشر دار صادر، بيروت.

كل ما عدا الله باطل، الله وحده هو الحق، القرآن يقول: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]. ليس بعد الحق إلا الضلال، ما سوى الحق ضلال وباطل.

الله هو الحق، وما جاء من عنده حق، دينه حق، وأمره حق، ونهيه حق، وما وعد به حق، الآخرة حق، والجنة حق، والنار حق، والنبون حق، لأن هذا كله جاء من عند الله تبارك وتعالى.

الثبات على الحق والاستمسك به:

يجب علينا أن نثبت على الحق، نستمسك به، لا نتزعزع عنه أبداً، والنبِيُّ ﷺ أوصانا بذلك فيما رواه الطبراني في معجميه الكبير والصغير وفي مسند الشاميين، وما رواه أبو نُعَيْم في الحِلْيَةِ، وما رواه أحمد بن منيع عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءً، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ، وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ، تَمْنَعُكُمُ الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ، أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْإِسْلَامِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ - أَيِ الْقُرْآنِ - وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ مُضِلُّونَ يَقْضُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ». تكون بين نارين: إن تطعمهم يضلوك ويوردوك جهنم والعياذ بالله، وإن عصيتهم قتلوك. قال الصحابة: ماذا نفعل يا رسول الله؟ قال: «كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ». صبروا على دين المسيح كالَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبُرُوجِ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ١-٧]. طائفة من المؤمنين



حَرَّقُوا، خُذَتْ لَهُمُ الْأَخَادِيدُ، وَشُقَّتْ لَهُمُ الشَّقُوقُ، وَمُلَّتْ بِالْخَشَبِ وَالْحَطَبِ وَالْوُقُودِ وَالنَّارِ، ثُمَّ أَلْقَوْا فِيهَا، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

لا بدَّ لأهل الإيمان أن يصبروا على كل ما يلقون حتَّى يلقوا الله وَجَّهًا ثابتين على الحق غير حائدين عنه، هذا ما يجب على المؤمنين، ولذلك قال: «كما صنع أصحابُ عيسى ابنِ مريم، نُشِرُوا بالمناشير، وَحُمِلُوا على الخُشْبِ، والذي نَفْسِي بيده لموتٌ في طاعة الله خيرٌ من حياة في معصية الله»^(١).

مُتَّ كَرِيمًا، مِتَّ شَهِيدًا، وَلَا تَعِشْ ذَلِيلًا، وَلَا تَعِشْ عَبْدًا عِنْدَ الَّذِينَ يُرْغَمُونَكَ عَلَى مَا يَرِيدُونَ، يَخْرِجُونَكَ عَنْ دِينِكَ، يَخْرِجُونَكَ عَنْ مِلَّتِكَ، يَخْرِجُونَكَ عَنْ رِسَالَةِ رَسُولِكَ، لَا تَكُنْ مَعَ هَؤُلَاءِ، اقْبَلِ الْمَوْتَ فَهُوَ عَيْنُ الْحَيَاةِ، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ * يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * [محمد: ٤ - ٧].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَثْبِتَ قُلُوبَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَجْعَلَ شُهَدَاءَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَمِيتَنَا فِي سَبِيلِهِ، اللَّهُمَّ آمِينَ، ادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

* * *

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩٠/٢٠)، وفي الصغير (٧٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٦٥/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٥٣): رواه الطبراني، ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء وثقه ابن حبان، وغيره، وبقيّة رجاله ثقات. عن معاذ بن جبل.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا بدّ لي من كلمات أقولها عمّا يجري في حياتنا الإسلاميّة في بلادنا بلاد العالم الإسلاميّ الذي أصبح مجالاً للابتلاءات والاضطهادات عن يمين وشمال، ومن شرق وغرب، وشمال وجنوب، هكذا أصبح هذا العالم.

قضية فلسطين:

أحدثكم أوّل ما أحدثكم عن قضية القدس وقضيّة فلسطين، فهي قضية الأُمّة الأولى، مهما شغلّتنا القضايا في مصر أو في سوريا أو في بلاد شتى: في العراق وباكستان والسودان وغيرها من البلاد لا ننسى أن قضية فلسطين وقضيّة القدس بالذات هي القضية الأولى للأُمّة الإسلاميّة. يريد اليهود أن يختطفوا منا القدس، والأُمّة مشغولة بقضاياها التي تُصاحبها وتماسيها وتراوحها وتغاديها، فأصبح هؤلاء يهدّدون القدس في الصباح وفي المساء، وفي الصيف وفي الشتاء، وفي الليل وفي النهار، يهدّدون القدس باحتلالها.

لم يفهم ما فعلوه في السنين الماضية منذ احتلوا هذا البلد في حرب ١٩٦٧م، احتلوا هذا البلد وأصبحوا يبنون فيه تحت المسجد الأقصى ما يبنون، والآن يريدون أن يتوسّعوا أكثر ممّا توسّعوا على حساب غفلة المسلمين، ما دام الراعي نائمًا فليأت الذئب وليأكل الغنم، ورعاتنا نائمون، وهؤلاء يريدون أن يدخلوا المسجد الأقصى، وقد دخلوه، حرّموا على أهل المسجد أن يدخلوا فيه، هم يحددون السنّ، أقلّ



من خمسين سنة لا يدخل المسجد، الأطفال الصغار وما فوق الخمسين هم فقط من يدخلونه، أصبح اليهود هم الذين يتحكّمون، ويدخلون المسجد ويصلون فيه، مسجد المسلمين، المسجد الذي بارك الله حوله، هكذا قال الله تعالى في كتابه، لم يصف المسجد الحرام بما وصف به المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، المسجد الذي جعله الله سبحانه نهاية لإسراء رسول الله، وبداية لمعراج رسول الله إلى السماوات، القبلة الأولى التي صلى المسلمون إليها حينما أقيمت الصلوات عدة سنوات حتى نقل الله القبلة إلى الكعبة في السنة الثانية من الهجرة.

أنا أقول أيّها الإخوة: هؤلاء اليهود لا بدّ أن نقف لهم بالمرصاد، لا نستسلم لما يريدونه من هذه الأمة، إنهم يريدون أن يستغلّوها هذه الأمة، يشغلوها بما يشغلوها به، شغلوا المصريين، ضحكوا على بعضهم وقالوا لهم: نحن سنكون معكم، والأمريكان معكم، ودعونا نلعب كما نشاء في هذه الأمة. ويصلوا في المسجد الأقصى، ويقسموا المسجد الأقصى كما قسموا المسجد الإبراهيمي في الخليل، كان المسجد الإبراهيمي مسجداً للمسلمين، وقد صليت فيه مرّات وخطبت فيه الجمعة، ما زال اليهود وراءه حتى قسموه، جعلوه قسماً لليهود، وقسماً للمسلمين، هكذا يريدون أن يفعلوا بالمسجد الأقصى.

أين أمة محمّد؟ أين المسلمون؟ أين العالم الإسلامي؟ أين منظمّة التعاون الإسلامي؟ أين الجامعة العربيّة؟ أين الأمة التي بلغت ملياراً وثلث المليار من المسلمين، الأمة الإسلاميّة الممتدة في المشارق والمغارب؟ لماذا لا تثور هذه الأمة؟ لماذا لا تقول: لا؛ نحن فداء المسجد الأقصى، لنذهب إلى المسجد الأقصى وإن قتلونا، ليفعلوا بنا

ما يفعلوا، هذه الأمة لن تسكت على هذا الظلم، المسجد الأقصى ورقابنا، هذه الرقاب مستعدة أن تُقطع في سبيل الله لنحمي هذا المسجد، ولا نترك هؤلاء القردة والخنازير وأبناء القردة والخنازير يدخلونه ليدنسوه كما يشاؤون؟ لماذا لا تقول الأمة هذا؟

أنادي أمة الإسلام في كل بلد، الحكام والمحكومين، الرجال والنساء، الشيوخ والشباب، العرب والعجم، كل الأمة الإسلامية أينما كانت في المشارق والمغارب أناديها لتحمي حمى المسجد الأقصى، هذا المسجد هو أمانة عند المسلمين، يجب أن تتنبه الأمة الإسلامية لذلك، وأول من يجب أن يتنبه هم حكامها، وعلى العلماء والدعاة، ورجال الرأي والفكر أن ينبهوا حكام الأمة، وأن ينبهوا الأمة كلها حتى تخرج من غفلتها وسكرتها لتعمل ما هو الواجب من أجل هذا المسجد الأقصى ثالث مساجد المسلمين التي لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إليها كما قال النبي ﷺ: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»^(١). فعلى الأمة أن تتنبه لهذا الأمر، هذه هي القضية الأولى.

قضية العراق:

القضية الثانية هي قضية إخواننا في العراق، العراق الذي ظلَّ يقاتل من سنين، وأصيب بما أصيب به، كان أهل السنة فيه هم أهل الحكم، وأهل العطاء، وهم الكثرة، ولهم الأولوية في كل شيء، وما زال حتى دخل عليه الأمريكان في تتابع من المحن، وفي غفلة من الزمن، وفي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

ضياح من المسلمين، وانقسام بين أهل العراق أنفسهم، دخل الأمريكان ليرثوا حكم صدام حسين، ليتهم أخذوا الحكم من صدام وسلّموه لأهل العراق، ولكن تسلّموه هم ثمّ سلّموه لطائفة معينة زعموا أنّهم هم الأكثرية، وهم ليسوا الأكثرية، أكثرية العراق ليسوا هم الشيعة، الشيعة هم الأقلية، الأكثرية هم أهل السنة، هذا ما يقوله الواقع، وخصوصاً إذا أضفنا إليهم الأكراد سيكونون من غير شك هم الأكثرية الساحقة.

هذا العرق أصبحوا يعبثون به، أصبح المالكي - وهو رئيس وزراء العراق - يتحكم في الجميع، ويعبث بالجميع، حتّى إنّهُ يكيد للنائب رئيس الوزراء العراقي كيّداً، ويمكر به مكرّاً، ويصنع له قضية ملفقة ومزورة، كما يصنع لكل من يشاء، أصبح العراق فوضى، يقتل فيه من يقتل، ويعبث فيه من يعبث، أخذت أموال أهل السنة ومساجدهم وحوّلت إلى الشيعة، وقُتل أهل السنة لحساب الشيعة، وأصبح المسلمون مضيّعين. ومن هنا اضطر أهل السنة في بلادهم المختلفة أن يقاتلوا عن أنفسهم، يدافعوا عن كيانهم، ويدافعوا عن حياتهم، وهذا شأن الإيمان، لا يمكن أن يسكتوا أبداً، لا بدّ لهم أن يقاوموا.

ولا بدّ لنا أيّها الإخوة أن نكون مع هؤلاء الإخوة الذين يدافعون عن حرمتهم، يدافعون عن كيانهم، يدافعون عن أعدادهم، يدافعون عن رجالهم ونسائهم، يدافعون عن دمائهم وأعراضهم، دماؤهم أصبحت مستباحة، وأعراضهم أصبحت مستحلّة، وكل شيء لهم أصبح لا قيمة له عند هؤلاء الذين يحكمون العراق.

كان العراق من قديم فيه سُنّة وشيعة، ولكن السُنّة يعرفون قدرهم، والشيعة يعرفون قدرهم، إلى أن جاءت هذه السنون، فانقلب الوضع،

وأصبح أهلة السنة كأنهم القلة المستضعفة، وأصبح الشيعة هم المتحكمين في الأرض، فبدؤوا ينقلون الناس من أماكنهم، بدؤوا يغيرون البلاد، كانت بغداد سُنَّة وشيعة، والسُّنَّة هم الأكثرية، والشيعة لهم منطقة الأعظمية، الآن بدؤوا ينقلون أهل السُّنَّة إلى بلاد أخرى ليأتوا بشيعة في أماكنهم.

لا بدّ لنا أيُّها الإخوة أن نكون مع إخواننا في العراق، نحن لم ننس العراقيين أبداً، العراقيون إخواننا، وهم في قلوبنا، ونحن مُستَعِدُّون أن ندافع عنهم بأرواحنا وأموالنا، الأمة الإسلامية كلها أمة واحدة، أمة القرآن والسُّنَّة، الأمة التي كتب الله لها الخلود، هذه الأمة لا بدّ أن نكون معها، لا يمكن أن ندع إخواننا وحدهم، قولوا لهم أيُّها الإخوة: نحن معكم، نحن لن نخذلكم أبداً، سنكون معكم في السَّراء والضَّراء، في النعماء والبأساء، في الشدة والرخاء. لا يمكن أن نخذل إخواننا في العراق، فاطمئنوا أيُّها الإخوة في العراق أن إخوانكم في البلاد الإسلامية كلها معكم، ولا يتركهم الله أعمالكم، ولن يخذلكم أبداً، الله معكم، والله ناصر الحق، والحق منتصر، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿[الصفات: ١٧٢، ١٧٣].

قضية السودان:

القضية الثالثة قضية إخواننا في السودان، فقد قرأنا بالأمس واليوم ما جرى في السودان وفي الخرطوم من اقتتالات وسفك للدماء، وأنا لا أحبُّ أن يُقتل مسلم واحد بغير حقٍّ، لا أحبُّ للدولة أن تسلط يدها على أبنائها وتقتلهم، ليس للدولة أن تحمل السلاح لتقتل الناس وإن تظاهروا، ما داموا يتظاهرون سلميين غير مسلحين؟ لماذا يُقتلون؟ للجميع أن يطالب بما يطالب به، والأغلبية هي التي تحكم، ونحن نناقش الأشياء

التي يطالب الشباب بها بخفض أسعار التي غلا ثمنها وهي نادرة، نحن لا نريد من إخواننا في السودان وهم الإسلاميون أن يفعلوا كما يفعل المجرمون في مصر وفي سوريا وفي غيرها من البلاد، الذين يُحكّمون السيوف في رقاب الناس والمدافع والرشاشات والدبابات والطائرات تضرب الناس، أنفعل مثل ما يفعل هؤلاء؟ لا يجوز لنا أن نرتكب ما يرتكب هؤلاء، يجب أن نحتكم إلى الشعب، يجب أن ننظر فيما يشكو منه الناس، والناس يشكون ممّا يشكون منه، لا بدّ أن يُستمع إليهم، لا نستمع إليهم وفي يدنا بندقية، هذا ما لا يجوز أبدًا، أنا أخطب الإخوة في السودان وأقول لهم: لا تفعلوا هذا، إنكم إذا فعلتم هذا انضمتم إلى القتلة المجرمين من المصريين، الذين يسفكون الدماء كل يوم ولا يبالون، أين الإسلام إذن إذا قتلتم الناس؟ لا تقولوا: إننا لم نبلغ عُشر معشار ما فعل القتلة من المصريين، لأن هؤلاء القتلة قد فعلوا الأفاعيل، ارتكبوا الموبقات، فلا تكونوا مثلهم، ولا تقارنوا أنفسكم بهم أبدًا.

الانقلاب العسكري في مصر:

ثمّ لا بدّ لي من كلمة للمصريين أخيرًا: أقول لأهل مصر الذين زعموا أنّهم سيقدموني للمحاكمة، يحاكمونني على تهم كثيرة، كل الناس أصبحوا يُحاكمون على هذه التهم، ومن هذه التهم الخيانة العظمى! يزعمون أنني خنت مصر، ارتكب خيانة عظمى لا أعرف ماذا هي؟!!

ولكن أعجب من هؤلاء الوقحين أولئك الذين يتقولون على البراء بالباطل، فزعموا أن أهل رابعة العدويّة، وأهل النهضة، وأهل رمسيس، والذين يقفون الوقفات في المحافظات المصرية المختلفة، والذين قتلوا منهم من قتلوا، والذين رأيناهم طوال شهر رمضان يصومون في الحر

قائمين راكعين ساجدين لله، قارئين للقرآن، سامعين للقرآن، هؤلاء الإخوة جاء الوقحون وزعموا أنَّ معهم أسلحة وقنابل! وما رأينا واحداً منهم فقط استعمل سلاحاً، أنتم شاهدتم هؤلاء النَّاس أيُّها الإخوة على الشاشات وعلى كل المحطات غير المصرية طبعاً، هل رأيتم مع أحد منهم سلاحاً؟ هل رأيتم مع أحد عصا؟ هل رأيتم مع أحد حجراً؟ هل رأيتم مع أحد طوبة؟ والله ما رأينا مع أحد منهم شيئاً من ذلك، وإنما رأينا الجيش والشرطة والبلطجية يجتمعون ليقتلوا هؤلاء.

أنا أدعو محاكمة هؤلاء، أنا وأهل مصر، كل حر في مصر معي، وكل حر في الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة معي، وكل الأحرار في العالم معي، كلهم يطالبون بمحاكمة هؤلاء الَّذِينَ قتلوا النَّاس، الَّذِينَ عاشوا في رابعة، أنا أدعو إلى محاكمة هؤلاء الظلمة، هؤلاء القتلة، هؤلاء الَّذِينَ استباحوا الدماء، استرخصوا الدماء الغالية، أنا أدعو إلى محاكمة هؤلاء أمام قضاة عادلين، ليسوا من القضاة الَّذِينَ يستخدمونهم في الباطل، نريد القضاة العادلين الَّذِينَ أعرف الكثير منهم، أنادي أن يقف هؤلاء أمام القضاة ليحاكموهم كيف قتلوا هؤلاء؟ آلاف قُتلوا، وحوالي الألف لا يُعرف أين هم، أهلهم يبحثون عنهم ولا يعرفون لهم مكاناً، لأنَّهم قتلوا أناساً وجرفوهم بالجرافات وأخذوهم بسرعة ودفنوهم، ستُعرف هذه الأشياء، سيوجد من يُعرفونا عليهم ويدلون على مقابرهم الجماعية، لقد جرحوا وأصابوا ما يقرب من عشرين ألفاً، واعتقلوا الآلاف من النَّاس، رجالاً ونساءً.

أنا اعتقلت أيام الملك فاروق، لم يكن هناك امرأة واحدة معتقلة، واعتقلت مرتين في عهد عبد الناصر: مرَّة في يناير ١٩٥٤م، ومرَّة في أكتوبر ١٩٥٤م، لم تكن فيهما امرأة واحدة، ثمَّ بدؤوا في اعتقالات

سنة ١٩٦٥م يأخذون النساء، أفراد قلائل من النساء، أمّا في هذا العصر الذي يستبيح الدماء، ويستبيح كل شيء، المرأة، الفتاة، الأطفال، قتلوا من الأطفال من قتلوا.

هؤلاء النَّاس سينتقم الله تعالى منهم، ادعوا الله عليهم، أطلب منكم أيُّها الإخوة هنا، ومن الإخوة في مصر، ومن الإخوة في البلاد العربيّة والإسلاميّة وفي بلاد العالم، أطلب من كل مسلم أن يدعو الله تبارك وتعالى أن يأخذ هؤلاء الظالمين أخذ عزيز مقتدر، ويُنزل عليهم بأسه الذي لا يردُّ عن المجرمين، يأخذهم بدماء المظلومين المستباحين من الرجال والنساء والأطفال والشيخوخ وهم لا ذنب لهم والله إلّا أَنَّهُم قالوا: ربنا الله. وخرجوا يطالبون بمطالبهم، من حقّ النَّاس أن تطالب بما تطالب به ما دام ذلك في سلميّة، وهي سلميّة (١٠٠٪). هذا ما أدعو إليه وأنادي به.

القضية السورِيّة:

ثمّ لا بدّ لي أيُّها الإخوة عن إخواننا في سوريا الذين أصبح لهم أكثر من سنتين ونصف يقاتلون من أجل بلادهم، يقاتلون من يقاتلونهم، ما أرادوا إلّا أن يحصلوا على حريتهم وعلى كرامتهم وعلى العدالة، لا يريدون أن تتحكّم فيهم مجموعة من النَّاس من فئة واحدة، تتحكّم فيهم وفي رقابهم ولا تزال تتحكّم إلى اليوم، ليس هذا من العدل في شيء.

من حق أهل سوريا أن يكون لهم مكانهم في حكم أرضهم، لماذا تظل سوريا من أكثر من أربعين سنة تحكّمها أسرة واحدة هي أسرة الأسد أو الوحش، لماذا يحكم حافظ الأسد سوريا حتّى يموت ثمّ يأتي ابنه من الخارج وكان يدرس الطب ليحكم، ويظل يحكم، أكثر من أربعين سنة تحكّم هذه الأسرة لماذا هذا أيُّها الناس؟ لا بدّ لهذا الشعب

أن يكون له حقه كما كان لشعوب الربيع العربي حقها: تونس ومصر وليبيا واليمن، هذه البلاد لها حقها في أن يحكمها من يشاء أهلها، لا يستقل بأمرها رجل واحد يحكم بما يريد، ويقصف أهلها بالطائرات والدبابات والبوارج والصواريخ والمدافع، بكل ما اشتراه الشعب بقوت أولاده وبعصارة أرزاقه، يقتل الناس بهذه الأسلحة، نريد للشعب السوري أن يحكم نفسه بنفسه، أن يختار من يحكمه، يوليه متى شاء، ويعزله متى شاء، هذا ما نريده.

لا نريد للأمريكان أن يتحكموا في هذه البلاد، أوباما الآن يدافع عن حكم مصر، وهو يعرف أنه حكم ظالم مستبد يحارب الديمقراطية والحرية والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية، يحارب الشعب المصري كله، لكن أوباما لم يبال بالشعب المصري، ووقف مع هؤلاء، حينما قالوا له: اطمئن سنحارب الإسلام والإسلاميين، لن تجد هؤلاء بعد ذلك أبداً، سنقتلهم، سنحبسهم، سنحرمهم من حقهم، سنفعل بهم ما نفعل، أيّدنا فقط، اصبر علينا بعض الوقت ولن تجد هؤلاء. هكذا أفهموه كما أفهموا الملك عبد الله، وكما أفهموا رجال الخليج، أفهموهم أن يصبروا عليهم أسبوعين أو ثلاثة وسيقضون على هؤلاء فلا يكون هناك إسلام ولا إسلاميون! هؤلاء واهمون، إنهم لا يعرفون أن المصريين كلهم إسلاميون إلا القليل، الأقباط لا يمكن أن يكونوا إسلاميين، رجال حسني مبارك وبلطجيته لا يمكن أن يكون هؤلاء إسلاميين، هؤلاء لا ينتظر منهم، إنما الشعب المصري الحر الأبى لا يمكن أن يبيع نفسه، ولا يبيع دينه، ولا يبيع عقيدته، ولا يبيع حريته أبداً ولو بملء الأرض ذهباً، أنا مطمئن أن هذا الشعب سيأخذ حقه إن شاء الله، ولا بدّ لهذا الظلم أن ينتهي إن شاء الله.

سينتصر الشعب السوري، وسينتصر الشعب المصري، وسينتصر الشعب العراقي، وسينتصر الشعب الإيراني، وسينتصر الشعب السوداني، وسينتصر كل المجاهدين في سبيل الله، سيأخذون حقوقهم، وسيقف هؤلاء الظالمون المستكبرون في الأرض عند حدهم، وسيأخذهم الله أخذًا أليمًا شديدًا، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَنْصِرَنَا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَأَنْ يُهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَأَنْ يُمْكِنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ، وَأَنْ يَأْخُذَ الظَّالِمِينَ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نَغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا، اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَتَنَا فِي مِصْرَ، وَإِخْوَتَنَا فِي سُورِيَا، وَإِخْوَتَنَا فِي الْعِرَاقِ، وَإِخْوَتَنَا فِي فِلَسْطِينَ، وَإِخْوَتَنَا فِي الْأُرْدُنِّ، وَإِخْوَتَنَا فِي لُبْنَانَ، وَإِخْوَتَنَا فِي إِيْرَانِ، وَإِخْوَتَنَا فِي تُونِسَ، وَإِخْوَتَنَا فِي لِيْبِيَا، وَإِخْوَتَنَا فِي الْيَمَنِ، وَإِخْوَتَنَا فِي الصُّومَالِ، وَإِخْوَتَنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ فِي مِشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، اللَّهُمَّ أَيْدِهِمْ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَمْدِهِمْ بِجُنْدٍ مِنْ جُنْدِكَ، وَاحْرَسِهِمْ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْلُؤْهُمْ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، اللَّهُمَّ احْرَسْ بِلَدِنَا هَذَا وَأَيِّدْ أَهْلَهُ الطَّيِّبِينَ وَانصُرْهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

* * *

النصر وقواعده في القرآن الكريم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نتحدث اليوم عن نصر الله تبارك وتعالى للمؤمنين، وقواعد هذا النصر في كتاب الله الكريم، فلهذا النصر قواعد وسنن يرضاها الله تبارك وتعالى، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

أَوَّلُ قَوَانِينِ هَذَا النَّصْرِ: أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]. فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ هَذَا النَّصْرَ، وَهُوَ الَّذِي يَهَبُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّونَهُ.

النصر من عند الله:

وَلِذَلِكَ يُسَمَّى هَذَا النَّصْرَ (نَصْرَ اللَّهِ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٤ أَكْتُوبَرِ ٢٠١٣ م.

استبطؤوا النصر، فكان الجواب مؤكِّدًا بهذا الجملة الاسميَّة - وهي أوكد من الجملة الفعلية - ومعها حرف (إن)، و(ألا): ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

وسمَّى القرآن هذا النصر (نصر الله)، كما في الحرب التي حدثت في أوائل الإسلام في العهد المكي، كانت حربًا عالمية بين القوتين الكبَّريين في العالم في ذلك الوقت: قوَّة الفرس، وقوَّة الروم، كانتا أشبه بقوَّة أمريكا وقوَّة الاتحاد السوفيتي في زمنهم، نزلت سورة الروم تقول: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بَنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٢-٥]. لأن النصر لأهل الكتاب على أهل الشرك الذين يعبدون النار، ويقولون: إن هناك إلهين: إله للخير وإله للشر، إله للنور وإله للظلمة. فسماه نصر الله، فأول قاعدة وأول قانون في هذا النصر: أنَّه من عند الله، فمن أراد أن نصر الله فليبحث عن سنن هذا النصر وشروطه.

الله تعالى يؤتي النصر لمن يستحقه:

القانون الثاني أن هذا النصر لا يؤتيه الله إلا من يستحقه، من يستحق نصر الله يؤتيه الله هذا النصر، والقرآن ذكر من يستحق نصر الله، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. المؤمنون هم الذين يستحقون نصر الله، وليسوا الكافرين بالله ولا الجاحدين برسُل الله، ولا الجاحدين بلقاء الله، الكفار عامة لا يستحقون النصر، وإنَّما المؤمنون الصادقون، هناك مؤمنون ولكنهم يكذبون على الله وعلى أنفسهم، المؤمن الصادق هو أهل لنصر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، جند

الله الَّذِينَ لَيْسُوا مَجْنِدِينَ لِكُفْرٍ كَافِرٍ، وَلَا لِفُجُورٍ فَاجِرٍ: ﴿وَلِإِنْ جُنَدْنَا لَهُمْ
الْغَلَبُونَ﴾، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ النِّصْرَ.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *
الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤٠، ٤١].

هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ نَصْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا مَكَّنَّهُمُ اللَّهُ فِي
الْأَرْضِ ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، كُلَّ الْفَرَائِضِ وَالْفَضَائِلِ الدِّينِيَّةِ، وَيَهَيِّوْنَ لَهَا
الْأَسْبَابَ وَيَنْشُرُونَهَا بَيْنَ النَّاسِ، ﴿وَأَتَوُا الزَّكَاةَ﴾، حَقَّقُوا الْعَدَالَهَ
الاجْتِمَاعِيَّةَ، وَالتَّكَاثُلَ الْاجْتِمَاعِي بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَالْأَقْوِيَاءِ وَالضَّعْفَاءِ،
لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَالُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَلَا يَنْتَفِعَ بِهِ الْفُقَرَاءُ، هَذَا
لَا يَجُوزُ، ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾، مَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ بِفَطَرِهِمُ السَّلِيمَةِ
وَبِعَقُولِهِمُ الرَّشِيدَةِ، وَمَا يَجِيءُ بِهِ الدِّينُ الْحَقُّ، فَالدِّينُ الْحَقُّ لَا يَجِيءُ إِلَّا بِمَا
تَقْرَهُ الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ، وَتَسْلَمُ بِهِ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ، ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

فَلَا يَنْصُرُ اللَّهُ فَاجِرًا عَلَى بَارٍّ، وَلَا كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ، وَلَا كَاذِبًا عَلَى
صَادِقٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ مَعَ أَيِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ،
اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

قَوَانِينُ النِّصْرِ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْقُوَّةِ أَوْ الْكَثَرَةِ:

ثُمَّ مِنْ قَوَانِينِ هَذَا النِّصْرِ أَنَّ اللَّهَ يُؤْتِيهِ لِلنَّاسِ؛ وَإِنْ ظَنَّهُمُ النَّاسُ ضَعْفَاءَ
لَا يَمْلِكُونَ أَيَّ شَيْءٍ، وَأَعْدَاؤُهُمْ يَمْلِكُونَ مَصَادِرَ الْقُوَّةِ، قُوَّةَ اللَّهِ لَا تَبَالِي

بهذا كله، تنصر الضعيف على القوي، وتنصر القلة على الكثرة، وتنصر الذين لم يتدربوا التدريب الكافي ولم يعدوا أنفسهم الإعداد اللازم، ولم تواتيهم الظروف حتى يحققوا هذا، تنصرهم على الذين معهم الأسلحة والتدريب وكل شيء؛ كما نصر الله أهل بدر، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ليس معهم إلا سبعون بغيراً لا تكفيهم للركوب، كل ثلاثة يتناوبون على جمل واحد، بينما الكفار معهم الكثير من الجمال، كل يوم يذبحون تسعة أو عشرة من الجمال والنوق ليتغذوا بها، هؤلاء يتغذون باللحم، وهؤلاء يتغذون بالتمر، فنصر الله المؤمنين ببدر كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَأَوتَوْكُمُ وَيَأْيدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

نصر الله المؤمنين في غزوة بدر، وانكسروا بعدها في غزوة أحد، لكنهم وإن انكسروا في هذه المعركة، وفقدوا فيها سبعين من الصحابة: من أمثال حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وأنس بن النضر، وهؤلاء الأبطال، ولكنهم لم يستسلموا، دعاهم النبي ﷺ عقب غزوة أحد: أَنْ يَخْرُجُوا لِيَتَعَقَبُوا الْمُشْرِكِينَ ويروهم أنهم لا زالوا أقوياء، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فَنَقَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وانتصر المسلمون في غزوة الخندق رغم حضور الجَم الغفير من

المشركين: قريش ومن ومعها ومن وراءها، وغطفان وقبائل العرب في البادية، ومن معهم ومن وراءهم، عشرة آلاف من المقاتلين المجهّزين بكل سلاح، جاؤوا إلى المدينة التي يسكنها الرسول وأصحابه يريدون أن يستأصلوهم، ويقضوا عليهم قضاءً مُبرماً، خصوصاً أن اليهود زعموا لهم أنهم معهم، وأنهم سيكونون جميعاً ضد المسلمين، ولكن الله ﷻ كذب هؤلاء، وانتصر المسلمون بغير معركة، كما قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمَّا نَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

نصر الله المسلمين في غزوات كثيرة، منها غزوة الحديبية، نصر الله المسلمين بالصلح، فوفق الله رسوله أن يصطلح مع هؤلاء الكفار ويقبل بما قالوا من شروط، حتى إن سيدنا عمر قال: لماذا نرضى بهذه الشروط. ولكن النبي ﷺ علمه أن الله تعالى لن يخذل رسوله ولن يخذل المؤمنين^(١)، وانتصر المسلمون في هذا الصلح، وسماه القرآن فتحاً، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ - ٣].

ونصر الله المؤمنين في فتح مكة النصر العظيم، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، ونصر الله المؤمنين في غزوة حنين بعد أن انهزموا أولاً، ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمُ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

(١) رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان.

الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿[التوبة: ٢٥، ٢٦]، غزوة حنين من الغزوات التي نزلت فيها الملائكة، كما نزلت في غزوة الأحزاب، وكما نزلت في غزوة بدر، يُنزل الله الملائكة عندما يحتاج إليها المؤمنون، نصر الله يؤتيه من يستحقه من عباده.

إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ:

ونصر الله إذا آتاه عباده فلن يغلبهم أحد، إذا كان الله هو الذي يُدير المعركة فمن يستطيع أن يهزم الله؟ في حرب قريش مع الرسول وأصحابه، احتجزوا بعض المسلمين، وكانوا في طريقهم إلى المدينة، ولم يخلوا سبيلهم حتّى أعطوهم عهد الله وميثاقه: أنّهم يريدون المدينة ولن ينضموا لجيش محمد؛ فأخبروا الرسول ﷺ بذلك، فقال لهم: «نوفي لهم بشرطهم، ونستعينُ الله عليهم»^(١). المسألة ليست مسألة عدد ولا عُدّة، إذا كان الله معنا؛ فما لأحد بحرب الله من طاقة، وإذا لم يكن الله معنا فنحن مغلوبون ومهزومون.

كان المسلمون مع الله فكان الله معهم، ومن كان الله معه فلن يُخذل أبداً، هذه قاعدة أساسية، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وهكذا انتصر المسلمون الذين كانوا أقلّ عدداً وأضعف عدداً وأضعف استعداداً، والمشركون كانوا هم المتمكنين، ولكن الله ﷻ أيد المؤمنين بروح من عنده، وبجند من جنده، فكانت لهم اليد الطولى، وكانت لهم الغلبة على هؤلاء المشركين الضالين، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٧)، وأحمد (٢٣٣٥٤)، عن حذيفة بن اليمان.

معاركنا مع اليهود:

وهذا ما كان بيننا وبين اليهود أيُّها الإخوة، لقد كُتب على أمة الإسلام في هذه الأزمنة الأخيرة أن تدخل معركة مع اليهود، كان اليهود طوال العصور الماضية مغلوبين مخذولين مُقاتلين من أنحاء العالم، قاتلوا المسلمين حينما بُعث الرسول ﷺ، وكانوا في يثرب: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، هذه القبائل القوية التي أصبحت تملك السلاح والحصون، كذبوا رسول الله ﷺ، لم يؤمنوا به.

وحينما هاجر الرسول إلى المدينة عقد معهم اتفاقية: أن يكونوا معًا في السراء والضراء، إذا دخل الرسول في حرب واحتاج إلى رجال ينصرونه، وإلى مال يقويه، وإلى سلاح يفتقر إليه أمدوه بهذا كله، ولكنهم سرعان ما نقضوا هذا العهد، وكان أول من نقضه بنو قينقاع بعد غزوة بدر، ثم بنو النضير بعد غزوة أحد، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢].

وقف هؤلاء ضد الرسول فأجلاهم عن المدينة، ثم وقف بنو قريظة ضده في غزوة الخندق، وتحالفوا مع الأحزاب: قريش، وغطفان، وأحابيشهما، على الرسول، في أشد الأوقات؛ ليكونوا جميعًا ضد الرسول ﷺ ويستأصلوا المسلمين؛ فلا يبقوا لهم من باقية، ولكن الله خذلهم، وكذب أمانيتهم، وكانوا هم المغلوبين.

ثم دارت عجلة التاريخ، وسكنوا أوروبا التي أخذ أهلها يطردونهم منها؛ فلا يجدون إلا بلاد الإسلام هي التي تسعهم، وأصبحوا بعد ذلك

في ذمة المسلمين، من أهل الذمة، أي لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد المؤمنين، في حماية المسلمين.

قيام الكيان الصهيوني:

ثم في المدة الأخيرة وجدوا من الرجال من يريدون أن يعيدوا التاريخ إلى الوراء، هرتزل ومن معه: أقاموا مؤتمرًا سنة ١٨٩٧م. وقال في هذا المؤتمر: سأقيم بعد خمسين سنة دولة إسرائيل. ولم يكن عنده شيء إلا أنه جمّع اليهود، وحين تجمعت فئة منهم، من كبارهم ومن أهل الرأي فيهم اعتقد أنه انتصر، وفعلاً بعد خمسين سنة قامت دولة إسرائيل، ظللنا ننكر دولة إسرائيل ونقول: إسرائيل المزعومة. كانت الصحف في مصر وفي البلاد العربيّة حينما تذكر إسرائيل تكتب بين قوسين (المزعومة)، ثم أصبحت هذه المزعومة تضرب هذه الجبهة، وتركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الدولة، وتقتل من رجال هذه الدولة؛ فأصبحنا نحن المزعومين وليسوا هم!

معاركنا الحديثة مع اليهود:

دخلنا مع اليهود في معارك، معركة سنة ١٩٤٨م. التي فقد الفلسطينيون فيها أكثر بلدهم، لم يرضوا بما قرره التقسيم ثم رضوا بعد ذلك بأقل ممّا جاء به التقسيم، خرج الفلسطينيون من ديارهم بعد أن قتل اليهود ما قتلوا، وفعلوا الأفاعيل بالرجال والنساء، والشيوخ والأطفال؛ بل عبثوا ببطون الحوامل، أخرجوا الأجنة من بطون أمهاتهم، وظلّوا يلعبون بها أمام أمهاتهم ويضحكون، أثاروا الفزع في قلوب الناس؛ فخرج الناس من ديارهم أمام هذا الرعب، وكان هذا خطأ تعلّم منه الفلسطينيون بعد ذلك

ألاً يخرجوا من ديارهم مهما حدث، نُقتل في ديارنا، نموت فيها، تصبح هي قبورنا ولا نتركها، ولكن هذا ما حدث، تُركت لهم البلاد، وأصبح الفلسطينيون مشردين، كانت هذه أوّل حرب، الحرب الأولى، حرب ١٩٤٨م. ولا زال بعض بقايا أهل ٤٨ في داخل ما سُمي إسرائيل الآن.

وجاءت بعد ذلك حرب ١٩٥٦م. فانهزمت مصر فيها، دخلت مصر أربع حروب، انهزمت في ثلاث منها وانتصرت في واحدة، انهزمت في ١٩٤٨م. وانهزمت في ١٩٥٦م. وانهزمت في ١٩٦٧م. وانتصرت في ١٩٧٣م.

في سنة ١٩٦٧م كان الجيش المصري مشغولاً بالسياسة، كان القائد العام للجيش المصري عبد الحكيم عامر وضباطه الكبار ورجاله مشغولين بالسياسة، ونسوا الجيش، ودخلت عليهم الجواسيس: إيلي كوهين وأمثاله، ولعبوا بهم، وفي يوم ٥ حزيران يونيو ١٩٦٧م. دبّروا الأمر، وكان الآخرون في تلك الليلة ساهرين مع المغنيات والممثلات والمطربات، وفي صباح اليوم ضرب العدو المطارات المصرية ضربة قاضية، لم تُبق لها من باقية، حدث هذا في ست ساعات، هم قالوا: إنّها حرب الأيام الستة. والحقيقة أنّها حرب الساعات الستة، ففي الساعات الست الأولى انتهت المعركة، وانتشر هؤلاء اليهود، لأنّه بعد ضرب المطارات لم تعد لك قدرة على أن ترسل طائرات لها قيمة تستطيع أن تمد جيوشك وتغطيهم هناك على القرب من مواقع العدو.

انتصر هؤلاء في حرب الساعات الستة، وظلّوا في الأيام الأولى يللمون ويأخذون ما استطاعوا من أرض مصر وأرض سوريا، وأخذوا فلسطين كلها، كل ما بقي منها أخذوه، حتّى القدس، وظلّوا يعبثون بهذه البلاد.



نصر العاشر من رمضان:

وفي سنة ١٩٧٣م. في أيام الرئيس السادات أراد المصريون أن ينتصروا لأنفسهم، وكانت هناك حملة للإيمان، للرجوع إلى الدين، للرجوع إلى الله، وانتشر ذلك في ضباط الجيش وجنوده، واستعانوا بالوعاظ وبرجال الإسلام، يدخلون الجيش، وأصبحت هناك قوة إيمانية، واستطاعوا أن يصنعوا أشياء جديدة يمكنهم أن يعبروا بها القناة، ولذلك سموها هذا اليوم (يوم العبور)، عبروا القناة في عيد من أعياد اليهود - وهم غافلون في هذا العيد - وضربوا العدو ضربتهم الأولى، وكانت موفقة، استطاعوا أن يعبروا القناة، وأن يضربوا السد اليهودي، وأن يقتلوا من اليهود ما استطاعوا.

كان هذا هو النصر الأول لهؤلاء المصريين الشرفاء في يوم السادس من أكتوبر، العاشر من رمضان، هذه الحرب مشهورة عندنا بحرب السادس من أكتوبر، ولكن أكتوبر لم يكن له أي إحياء إلى الناس، إنما الذي كان له إحياء إلى الجنود هو شهر رمضان، كان الجنود فيه صائمين قائمين لله، بعض الجنود المصريين لم يقبل أن يفطر؛ حتى يرفع العلم المصري على القناة بدل العلم الإسرائيلي، فكان لرمضان إحياءه لهؤلاء الجنود والضباط، ولكن الناس كانوا يقولون في هذه الحرب: الله أكبر. كانت أغنية الجيش وأنشودة الجيش هي (الله أكبر)، ولذلك انتصرت (الله أكبر) على هؤلاء الذين جندوا ما جندوا، وجيشوا ما جيشوا، وسلحوا جنودهم بما سلحوا، انتصر المصريون في هذا اليوم بقوة الله تبارك وتعالى، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٢، ١٧٣].

لا يمكن أن يهزمنّا أحد إذا استعنا بالله، وانتصرنا بالله، أمّا أن تنتصر بالغربيين: بأوروبا، أو بأمريكا، أو بروسيا، أو بأي إنسان؛ فلن ينصرک،

الله وحده هو الذي ينصر المؤمنين، ولذلك انتصر أهلونا وإخواننا في هذه الحرب، قُتل مَنْ قُتل من الشهداء، وإن كان القتلى أقل ممّن كانوا في حرب ١٩٦٧م. ولا بدّ للحرب من شهداء كما قال الله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٧].

إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ:

هكذا كل من ينصر الله وَجَّهًا، ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، كيف ننصر الله؟ ننصره بإفناذ أحكامه وتعاليمه، لا ننقض عهده، أن نكون كما أرادنا محبين له، عاملين في سبيله، مخلصين لوجهه، هكذا يكون المؤمنون. انتصر المؤمنون في العاشر من رمضان، أو في السادس من أكتوبر على قدر ما كان معهم من إيمان، الله تعالى يقول لك: أعطني إيمانا أعطك نصرا. على قدر ما معك من إيمان يعطيك الله النصر، ولذلك انتصرنا انتصارا جزئيا، بعد ذلك حدثت الثغرة، واستدار علينا اليهود من ناحية أخرى، واستطاعوا أن ينتصروا علينا فيما بعد! على قدر ما معنا من إيمان نتصر، وعلى قدر ما ننصر الله ينصرنا الله، ولذلك نحن نعتز بنصر الله لأمتنا في يوم العاشر من رمضان، هذا من أيام النصر العزيزة لهذه الأمة، ينبغي أن نعتز به.

تماسكت الأمة العربيّة، وتماسك الشعب المصري برجاله ونسائه، وجنوده وأفراده، عسكريين ومدنيين، كان الشعب كله وراء هذا النصر، بخلاف ما كان عليه النَّاس سنة ١٩٦٧م. كان بعض النَّاس يخافون أن ينتصر عبد الناصر فتنتصر معه الدكتاتورية، وينتصر الاستبداد، وتنتصر



الغلبة على الشعب، أمّا في هذا الوقت فكان النَّاس يقولون: يا رب انصر الجيش، انصر جيشنا. وهكذا إذا كانت الجيوش مع الشعوب فإن الشعوب تدعو الله لها أن ينصرها، أمّا إذا خانت الجيوش الشعوب فهذه هي المصيبة!

ندعو الجيش المصري أن يكون مع الشعب:

ولذلك نحن ندعو جيشنا في مصر أن يكون مع الشعب، لا يكون ضد الشعب، حينما يكون الجيش ضد الشعب؛ فإنه لا يدعو الله له، بل يتمنى له الهزيمة، لأن انتصاره سيكون انتصارا على الشعب، إذا كان الجيش ضد الشعب كما رأينا أيُّها الأخوة، رأينا الجيش المصري الذي نصره الشعب المصري، ونصره الشعب العربي كله، ونصره المسلمون في كل مكان، في حرب العاشر من رمضان، هذا الجيش يقتل النَّاس بالآلاف، الَّذِينَ كانوا في ميدان رابعة العدويّة، وَالَّذِينَ كانوا في ميدان النهضة، وَالَّذِينَ قُتِلُوا أمام الحرس الجمهوري، وَالَّذِينَ قُتِلُوا أمام المنصة في شارع النصر، وَالَّذِينَ قُتِلُوا في محافظات شتّى في مصر، إذا كان الجيش يقتل النَّاس؛ فكيف يكون النَّاس معه؟ هذا الجيش الذي يقتل النَّاس لا بدّ أن يقاومه الشعب، نحن نربأ بجيش مصر أن يقتل النَّاس.

وأنا أرى أنّ الجيش المصري في أغلبته جيش مع الشعب، رأيت كثيراً من الجنود والضباط والتقيت بهم، أراهم كلهم مخلصين، ولكن هناك فئة يغريها هؤلاء النَّاس بالأكاذيب وبالنقود: أن يكونوا ضد الشعب، وأفهموهم أشياء كاذبة وخاطئة ليس لها أساس، أن هؤلاء معهم أسلحة، معهم مدافع، معهم قنابل، معهم سلاح أبيض، وهذا كله كذب وافتراء، ظهر هذا الافتراء حينما دخلوا هذه الأماكن وقتلوا أهلها، قتلوا

الآلاف منهم، ولم يجدوا مع أحد منهم أي سلاح، حاولوا بكل الأكاذيب التي يتقنونها أن يدخلوا سلاحًا فلم يقبلوا، حتّى مع سيارة إسعاف تدخل تنقذ هؤلاء بشرط أن يعطوها سلاحًا، بعضهم رفض فلم يسمحوا لها بالدخول، وبعضهم قال: ضعوه. حتّى ينقذ الناس، ليقولوا: إن هذه الأسلحة تقتل الناس.

ولكننا رأيناهم كلنا أيديهم كلها مرفوعة إلى السماء خالية من أي شيء، والله ما رأينا معهم مدفعًا ولا بندقية ولا مسدسًا، ولا سيفًا ولا سكينه ولا حتّى حجرًا، يشهد الله، ويشهد المؤمنون، ويشهد الذين رأوا هؤلاء الناس: أنّهم لم يكونوا مسلحين، وفوق ذلك أن كل من كان يدخل هذه الميادين يفتشه القائمون عليها؛ حتّى لا يدخل أحد ومعه شيء خفية، يفتشون كل من يدخل حتّى يطمئنوا أنّ المتظاهرين كلهم مسالمون، للأسف الجيش المصري قتل هؤلاء المتظاهرين، وقتل بعد ذلك أناسًا في مسجد الفتح، وخرّب المسجد، رأيتم مساجد الله التي يُذكر فيها اسمه! هؤلاء خربوا المساجد، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤]، هؤلاء سعوا في خراب المساجد، لا يزال مسجد رابعة لا يصلح للصلاة، هؤلاء ارتكبوا ما ارتكبوا.

يا جيش مصر، يا أبناء الجيش، يا جنود مصر الأوفياء المخلصين لله، لا تصدقوا ما يقوله زعماءكم، هم كذّابون والله كما يكذب الإعلام المصري، الإعلام المصري الآن يفترى أكاذيب على الله، وعلى عباد الله، كل ما يقوله كذب، ولذلك من يرى هذا الإعلام ويشاهد القنوات التي تذيع الواقع، تذيع ما يحدث: يرى أن هؤلاء كذّابون.

لا تصدقوا أيُّها الجنود وأيُّها الضباط ما يقوله القادة لكم، إنَّهم يفترون على النَّاس الكذب، سئل النبي ﷺ: أَيْكون المؤمن جباناً؟ قال: «نعم». قيل: أَيْكون بخيلاً؟ قال: «نعم». قيل: أَيْكون كذاباً؟ قال: «لا»^(١). يمكن أن يكون عند المؤمن ضعف، يبخل بماله، أو يجبن بنفسه، أمَّا أن يفتري الكذب فلا، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

أنتم أيُّها الجنود من الشعب:

يا جنود مصر، كونوا مع الشعب، أنتم من الشعب، أبوك وأُمُّك وأختك، وخالك وخالتك، وابن خالك وابن عمِّك وابن عمَّتكَ، وابن حارتك وصديقك، وكل النَّاس من حولك، كل هؤلاء هم الشعب؛ لا تقتل هؤلاء، هؤلاء يريدونك أن تقتلهم، حرام عليك يا جندي مصر كل الحرمة، أقول هذا ومعني آلاف العلماء في مصر وفي بلاد العرب وفي بلاد العالم كله يقولون هذا: حرام عليك أن تقتل هؤلاء الناس.

لا تقل: إن ولي أمري أمرني. ليس من حقه أن يأمرك: أن تقتل إنساناً في غير الميدان، الذي تقتل فيه أعداءك، أقتل ابن شعبك، ابن بلدك؟! أقتل ابن أخيك وابن عمك؟! هذا حرام، حرام عليك أن تقتل مسلماً بغير حق، النبي ﷺ يقول: «لِزوال الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»^(٢). والقرآن يقول: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. والنبي ﷺ

(١) رواه مالك في الكلام (٣٦٣٠)، تحقيق الأعظمي. وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٥٣/١٦): لا أحفظ هذا الحديث مسنداً بهذا اللفظ من وجه ثابت، وهو حديث حسن. عن صفوان بن سليم، مرسلاً.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٦.

يقول: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه؛ حتى يسفك دمًا حرامًا»^(١). يضيق عليه دينه، وتضيق عليه الأرض بما رحبت!

فيا أيها الجندي المصري لا تقتل مصريًا أبدًا، إن كان ولا بد فاقتل الذين يعتدون على أرضنا وعلى عرضنا، وعلى أبنائنا وعلى إخواننا، أمّا الذين لم يقتلوا أحدًا كيف تقتلهم؟ هؤلاء قتلوا الناس، قتلوهم بأسلحة الجيش الثقيلة المتطورة، قتلوهم قتلاً، وأحرقوا من أحرقوا، ودفنوا من دفنوا في مقابر جماعية لم تُعرف بعد، سيكشفها التاريخ، ولكن لا يزال حوالي ألف شخص يبحثون عن آبائهم وأبنائهم وإخوانهم؛ فلا يعرفون أين هم، غير الأربعة الآلاف الذين قتلوهم، وغير عشرين ألفاً أصابوهم وجرحوهم، وغير أكثر من عشرة آلاف اعتقلوهم!

هؤلاء النَّاس فعلوا الأفاعيل والله، في أسابيع معدودة فعلوا ما لم يفعله عبد الناصر، وما لم يفعله السادات، وما لم يفعله مبارك في ستين عامًا، في عدة أسابيع ارتكبوا من الفظائع والمظالم في حق هذا الشعب المسكين الذي فرح بثورته، لم يكذب فرح بثورته، بمجرد أن انتصرت هذه الثورة بدؤوا يعدون العدة لإفشالها، لا تظنُّوا أن هذا الأمر جاء عفواً، لا، بل أعدَّ له، وتكشف الأيام في الفيديوهاَت التي تدل على أن في الجيش المصري أناسًا مخلصين، يجلس السيَّسي وأمثاله مع الضباط ويظن أنَّهم كله معه؛ فإذا ببعضهم يكشفهم ويرينا ماذا قال هؤلاء، من شهر ديسمبر الماضي قبل أن يحدث ما حدث، وهؤلاء النَّاس يُدبِّرون لأمر؛ ألا يفرح الشعب بثورته.

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر.

لم يعاونوا مُحَمَّد مرسى، قالوا: مُحَمَّد مرسى فشل. والله ما فشل، لقد عمل أشياء كثيرة رغم أن وزير الدفاع لم يعاونه، ووزير الداخلية لم يعاونه، ووزير الخارجية لم يعاونه، كل هؤلاء الناس كانوا ضده، فبمن يشتغل؟ إذا لم يكن معي رجال فبمن أشتغل؟ ومع هذا فعل أشياء كثيرة، ولم يكن راضيًا عن نفسه، كان يريد أن يفعل أكثر وأكثر إذا وجد الرجال، الإنسان ينتصر بمن معه، الله تعالى قال لرسوله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. بنصر الله وبالمؤمنين، بغير المؤمنين لا يمكن أن يفعل شيئًا.

وأنا أقول: مُحَمَّد مرسى، الرجل المظلوم الذي ظلمه هؤلاء الناس وافتروا عليه، والله إنه لمن خير الرجال، ويوم يجد جؤًا يعمل فيه، ويجد أناسًا يعينونه سيفعل كل خير لمصر، مصر تحتاج إلى الرجال المؤمنين. وعلينا أن ننصر هؤلاء الرجال، وندعو المصريين كل المصريين أن يقفوا مع هذا الرجل، وينادوا بعودته، لا بد أن يعود، لا يمكن أن يصلح حال مصر إذا ظل هؤلاء يحكمونها، سينفقون الأموال والمليونات والمليارات بعد المليارات، ولن يفلحوا أبدًا، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، المفترى يخيب ولا يفلح أبدًا، هؤلاء مفترون على الله، ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، جبابرة معاندون لله ولرسوله وللمؤمنين: لا يمكن أن يفلحوا أبدًا.

ندعو المصريين جميعًا أن يخرجوا من بيوتهم، يحتفلوا بهذه الذكرى: ذكرى العاشر من رمضان، أو السادس من أكتوبر، يخرجوا من بيوتهم في هذا اليوم يوم الجمعة، وفي يوم السبت في الغد، وفي يوم الأحد يوم السادس من أكتوبر نفسه، يخرجوا في هذه الأيام الثلاثة معبرين عن أنفسهم.

معظم الشعب المصري مع مُحَمَّد مرسى، لماذا لا يخرج الناس؟
والذين يؤيدون هؤلاء الظالمين قلة قليلة، وكل يوم ينكشف لهم أنهم
خادعون زائفون؛ إلا أصحاب المصالح، والذين عميت قلوبهم، فهؤلاء
لا ينتظر منهم خير إلا أن يأذن الله وَجَّكَ، ندعو المصريين جميع المصريين
أن يخرجوا بأنفسهم وأولادهم، برجالهم ونسائهم، كل من يقدر وليس
عنده عذر صحي يخرج، اخرج من الشارع فترة من الفترات، أيّد هؤلاء،
الله تعالى يطالبك بأن تنصر الحق، نصر الحق الآن يتطلب منك أن تخرج
من بيتك، أعلن فقط أنك مع هؤلاء.

إذا كثر هؤلاء في الشوارع والله سينهزم أولئك في الغد، في يومها
سينهزمون، اخرجوا يا مصريون، لا تخافوا إلا الله، الله معكم ولن يتركم
أعمالكم، ثقوا أنكم منصورون؛ لأنكم أصحاب الحق، وهم أصحاب
الباطل، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]،
﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينصر أمتنا على أعدائها، وأن يجمع كلمة
أبنائها على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة،
وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل، ادعوا ربكم يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

العمل الصالح في عشر ذي الحجة:

في الأيام القادمة، بعد غد الأحد السادس من أكتوبر سيكون أول أيام شهر ذي الحجة، وهو شهر عظيم من الأشهر الحُرُم، كما أنَّ شهرنا هذا من الأشهر الحرم: شهر ذي القعدة، وشهر شوال من الأشهر الحرم، الشهر الذي قتل فيه الجيش المصري من قتل من الأشهر الحرم، حرَّم الله فيها القتال حتَّى مع المشركين، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ [المائدة: ٩٧]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، هؤلاء قتلوا النَّاس في الشهر الحرام، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

ونحن ندعو إخواننا في شهر ذي الحجة: أن يحرصوا على العشر الأوائل في هذا الشهر، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و﴿لَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢]، كثير من المفسرين يقول: هذه الليالي العشر هي ليالي عشر ذي الحجة.

والنبي ﷺ دعانا إلى أن نحتفل بهذه الليالي فقال: «ما من أيام العمل الصالح فيهنَّ أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر». قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج

بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»^(١). فيكون العمل في هذه الأيام لا يعادله شيء، ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بفرسه، فيعقر فرسه وهو يُستشهد، ذهب بالنفس وبالمال، فهذه أيام مباركة، ولذلك قال: «فأكثرُوا فيهنَّ من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير»^(٢). قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وهناك تكبير مخصوص يبدأ من أول يوم عرفة إلى اليوم الرابع من عيد الفطر، والصيام مطلوب في هذه الأيام، وخصوصًا الأيام التسعة، اليوم العاشر هو يوم العيد، والصيام فيه حرام، والترغيب في صيام يوم عرفة مطلوب مرغوب؛ إلا من كان واقفًا في عرفة، الذي يحج أحسن له ألا يصوم حتى يتقوى على الوقوف والدعاء وذكر الله وَجَلَّ.

أمَّا فضل هذا اليوم؛ فإن النبي ﷺ قال: «أحتسب على الله في يوم عرفة أن يكفر السنة الباقية، والسنة المُستقبلَة»^(٣). فضُم يوم عرفة، ومن استطاع أن يصوم التسعة الأيام كلها فليفعل، والمرأة تصوم بإذن زوجها، ومن لم يكن عليه حرج في الصيام فليصُم، والأيام هنا ليست طويلة، ويستطيع الإنسان أن يصوم في هذه الأيام.

صوموا في هذه الأيام، وادعوا الله تبارك وتعالى، خصوصًا عندما تفطرون، «ثلاثة لا تُردُّ دعوتُهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر،

(١) رواه البخاري في الجمعة (٩٦٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبراني (٨٢/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٩٣٢): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترعيب (١٢٧/٢)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في الصوم (١١٦٢)، وأحمد (٢٢٦٢١)، وأبو داود (٢٤٢٥)، والترمذي (٧٤٩)، والنسائي في الكبرى (٢٨٢٦)، وابن ماجه (١٧٣٠)، أربعتهم في الصوم، عن أبي قتادة.

ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتِي، لأنصرتك ولو بعد حين»^(١)، ادعُ الله لنفسك، وادعُ الله لأولادك، وادعُ الله لإخوانك ولأقاربك، وادعُ الله لجيرانك، وادعُ الله لكل من تحبُّ.

ادعُ الله للأُمَّة الإسلاميَّة، ادعُ الله لأهل لمصر، ادعُ الله لأهل سوريا الذين يقاتلون للعامَّ الثالث، قدموا ما قدموا، أكثر من مائة ألف قتيل، وعشرات الآلاف من الجرحى، وملايين المشردين في الأرض، أهل سوريا إخواننا، ادعُ الله لهؤلاء.

وادعوا الله لإخوانكم في العراق، الذين يقاتلون من يقاتلون، الذين يريد المالكي وأمثاله ألا يبقوا لهم من باقية، ويرتكبون فيهم المظالم، التي يعرفها الله تعالى ويعرفها الناس.

وادعوا الله لإخوانكم في فلسطين، التي يتآمر عليها المتآمرون، والتي يفترى الحُكَّام المصريُّون الحاليُّون على أهل غزّة، ويتحكمون فيهم، لا يريدون أن يسمحوا بالخروج لمن تناديه جراحاته وآلامه؛ ليذهب إلى الأطباء، وتناديهم حاجتهم ليجلبوا القوت لهم ولأولادهم، يتحكمون في هؤلاء الناس، سيحكم الله فيهم وهو خير الحاكمين.

وادعوا الله لإخوانكم في تونس، وإخوانكم في ليبيا، وإخوانكم في اليمن، وإخوانكم في الأردن، وإخوانكم في إيران، وإخوانكم في لبنان، وإخوانكم في باكستان، وإخوانكم في أفغانستان، وإخوانكم في بنجلاديش، وإخوانكم في الصومال، وإخوانكم في أثيوبيا، وإخوانكم

(١) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

في إريتريا، وإخوانكم في نيجيريا، وإخوانكم في المغرب، وإخوانكم في السودان، وإخوانكم في الجزائر، وإخوانكم في كل بلاد العرب والمسلمين، ادعوا الله للمسلمين، ادعوا الله لأُمَّة الإسلام أن يخرجها من هذا الضيق، أن يكشف عنها الغم، ويفرج عنها الكرب، وأن يعيد إليها دينها ويحييها به.

هذه الحروب أيُّها الإخوة ضد الأُمَّة الإسلامية، يُراد للأُمَّة الإسلامية ألا تتمسك بالدين، كل هذه الحروب والمعارك يقيمها أعداء الإسلام في الخارج وفي الداخل، يستعينون بالمنافقين من أهل الداخل؛ حتى لا تقوم للإسلام قائمة، ولا يكون له رجال، حرام عندهم أن يوجد رئيس ملتج، يرون هذا بلوى ومصيبة، لماذا لا يكون لمصر رئيس ملتج؟

وكما يقول الذين فضحتهم بعض الفيديوهات: مصر علمانية بالفطرة. بالعكس مصر إسلامية بالفطرة، ليست علمانية، كل المصريين يؤمنون بالله، والله هو ربُّ النَّاس، ملك النَّاس، إله النَّاس، هو ملك النَّاس يحكم النَّاس بشرعه، لماذا ترفضون شرع الله؟

ادعوا الله أن يؤيِّد أهل مصر، ويؤيد المؤمنين في كل مكان، وأن يعيد لهم الكرامة، وأن ينصر الله المؤمنين على أعدائهم.

اللهم انصُرنا ولا تخذُلنا، واجمعنا ولا تُفرِّقنا، وقربنا ولا تباعدنا، اللهم هَيِّئْ لنا من أمرنا رشداً، ربَّنَا اغفرْ لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبَّتْ أقدامنا، وانصُرنا على القوم الكافرين، ربَّنَا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربَّنَا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، واعفُ عَنَّا، واغفرْ لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصُرنا على القوم الكافرين.



رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَافْغِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، اللَّهُمَّ هَيِّئْ الْخَيْرَ
 لِهَذِهِ الْبِلَادِ، وَآمِنْ أَهْلِهَا فِي أَوْطَانِهَا، وَاجْعَلْ وَلَايَتَنَا فِيْمَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ
 وَاتَّبَعَ رِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ وَلِّ أُمُورَنَا خِيَارَنَا، وَلَا تَوَلِّ أُمُورَنَا
 شَرَارَنَا، وَارْفَعْ مَقْتَكَ وَغَضَبَكَ عَنَّا، وَلَا تَهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، رَبَّنَا
 اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



المجرمون في القرآن الكريم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نتحدّث حول موضوعات القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو خاتمة الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى على رسله لهداية عباده، هو الكتاب الخاتم والكتاب الجامع، فيه هدى للناس، وفيه البينات، وفيه القيم والمعايير لكل ما يحتاج إليه البشر، ومن ذلك أن فيه صفات أهل الإيمان، وصفات أهل الكفر، وصفات أهل النفاق، يميز القرآن صفات هؤلاء عن هؤلاء، عن هؤلاء.

ولذلك من الناس الذين اهتم القرآن بأن يبين لنا أمرهم وصفاتهم ونهايتهم وما هيا لهم من عذاب: هؤلاء الذين سماهم القرآن (المجرمين)، كلمة المجرم في الإحساس الاجتماعي العام عند الناس كلمة ذات وقع كبير، حينما تسمع كلمة (مجرم) يهتز لها قلبك، ويهتز لها بدنك.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م.

هذا المجرم هو الذي ارتكب الموبقات، الذي لم يبالِ بدماء الناس، ولا بأموال الناس، ولا بأعراض الناس، ولا بحُرَمات الناس، لا يبالي بالكبار ولا بالصغار، لا بالشيوخ ولا بالأطفال، لا بالرجال ولا بالنساء، فلهذا يسميه النَّاسُ مجرمًا. والقرآن الكريم يتفق مع ما امتلأت به فطر الخلق: من أنَّ المجرم هو إنسان شرير، يجب أن يحذر النَّاسُ منه.

ولذلك صَوَّرَ لنا القرآن المجرمين أنَّهم في خطر شديد، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ * لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٨].

هؤلاء المجرمون أعد الله لهم عذابًا شديدًا في نار جهنم؛ لأنهم الذين وقفوا ضد رسالات السماء، ضد دعوات النبيين، ضد ما أرسل الله به الرسل إلى عباده، وما أرسلهم إليهم إلا بالهدى ودين الحق.

رسل الله جاؤوا بالتوحيد والعدل:

وبماذا جاء رسل الله إلى الناس؟ جاؤوهم بالتوحيد الذي يطرد الوثنيَّة، ادعاء آلهة مع الله، ليس مع الله إله، الله وحده هو المعبود الحق، فجاء الرسل بالتوحيد.

وجاء الرسل بعبادة الله، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي هو المعبود الحق والمستعان الحق، أن تعبد الله وتستعين على عبادته وعلى غيرها بالله، فهو المعبود المستعان، وعبادة الله شملت التشريعات

للخلق، وبيان الحلال من الحرام، وبيان الهدى من الضلال، وبيان الحق من الباطل، وبيان الصلاح من الفساد، وبيان الخير من الشر.

وجاءت الرسل ببيان التشريعات العظمى للمجتمعات، وللأُمم وللإنسانية كلها، تشريعات الله جاءت بالحق وبالعدل، لا يوجد شرع بعث الله به رسولاً من رسله يدعو الناس إلى الظلم، كلا، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ما هو القسط؟ القسط: هو العدل الذي تتوازن به الأمور، ولذلك أنزل الكتاب والميزان، الكتاب نص إلهي، والميزان عمل عقلي، لا بدّ من عمل العقل مع عمل النقل، ولذلك قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. أنزل الله مع الرسل الكتب والموازين ليقوم الناس بالعدل.

جاءت الرسل بالعدل، كما جاءت بالعقائد الصحيحة، وبالشرائع العادلة، وبالأخلاق المبينة للناس الخير من الشر؛ ليسلك الناس سلوكهم على بيّنة وعلى نور. فالمسلم المؤمن بكتاب الله وبسنة رسوله، يمضي على طريق بيّن واضح، أموره ليست ملتبسة، لا، بل يعرف الحلال من الحرام، يعرف الهدى من الضلال، يعرف الخير من الشر، هذا شأن الإنسان المؤمن.

أمّا شأن الإنسان المجرم؛ فالأمور ملتبسة عليه، ولذلك لا بدّ لله تبارك وتعالى أن يبين لهؤلاء المجرمين أن طريقهم طريق باطلة، وقد بين الله ذلك فقال: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]. لا بدّ أن تستبين سبيل المجرمين، من الذي بينها؟ الله هو الذي بينها بآيات كتابه، وبأحكامه العادلة، وبما جاء به رسوله ﷺ، وبما شرّحه

العلماء وفسروه، لا بدّ أن يكون أهل الإجماع عارفين أن طريقهم طريق شر، كما يبين ذلك لأهل الحق، أهل الحق يعرفون أن طريقهم طريق حق، وطريق خير، وطريق هدى ورشد.

ليس شيء غائباً عن الناس، مهمة الرسل هي البيان، القرآن سمي نفسه بياناً للناس، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أرسل الله رسله بالبينات، بالأمور الواضحات الظاهرات، ليس هناك شيء خفي على الناس، ليس في الإسلام ألغاز لا يفهمها البشر، أو شيء لا يستطيع الإنسان أن يفهمه؛ كما يفعل بعض الفلاسفة، يقول: أنا أريد أن ألغز كلامي حتّى لا يفهمه العامة.

ولكن القرآن أنزل كلامه بيّناً يفهمه العامة والخاصة، كل من قرأ القرآن يفهم منه على قدر واديه، ﴿فَسَأَلْتُ أَودِيَةَ بِقَدْرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، هناك وادٍ واسع، ذو فهم كبير، وراءه ثقافة واسعة، يفهم من القرآن أكثر ممّا يفهمه الشخص العادي، ولكن الشخص العادي حينما يسمع القرآن يعرف بقدر واديه.

المسلمون ليسوا كالمجرمين:

يقول الله تعالى: ﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ [القلم: ٣٥، ٣٦]. لا يمكن أن يجعل الله المسلمين كالمجرمين، لا بدّ أن يبين من هو المسلم ومن هو المجرم، هكذا يبين الله تبارك وتعالى، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]، يبين من هم الذين آمنوا ومن هم الذين كفروا.

ثم يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. المجرمون الذين يعتدون على حرّمات الناس،

وعلى أعراض الناس، وعلى أرواح الناس، وعلى ممتلكات الناس، وعلى كل ما يقدره الناس، هؤلاء المجرمون لا يتركهم الله، لا يدعهم إلى يوم القيامة، في يوم القيامة هناك حساب، وحساب دقيق، وحساب عسير على بعض الناس، ويسير على بعض الناس، ولكن لا بد لكل إنسان أن يعرف ما له وما عليه.

لا يمكن التحايل على شرع الله:

هناك عدالة الله، عدالة الناس عدالة محدودة، بعض الناس يقول: القانون حمار، أنا أستغفل القانون، وأعمل هذا من وراء القانون. تظهر في أمريكا كتب يؤلفها بعض الناس تحت عناوين: كيف تحتال على القانون؟ تستطيع أن تفعل أشياء وتأكّل بها حقوق الآخرين، ولا يستطيع القانون أن يصل إليك، المهم تعرف هذه الأشياء، أمّا شرع الله لا يستطيع أن تتحايل عليه، لأن عندك ميزان الشرع، وعندك الضمير الديني، وضع الله في صدرك وبين جنبيك ضميرًا حيًّا، يرجع إلى الله في كل شيء، فلا يستطيع هواك أن يضحك عليك، ولا يستطيع شيطانك - ولكل إنسان شيطانه - أن يضحك عليك، يضحك على المنافقين، ويضحك على الغافلين، ولكنّه لا يضحك على المؤمنين، المؤمنون مستيقظون لهذا الشيطان.

أمّا المجرمون فهم الذين يضحك عليهم الشيطان، كما قالوا في الآخرة: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ٩٩ - ١٠١]. المجرمون هم الذين يضلون الناس عن الحق، ويضلونهم عن سواء الصراط، فاحذر من هؤلاء المجرمين.

تأتي الطوائف في الآخرة فتحاول كل طائفة أن تبرئ نفسها،

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلَ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣٢]، المستكبرون العتاة الطغاة الذين يتحكمون في رقاب الناس وفي ضمائر الناس، وفي أعمال الناس وفي أموال الناس: يتبرؤون ممَّن أضلوهم، فيقول الآخرون: أنتم الذين أضللتُمونا وفعلتم بنا كذا وكذا.

المؤمن الصادق لا يستطيع أحد من شياطين الإنس أو شياطين الجن أن يخدعه. وفي كل من الإنس والجن شياطين، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]. من الإنس؛ غير الذين هم من الجن، فهناك مجرمون كثيرون من الجن، وهناك مجرمون من الإنس أيضًا.

احذر من شياطين الإنس والجن:

خلق الله آدم وكان شيطانه من الجن هو إبليس، ولكن سيّدنا إبراهيم كان شيطانه من الإنس هو نمرود، وسيّدنا موسى كان شيطانه فرعون، وهامان، وقارون. وسيّدنا مُحَمَّد كان شيطانه من الإنس غير شياطين الجن أيضًا: أبو جهل، وأبو لهب وهؤلاء، فهناك شياطين من الجن وهناك شياطين من الإنس أيضًا، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

ينبغي لأهل الإيمان أن يستيقظوا لهؤلاء الشياطين من بني الإنس الذين يضلونهم عن سبيل الله، ويغرونهم بكل شر، ويبعدونهم عن كل خير، ويوحون إليهم بكل سوء، احذروا من هؤلاء الشياطين، بعض

السلف كان يقول: شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن، شيطان الجن أَسْتَعِذُ بالله منه فيبعده الله عني، وشيطان الإنس يمسك بي ولا يتركني حتّى يوقعني في الشر^(١). فاحذر من شيطان الإنس، احذر من كل الشياطين أن يضلوك عن سبيل الله.

المؤمن دائماً في الشدائد:

يعيش المؤمن في خمس شدائد: مع كافر يقاتله، ومؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وشيطان يضلّه، ونفس تنازعه، يعيش في هذه المعركة؛ فليحذر المؤمن من المجرمين، والمجرمون حوله في كل مكان، ربّما لا يكون اسمه مجرمًا، قد يكون المجرم شخصًا له قيمة عند الناس: (بيه) أو باشا، أو مدير، أو وزير، أو سفير، أو رئيس، ويكون مجرمًا كبيرًا.

في كل قرية أكابر مجرميها:

الله تعالى حذرنا من أكابر المجرمين فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِهَا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

القرية في القرآن ليست (العزبة) الصغيرة، أو البلدة الصغيرة، لا، المدينة تسمى قرية، وأم القرى مكة، فأكابر المجرمون موجودون في كل قرية، يجتمعون بعضهم مع بعض ليتفقوا على الضلال، ليتفقوا على الشر، ليتفقوا كيف يأكلون الضعفاء من الناس، كيف يعملون على سرقة أموالهم، وعلى اختلاس ممتلكاتهم، يأكلونها من حيث لا يشعرون.

(١) قول مالك بن دينار، انظر: تفسير البغوي (١٥٣/٢)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.

الآخرون، يتفقون مع الحكام المبطلين، يشترون الأراضي من الدولة بغير حقيقتها، بأثمان زهيدة، آلاف الأفدنة يشترونها بالملايين من هؤلاء الحكام، ويجمعون هذه الأشياء ويبيعونها للناس بالملايين!

تجد الشخص منهم في أول حياته لا يملك شيئاً، وبعد مدة تجده يملك عشرات الملايين ومئات الملايين ومليارات، من أين جاء بهذا؟ من أناس مبطلين أخذوا أموال الدولة وباعوها لهؤلاء الناس، كثير من أموال الدولة التي تقدر قيمتها الحقيقية بالمليارات: أضاعها هؤلاء الحكام المبطلون، الذين ابتليت كثير من بلاد المسلمين بهم، الأمة العربية والأمة الإسلامية بالذات مبتلاة بهؤلاء الحكام المبطلين، الذين يبلعون أموال الناس. هؤلاء وحوش مفترسة تأكل البشر، وتأكل الحجر، وتأكل الذهب والفضة، وتأكل الأموال بالباطل، فاحذروا هؤلاء الأكابر الذين جعلهم الله في القرى ليتعاون بعضهم مع بعض على أكل الضعفاء.

من هم الضعفاء؟ هم المساكين، أنا وأنت وهذا وذاك، هؤلاء الضعفاء هم الشعب، ملايين الناس الذين لا يملكون شيئاً، أمّا هؤلاء فيملكون أموالاً قليلة؛ ولكنهم يملكون ألسنة حلوة مع الناس، ويشغلون أناساً وسائط لهم فيأتون إلى الناس ليأكلوا أموالهم بالباطل، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكَرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، مهما كنت مأكراً؛ فإن الله أسرع منك مأكراً، وأشد مأكراً ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويًا [الطارق: ١٥ - ١٧]، احذر من مكر هؤلاء المجرمين.

الله ﷻ لا يغفل عن هؤلاء المجرمين، يأخذهم في الدنيا قبل الآخرة، الآخرة فيها العذاب الحقيقي، ولكن يعطيهم شيئاً من عذابه في الدنيا؛

حَتَّى لَا يَأْكُلَ الطَّغَاةُ الْآخَرِينَ، ينزل الله على هؤلاء الجرمين المستكبرين بعض عذابه في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]. يوسع الله عليهم، يستدرجهم بهذا، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، استدراج وإملاء وإمهال، الله يمهل ولا يهمل.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ:

لا تظن أن الله يهمل أو يغفل شيئا، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢]، الغفلة من صفاتنا نحن، لكن الله لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا تعتريه غفلة، هو يرصد كل شيء، ويحسب كل شيء، ثم يأخذ من يأخذه أخذ عزيز مقتدر، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: ٣٧].

كان ملوك اليمن يُسمون في بعض الفترات (التبابعة)، أهلكهم الله كما أهلك قارون، قال: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [القصص: ٧٨]. وكما أهلك فرعون وهامان، قال: ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٣]، قال موسى: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٥٤﴾ وَإِن لَّمْ تَوَدُّوا أَنْ تُقَاتِلُوا فَاعِزُّونَ ﴿٥٥﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان: ٢٠ - ٢٢]. خذ يا رب هؤلاء المجرمين، فكانت تنزل آيات الله وعقوباته، عقوبات سماوية تنزل على هؤلاء

المجرمين، نزلت على قوم نوح وكانوا هم أظلم وأطغى، ونزلت على عاد ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ﴿[الأحقاف: ٢٤، ٢٥]، كانوا ضخاما وغلاظا؛ فأصبحوا كأعجاز نخل منقعر، ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]، ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٦ - ١٨].

هكذا يفعل الله بالمجرمين دائماً، يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، أخذاً أليماً شديداً، لأنه يرى كل شيء، ويرصد كل شيء، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿[الفجر: ١١ - ١٤]، الله يرصد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، الطغيان يقترن بالفساد دائماً، والطغيان مع الفساد هو الإجرام، هؤلاء هم المجرمون.

المجرم يتربص من الله العذاب في الدنيا، ويتربص العذاب في الآخرة، الله مهيبٌ لهؤلاء عذابهم، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١١]، يتمنى أن يفتدي من عذاب الآخرة ﴿بَبْنِيهِ﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿كَلَّا﴾ [المعارج: ١١ - ١٥]، لا يمكن أن ينجو، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿[طه: ٧٤، ٧٥].

المجرم ينتظر حسابه يوم القيامة، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، كل ما عملناه! حتى الأمور الصغيرة نسيناها، نسوها ولكن الله ذكرها لهم، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[المجادلة: ٦].

مصير المجرمين:

يعد الله للمجرمين عذاباً شديداً، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٢]، أصحاب اليمين في الجنات يتساءلون عن الجبابرة الذين رأوهم في الأرض: أين هم؟ ما الذي أرداكم في قعر جهنم؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ [المدثر: ٤٣، ٤٤]، لم يؤدوا حق الله، ولم يؤدوا حق العباد، لم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة، فأصبحوا في قعر سقر.

أعد الله ﷻ للمشركين المجرمين الذين يتعالون على الناس، ويستكبرون على الناس، ويستكبرون على الله، أعد لهم عذاباً أليماً، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۖ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨]، يمسهم عذاب سقر، وسقر اسم من أسماء جهنم؛ مثل لظى والجحيم والسعير، كلها من أسماء جهنم والعياذ بالله، نسأل الله أن يعيذنا منها ومن شرها، وألا يدخلناها من قريب أو من بعيد، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

ينبغي أن نحذر من نار جهنم، ومما أعد الله للمجرمين في نهار جهنم، علينا نحن أهل الإيمان أن نحذر من هؤلاء، وألا نكون مع هؤلاء المجرمين أبداً، سيّدنا موسى ﷺ حينما دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، وجد فيها رجلين يقتتلان، واحد من شيعته من بني إسرائيل، والآخر من عدوه من المصريين، ﴿فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَوَكَّزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ﴾ [القصص: ١٥]، ضرب به لكمة فمات فيها، يظهر أن الرجل كان عنده شيء في القلب فلم يتحمل اللكمة، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۖ﴾ [القصص: ١٥]، واستغفر ربه فغفر له، لأنه

كان خطأ، ما كان يريد أن يقتله، ولكن استغفر، ومع هذا قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]. هذا هو شأن المؤمن، لا يكون مجرمًا، ولا يكون ظهيرًا لمجرم.

إياك أيُّها المؤمن أن تكون ظهيرًا لمجرم، أو عونًا لمجرم، تسعفه في أي شيء ممَّا يريده؛ شرًّا بالناس وأذى للناس، كل ما يريده المجرمون هو الشر والأذى، يريدون أن يكونوا آلهة في الأرض، يضحمون أنفسهم على حساب الناس، يسمنون ليهزل الناس، ويقوون ليضعف الناس، إياك أن تكون عميلًا لهؤلاء، أو واحدًا في زمرة هؤلاء، احذر هذا، ولذلك قال سيِّدنا موسى: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾. وفعلاً كان طوال حياته ظهيرًا لأهل الإيمان، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٥ - ٢٨]، هذا ما يطلبه موسى ﷺ، لم يطلب أن يكون عونًا للمجرمين؛ بل أن يكون عونًا لأهل الخير وأهل الطاعة.

ولذلك علينا نحن المؤمنون المصدقين لله تعالى ولرسله، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا، رضينا بهذه القواعد السليمة والتمينة والمكينة، رضينا بالقيم والأخلاق لتكون سندًا لنا حتَّى لا نسير على ضلال، أو على شيء نشك فيه مجرد شك.

نحن لا نشك في أمرنا، أمرنا واضح أيُّها الإخوة كل الوضوح، ﴿أَفَنَنْ يَمْشِيَ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، أمرنا واضح؛ لأن كتاب الله تعالى عن يميننا، وسنة رسوله عن شمالنا، وعمل السلف الصالح والعلماء الصادقين ماثل أمامنا، نستنير به ونستضيء به، ليس عندنا شيء غامض.

الغامضون هم هؤلاء المجرمون الذين يسلكون طرقاً غير معروفة، يؤمنون بها حياتهم، استباحوا كل شيء، استباحوا الدماء المحرمة، واستباحوا الأعراض المحرمة، واستباحوا الأموال المحرمة، واستباحوا كل المحظورات؛ لأنهم أجموا، والذين أجموا لا يعرفون لهم صراطاً يمشون عليه، ولا معلماً يستضيئون به، ولا مفتياً يستفتونه في أمرهم، الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۖ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ۖ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣١].

كان المؤمنون يمرون على المشركين فينظرون إليهم ويتغامزون بهم، أصبحوا موضع سخرية واستهزاء، وإذا رجعوا إلى أهلهم يضحكون على هؤلاء المؤمنين، هذا في الدنيا، فماذا حدث في الآخرة؟ انقلب الوضع، تغير الحال، أصبح الذين يضحكون من الناس مضحوكاً عليهم، المؤمنون هم الذين يضحكون على هؤلاء ويسخرون منهم، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۖ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۖ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٤ - ٣٦]، لقد جوزي الكافرون بأفعالهم.

هذه صفحة من صحائف هؤلاء المجرمين، الذين امتلأ القرآن بذكرهم، وذكر شرورهم ومعائبهم، وما امتازوا به على المؤمنين من خصال السوء، ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، أي فصلهم عن غيرهم؛ فكانوا واضحين معروفين يوم القيامة، ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

فاحذر أيها المؤمن أن تكون من هؤلاء المجرمين، أو تقترب منهم، ابتعد عنهم، واستعد بالله من شرهم، وكن دائماً ضد هؤلاء المجرمين، نحن للأسف مبتلون بهؤلاء في حياتنا، في كثير من بلادنا،



مبتلون بالمجرمين الأشرار، الَّذِينَ هُيئَ لَهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا الْبِلَادَ وَيَسُوسُوا
الْعِبَادَ، حَكْمُوهُمْ بِالْقَهْرِ وَالشَّرِّ، وَسَاسُوهُمْ بِالظُّلْمِ، وَسَيَأْخُذْهُمْ اللَّهُ أَخْذًا
أَلِيمًا شَدِيدًا، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ابتلاء الأمة بالحكام الظالمين:

نحن المسلمين خير أمة أخرجت للناس، الأمة الوسط، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، الأمة الواحدة كما ذكر القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَلِئَلَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

نحن هذه الأمة ابتلينا في حياتنا، ابتلينا بحكام في بعض البلاد أصبحوا ضد شعوبهم، الشعوب في وادٍ وهم في وادٍ، يعملون على أن يأكلوا هذه الشعوب، لأن هؤلاء الحكام أشبه بالغيلان التي تأكل جيرانها، هؤلاء وحوش مفترسة، وإن كنت والله أقول دائماً: نحن نظلم الوحوش؛ لأن الوحوش لا تأكل الناس إلا إذا جاعت، ولم تجد شيئاً تأكله، لا تأكل بشراً، وقد خلق الله البشر وكرمهم، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

الوحوش لا تأكل البشر، وهؤلاء يأكلون البشر، رأيناهم في مصر، ورأيناهم في سوريا، ورأيناهم في العراق، ورأيناهم في فلسطين، ورأيناهم في بلاد شتى يأكلون الناس، هذا ما شاهدناه بأنفسنا: أن البشر يأكل البشر، ليتهم يأكلونهم بأسنانهم، ما كانوا يستطيعون أن يأكلوهم، ولكنهم يأكلونهم أكلاً أشد من أكل الأسنان.

رأيانهم يأكلون البشر في مصر، قتلوا الآلاف بالرشاشات، بالدبابات، بالمدركات، بالطائرات، غير القناصة، ورأيانهم في سوريا يضربونهم بأسلحة البر، وأسلحة الجو، وأسلحة البحر، وبالشبيحة، وبكل الأسلحة! رأيان هؤلاء الذين سماهم القرآن المجرمين يأكلون البشر؛ بالأسلحة التي وجدت لتحارب الأعداء، الذين يظلمون المسلمين، يأخذون أرضهم، وينتهكون عرضهم، ويبتلعون خيرهم، هؤلاء هم الذين يضربون ويقتلون، ما رأيان هؤلاء يقتلون المجرمين المعادين، إنما يقتلون أبناء بلادهم.

هكذا رأيان هؤلاء الذين قتلوا الآلاف في مصر، حوالي سبعة آلاف كما تقول التقارير، في المنصة، وفي الإسكندرية، وفي المنصورة، وفي ميدان رابعة، وميدان النهضة، والميادين الأخرى.. قُتل هؤلاء الآلاف الذين ليس معهم سلاح، كل الناس يشهدون بذلك.

أمّا هؤلاء المجرمون فكذابون، أسمع هؤلاء والله فأجدهم أكذب من رأيت من خلق الله، يقولون: معهم أسلحة. فلماذا لم يضربوا بها الذين ضربوهم؟ لماذا لم يُقتل واحد من الذين يقتلونهم من الضباط؟ هم الذين قتلوا بعض الناس، الذين طلبوا منهم أن يقتلوا فلم يقتلوا فقرروا أن يقتلوهم ويرموهم، هؤلاء الذين كانوا في رابعة والنهضة وفي الميادين الأخرى: ما قتلوا واحداً قط، ليس معهم أي سلاح كان، لا سلاحاً نارياً، ولا سلاحاً يدوياً، ولا سكيناً ولا عصي، ولا حجراً، أطفال فلسطين كانت معهم حجارة، وهؤلاء ليس معهم حتى الحجارة أو الطوب.

هؤلاء الظالمون قتلوا هؤلاء الأبرياء، وسينتقم الله منهم، أنا متأكد والله أن الله سينتقم منهم؛ لأن الله ليس غافلاً عن الناس، لا تظنوا أن الله

تعالى غافل عن عباده، لا، الله ليس غافلاً، إنّما يعد لهم العدة، ويمكر لهم حتّى يأخذهم أخذًا أليماً شديداً، وقد قربت أيامهم والله، ازدادوا إصراراً على الباطل وعلى الظلم المكشوف، وهذا كله يقرب أجلهم، كلما ازدادوا ظلماً ازداد عذاب الله قرباً لهم، سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، سنرى جميعاً هذا عن قريب، البلد خربت، ولم يعد الناس قادرين على شيء، ويزداد الأمر سوءاً، ليس هناك إنتاج، هؤلاء الناس لا يمكن أن يحكموا البلد أصلاً، كيف تعيش البلد على خراب.

هؤلاء سيأخذهم الله أخذاً أليماً شديداً في مصر، وفي سوريا التي يقاتل فيها الإيرانيون بأسلحتهم وبأموالهم وبرجالهم، برجالهم من الإيرانيين، وبرجالهم من العراقيين، وبرجال حزب الله من لبنان، كل هؤلاء يجتمعون من أهل الشيعة على أهل السنة، يريدون أن يبطلوا أهل السنة في سوريا، وهيهات، لا يمكن أن يبطل بلد قامت فيه الخلافة: خلافة الأمويين، لا يمكن أن يبطل بلد قامت فيه السنة، هم الأصل، هم الأكثرية والأغلبية الساحقة، ومعهم إخوانهم من النصاري والأشوريين والأكراد، ومن سائر العرقيات والأديان والمذاهب، كل هؤلاء معهم.

إنَّ الله ﷻ سيأخذ للمؤمنين حقهم من أعدائهم المجرمين، سينتقم لأهل العراق الذين يقاسون ما يقاسون، من الذين لا يريدون أن تكون بغداد إلا قرية صغيرة لأهلها، وكانت هي العاصمة لهذه البلاد، وكان أهل السنة هم الحاكمين فيها، هؤلاء سينتصر الله منهم للمظلومين.

نحن مؤمنون أن أهل الحق سينتصرون، كل أهل الحق، إخواننا في تونس يريد المبتطلون ألا يستقرّ أمرهم أبداً، مع أن القوم من أنضج السياسيين فكراً وحكمة ومرونة، ويعاملونهم بكل الليونة، لا يتشدّدون

في أمرٍ من الأمور، ولكن هؤلاء لا يريدون أن تستقرّ الأمور على حال، وعلى صراطٍ مستقيم، سيخيب الله أمل هؤلاء، سينصر الله المؤمنين في تونس، وفي المغرب، وفي كلّ بلاد الإسلام، سينتصر الحقّ على الباطل، سينتصر الهدى على الضلال، سينتصر الرشد على الغي، ﴿وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨٢].

أسأل الله تعالى أن ينصر أمتنا على كل الشُّذَّاذ فيها، أن ينصر أهل الإيمان على أهل الخذلان، على الضائعين الضالين، أن يهدي الذين ضلوا وأن يعيدهم إلى أمتهم، وأن تصبح كلمة الأمة كلمة واحدة، والله لا نريد لهذه الأمة أن تفترق أبداً، كم نريد لهذه الأمة أن تتجه إلى الله وإلى صراطه المستقيم وتقول: يا رب، اجعلنا مع أهل الحق، واحشرنا مع أهل الحق، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وألزمنا اجتنابه. هذا ما يدعو به المؤمنون، وما ندعو الله تبارك وتعالى به في هذه الآونة.

اللهم أكرمنا ولا تُهِنَّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم إنا نسألك أن تعز الإسلام وتؤيد المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهم انصر المؤمنين على المجرمين الضالين الظالمين، اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.



رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ الكلمة على
الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والعزائم على عمل
الخير وخير العمل.

ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا؛ إِنَّكَ على كل شيء قدير، اللهم انصر
إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في العراق،
وانصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في ليبيا، وانصر إخواننا في
المغرب، وانصر إخواننا في تونس، وانصر إخواننا في اليمن، وانصر
إخواننا في الصومال، وانصر إخواننا في كل مكان يا رب العالمين، رَبَّنَا
اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا على القوم
الكافرين، وصلِّ اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه
والتابعين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.



اتباع الهوى في القرآن الكريم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في موضوعات القرآن الكريم، وللقُرآن موضوعات كثيرة ووفيرة وغزيرة في كل نواحي الحياة، موضوعات الفرد، وموضوعات الأسرة، وموضوعات المجتمع الخاص، وموضوعات المجتمع العام، وموضوعات الأمة الكبرى، وموضوعات الإنسانية، وموضوعات روحية، وموضوعات مادية، وموضوعات عقلية، وموضوعات أخلاقية، وموضوعات تشريعية، وموضوعات عقائدية، وموضوعات عملية. كل هذا اشتمل عليه القرآن، فنحن نحاول أن نقبس من أنوار هذا القرآن، وأن نستفيد ممّا في هذا القرآن من ثروة علمية فكرية، تهدي الناس إلى الصراط المستقيم، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

نحن اليوم نتحدث عن اتباع الهوى في القرآن الكريم، القرآن يحذر من اتباع الهوى، فما معنى اتباع الهوى؟ هناك أناس يتبعون أهواء أنفسهم، كما كان المشركون يفعلون، والله تعالى يقول:

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١ نوفمبر ٢٠١٣م.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]. المشركون يتبعون ظنون أنفسهم، التخمينات التي يخمنونها، وليست أشياء حقيقية يوقنون بها، ويتبعون ما تهواه الأنفس، هذا شر الناس والعياذ بالله، ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩].

خَلَقَ اللَّهُ أَنْوَاعَ:

خلق الله الخلق أنواعًا، هناك صنف من الخلق عقل بلا شهوة، وصنف من الخلق شهوة بلا عقل، وصنف اجتمع فيه العقل والشهوة معًا، الصنف الذي هو عقل بلا شهوة هم الملائكة، هؤلاء لا شهوة لهم ولا أهواء عندهم، ليس عندهم أكل ولا شرب ولا جماع، هم مفطورون على طاعة الله، طائعون بالفطرة، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، خلق نوراني كله.

وهناك صنف يقابل هذا الصنف، شهوة بلا عقل، وهم البهائم والحيوانات، كل هذه المخلوقات - السباع، والزواحف - هي شهوة بلا عقل لا تفكر، فهؤلاء في مقابل الملائكة، الملائكة في الأعلى، وهؤلاء في الأسفل.

وهناك صنف بين الملائكة والبهائم يجمع بين الشهوة والعقل، وهم البشر، الله خلقهم لهم عقول يفقهون بها، يتفكرون في خلق السماوات والأرض، بحكم خلقتهم كل واحد عنده عقل، الذي ميزه عن البهيمة هو هذا العقل، ولذلك عندهم عقول ولهم شهوات، شهوات البطن، وشهوات الفرج، وشهوات النفس، هذه هي الأهواء، أهواء النفوس، وهي شديدة التأثير على الإنسان.

والإنسان أحياناً ينزل به هوى نفسه فيصبح أسفل من البهائم، وأحياناً يعمل عقله ضد هواه، لا يمشي وراء الهوى؛ ولكن يمشي وراء العقل فيرتفع على الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]. أفضل الخلائق، لأن هؤلاء عندهم أهواء وشهوات؛ لم يطيعوها فأصبحوا مع الملائكة، وربما كانوا أفضل من بعض الملائكة.

النفس الأمارة والنفس اللوامة:

وأحياناً يتبعون الهوى، إذا اتبع الإنسان هوى النفس، وسار وراء ما تأمره به نفسه، نقول عن هذه النفس: النفس الأمارة بالسوء. النفس بحسب ما يستعملها الإنسان، هناك نفس أمارة بالسوء كما قالت امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]. هذا قول امرأة العزيز، وليس قول سيّدنا يوسف.

وهناك النفس اللوامة التي تلوم الإنسان إذا فرط في اتباع الحق، أو في عمل الخير، أو في الاستجابة إلى الرشد، إذا فرط في هذا وسار وراء ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء، أو سار وراء الشيطان وغره بالله الغرور، هنا تظهر هذه النفس اللوامة فتلومه، فإذا اتبعت الإنسان الشيطان وهو عدو مبين، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، وعدوك لا يريد لك الخير، وهذا عدو لا يمكن أن يتوب عن عداوته، من عهد آدم أعلن عداوته للناس، ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، فالشيطان يأتيك من كل جانب من جوانبك، ولذلك عليك أن تحذر من الشيطان، وأن تحذر من أهواء النفس، هذه النفس إذا اتبعتها ضللت عن سواء السبيل.

وعليك أن تتبع العقل، ماذا يأمرك به العقل، لماذا أعطاك الله هذا العقل؟ لتمييز به بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، فتتبع الهدى وترفض الضلال، تسير مع الحق، ولا تسير مع الباطل، تفعل الخير ولا تفعل الشر، تحب الصلاح ولا تحب الفساد، هذا هو العقل.

العقل يدعو إلى اتباع الهدى:

العقل هو الذي يدعوك إلى اتباع الهدى وليس اتباع الهوى، الهدى الذي يأتي به النبيون، الله ﷻ لم يترك العباد وحدهم، ولكن أرسل إليهم نبين مبشرين ومنذرين، كيف تعرف هؤلاء المبشرين والمنذرين؟ كيف تعرف المحق من المبطل؟ تعرف ذلك بالعقل، من دعاك إلى الحق والهدى، لم يدعك إلى نفسه، ولا إلى حزبه، ولا إلى بلده، ولا إلى قبيلته، وإنما دعاك إلى الله، يقول لك: لا تعبد الأوثان، لا تعبد الشمس ولا القمر، لا تعبد العجل ولا البقر، لا تعبد الشياطين، لا تعبد الفروج، لا تعبد أصنامًا تتخذها من الحجارة أو غيرها. هذا ما يدعو إليه العقل.

لا بد للإنسان أن يتبع العقل، وحين ذلك يدعو العقل إلى اتباع الأنبياء الصادقين، وليس المتنبيين الكاذبين، من هنا دعنا عقولنا إلى أن نؤمن برسول الله تبارك وتعالى، الذين قامت الأدلة القاطعة على أنهم لا يتحدثون من أنفسهم، إنما يتحدثون عن ملائكة أعلى منهم، ملائكة توصل إليهم الوحي من الله تبارك وتعالى، هذا ما جاء به مُحَمَّد ﷺ، ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]، وحي جاءه من السماء، من الله تبارك وتعالى ينزل به جبريل: القرآن الكريم.

فالعقل هو الذي دلنا على أن نتبع هدى الله، ولا نتبع هوى الأنفس أبداً، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، اتباع الهوى بغير هدى من الله يضلك، يبعدك كثيراً عن الحقائق، ويدخلك في المضلات، وينزل بك إلى أسفل سافلين.

أربعة أشياء حذر منها العلماء الربانيون:

احذر من اتباع هوى النفس، هناك أربعة أشياء حذر منها العلماء الربانيون، وقال فيها الشاعر:

إني ابْتُليْتُ بأربعٍ يَزْمِينِي بالتَّبَلِّ عن قوسٍ له تَوْتِيرُ
إبليسُ والدُّنيا ونَفْسِي والوَرَى يا رَبِّ أنتَ على الْخَلَاصِ قَدِيرُ^(١)

هذه القواطع الأربعة التي تقطعك عن السير في الطريق إلى الله:

القاطع الأول إبليس: هذا الشيطان المبين الذي وقف ضد آدم من أول ما خلقه الله، وأسكنه الجنة، إبليس وذريته.. إياك أن تتخذهم أصدقاء لك، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، إبليس أول قاطع من قطاع الطريق إلى الله.

القاطع الثاني الدنيا: بما فيها من شهوات، وما فيها من فتن كثيرة، ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]، احذر من هذه الدنيا ومن ألوان فتنها.

(١) ذكرهما القرطبي ولم ينسبهما لأحد. انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص ٨٨٠، تحقيق د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، نشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.

القاطع الثالث النفس وأهواء النفس، والنفس أنواع: هناك النفس التي ذكرتها امرأة العزيز النفس الأمارة، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، وهناك النفس اللوامة التي تلوم الإنسان على ما يفرط فيه من خير أو على ما يرتكبه من شر، ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، وهناك النفس الراضية المطمئنة، ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ * ﴿أَرْجِعْنِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ * ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ * ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]، حاول أن تجعل نفسك نفساً لوامة، وهم يعبرون عنها في عصرنا بالضمير الحي، هناك ضمير ميت وضمير حي، فاجعل نفسك نفساً حية تلومك إذا فعلت شراً أو قصرت في خير، ثم ترتفع فتصبح نفسك النفس المطمئنة، التي ترجع إلى ربها راضية مرضية، احذر من هوى نفسك.

أول جريمة في الأرض ارتكبت بسبب النفس:

أول جريمة ارتكبت في هذه الأرض كانت بسبب النفس، تعرفون الجريمة التي ذكرها القرآن في قصة ابني آدم، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، تقبل الله قربانه ولم يتقبل قربانك فابحث عن السبب، لا بد أن هناك خللاً في هذا القربان جعله لم يقبل، أمّا أن تقتل أخاك من أجل هذا، ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨]، لن أقتلك أنا أبداً، ومع هذا يقول القرآن: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

لا يستطيع أحد أن يقول: هذا القتل من جناية المجتمع. هناك أناس يسمونهم الاجتماعيين - دوركايم وأمثاله - يقولون: إنّ الجرائم كلها من

فعل المجتمع. لكن لم يكن هناك مجتمع وقت حدوث هذه الجريمة، إنما هي أسرة واحدة، نفسه هي التي أوحى إليه بهذه الجريمة فقتل أخاه، وأخوه لم يذنب في حقه، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾، هنا هوى النفس، ﴿قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فهو النفس يمكن أن يؤدي بك أن تقتل أخاك؛ ولم يذنب في حقل أي ذنب!

أثر هوى النفس:

وكثير من الذنوب ذكرها القرآن وجعلها من أثر هوى النفس، في عهد سيّدنا موسى ﷺ دعا رجل يسمى (السامري) بني إسرائيل: أن يعبدوا العجل؛ حينما ذهب سيّدنا موسى ليلقى ربه. وعمل عجلاً من الذهب الذي أخذه بني إسرائيل من المصريين، واستطاع أن يجعل له صوتاً كأنه خوار عجل، وقال لهم سيّدنا هارون: ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]. لا تعبدوا هذا العجل، ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: ٩١]، فلما رجع موسى وسأل السامري عما فعله قال له: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦]. نفسه هي التي سولت له أن يأمرهم بعبادة العجل، وكل عبادة لغير الله فهي باطلة.

ماذا يعني العجل؟ هل خلق السماوات؟ هل خلق الأرض؟ هل خلق الإنسان؟ هل يستطيع أن يتكلم؟ لا يتكلم، ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

هوى النفس هو الذي يدعو الإنسان إلى الشرور، ولذلك حذرنا القرآن أن نتبع هوى الأنفس، كما حذر سيّدنا داود من قبل:

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾
[ص: ٢٦]. احذر أن تتبع هواك.

كذلك حذر القرآن محمداً ﷺ أن يتبع هواه، أو يسير مع من اتبع هواه، ولا يصحب إنساناً يتبع هواه، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، الإنسان الغافل عن ذكر الله: أغفل الله قلبه أن يذكر الله، واتبع الهوى ومشى معه، وأصبح إنساناً سائباً، ليس له مرجع يرجع إليه، ولا صراط يسير عليه، هذا أمر من اتبع الهوى: إنسان سائب! ولذلك ينبغي للإنسان ألا يتبع هواه، حينما كلم الله سيّدنا موسى، وحذّثه عن الساعة قال: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦]. فإن من يتبع هواه يهلك في الردى.

كلُّ الأنبياء نهوا عن اتباع الهوى:

كل الأنبياء نهوا أتباعهم أن يتبعوا الهوى، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، إياكم أن تتبعوا أهواء هؤلاء.

وحذر الله تعالى محمداً ﷺ أن يتبع أهواء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يقول تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]. إياك أن تتبع أهواء هؤلاء اليهود والنصارى؛ وإلا فلن يكون الله وليك ولا نصيرك، ستفقد الولاية. وفي آية أخرى

يقول: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. وفي بعض الآيات يقول: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]. أي يحرم من كل خير.

حذر القرآن النبي ﷺ من اتباع أهواء الكفار، قال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. احذر أن يفتنوك عن آية واحدة، أو حكم واحد مما أنزله الله إليك، لأن هذا الكتاب كله متكامل، لا يسقط منه حكم واحد، كله يكمل بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٩، ٥٠].

حذر الله نبيه أن يتبع أهواء المشركين وأهواء أهل الكتاب، وألا يتبع إلا ما أنزله الله إليه، وما هداه الله تعالى به.

تحذير القرآن من اتباع هوى النفس:

وحذر القرآن من اتباع هوى النفس، يقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]. إلهه ليس ربه الذي خلقه فسواه، إنما إلهه هواه، يعبد هذا الهوى. سيّدنا عبد الله بن عباس يقول: الهوى شر إله عبد في الأرض^(١). شر من الحجارة والأوثان، إياك أن تعبد هواك، ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، أصبحوا

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام ليس لها عقول، وأنت لك عقل، وأرسل إليك رسول، وأنزل إليك كتاب!

ويقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

احذر أن تتبع هوى نفسك أو هوى غيرك، قال الله تعالى لرسوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]. لا تتبع أهواء المشركين، ولا أهواء اليهود، ولا أهواء النصارى، ولا أهواء المجوس، هؤلاء لا يعلمون شيئاً، ليس عندهم حكم الله ووحى الله، الجديد الذي لم يأكله الزمان، ولم يدخله باطل فيغير حقه هو القرآن الكريم، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩]. هذا ما حذر الله تعالى منه نبيه محمداً ﷺ.

وحذرنا القرآن في آيات كثيرة من اتباع الأهواء، وضرب لنا بعض الأمثلة من الأمم السابقة، وقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]. أهدى الله إليه من تعاليم النبوة ما يمكن أن يرفعه إلى أعلى، ولكنه رمى بهذه التعاليم واتبع هواه، أصبحت أهواؤه فوق الشريعة فأخلد إلى الأرض بما فيها من طين وتراب، فهو رجل طيني، خلق الله الإنسان من طين ونفخ فيه من روحه، والإنسان الموفق هو الذي يُعلي الروح على الطين، والإنسان المخدول هو الذي يعلي الطين على الروح، فهذا أعلى الطين على الروح، ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثْ﴾ يلهث الكلب حينما يُخرج لسانه من العطش أو من التعب، ويظل هكذا،

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[الأعراف: ١٧٦]. فاحذر أيها المسلم من اتباع الهوى!

مشكلتنا أيها الإخوة في أمتنا هم الذين يتبعون الهوى، لا يتبعون الوحي، لا يتبعون القرآن، لا يتبعون السنة، لا يتبعون العلماء الربانيين، إنما يتبعون أنفسهم وأهواء أنفسهم، باعوا حياتهم للشياطين، باعوا حياتهم لهذه الأنفس المضلة، والله تعالى يقول: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّن رَّيِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوهُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]. احذر من هؤلاء.

مصيبتنا في بلداننا أنها لم يعد يحكمها الربانيون، الذين يرجعون إلى الله وإلى رسوله، يقولون: قال الله تعالى، وقال رسوله ﷺ، وقال أبو بكر، وقال عمر، وقال الصحابة، وقال التابعون لهم بإحسان، وقال علماء الأمة. لم يعودوا يرجعون إلى هذا، إنما يرجعون إلى أهواء الأنفس، إلى ما تزين لهم أنفسهم.

وكثيراً ما تزين لهم أنفسهم قتل الأبرار الأحرار الشرفاء، فيقتلون الناس بغير حق، كثيراً ما تزين لهم أنفسهم: أن يأخذوا الناس من بيوتهم إلى السجون والمعتقلات، وما ارتكبوا والله ذنباً قط! بالأمس كانوا أناساً طيبين عاديين؛ فلما أخذوا رئيستم أصبح هؤلاء الناس كلهم مظلومين، وأصبحوا كلهم مدانين، وأصبحوا كلهم متهمين، والمتهم عندهم مذنب حتى يثبت براءته، بينما المتهم عند العالم كله بريء حتى تثبت إدانته، ليس بالاتهام يُدان الناس، إنما يُدان الناس بذنوب ارتكبوها، هذا ما جاء به العالم كله.

نحن ندعو الله تبارك وتعالى أيها الإخوة أن يهب أمتنا أناساً ربانيين، يعرفون الله تبارك وتعالى، يحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويقفون عند حدوده، ويقولون: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

هذا شأن المؤمنين الجديرين برحمة الله تبارك وتعالى وبفضله، فادعوا الله لأنفسكم، وادعوا الله لإخوانكم المؤمنين في سائر بلاد العرب وبلاد المسلمين وبلاد العالم، ادعوا الله لكم ولإخوانكم أن يهبكم النصر على اتباع الأهواء، أن تكون عقولكم وشرائعكم فوق أهوائكم.

احذروا من هؤلاء الأربعة: إبليس، والدنيا، ونفسك، والورى.

والورى هم الخلق، أيضاً من الأعداء الأربعة: الخلق، وهم الناس، إذا اتبعت الناس بعيداً عن الشرائع أضلّك الناس، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِنْ تَطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]. إلا من كان منهم على هدى، من اتبع الهدى، من كان في سبيل الله، من كان مؤمناً بالله، من كان مصداً برسول الله، من كان يؤمن بالآخرة، من كان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فهؤلاء هم المأمونون، فاحذر من هؤلاء الأعداء الأربعة:

إبليس والدنيا ونفسي والورى يا رب أنت على الخلاص قدير

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة يا رب العالمين، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قضية القدس والمسجد الأقصى:

جرت عادتنا أن نتحدّث في الخطبة الثانية عن أحوال الأمة الإسلامية، وقضايا الأمة الإسلامية وأخطرها، وللأمة الإسلامية قضايا كثيرة، وكثيرة جدًّا، يحترار الإنسان في أيُّها يتكلّم، وأيها يؤجّل، كلها قضايا في غاية الأهميّة أيُّها الإخوة، قضايا أمّتنا المصابة في حكامها إلّا من عصم الله وقليل ما هم، والمصابة في كثيرٍ من أبنائها الذين غفلوا عن الحقائق، أعمتهم الدُّنيا وأعمتهم الشهوات.

فيم نتحدّث أيُّها الإخوة؟ أنتحدّث عن قضية فلسطين، القضية الكبرى للأمة، القضية المحوريّة للأمة، القضية الأوليّة للأمة، القضية التي لا ينبغي أن تُنسى، أحيانًا نتحدّث عن القضايا الساخنة، وليس معنى هذا أننا نسينا قضية فلسطين، لا يا أيُّها الإخوة، لا تظنُّوا هذا، لا ننسى قضية فلسطين أبدًا، قضية فلسطين قضية حيّة دائمة، وساخنة دائمة، وهي أسخن ما تكون في هذه الأيام.

في هذه الأيام تُرينا إسرائيل عدوّتنا الأولى قوّتها وبطشها، وتُرينا كيدها ومكرها، إنّها تريد أن تبتلع القدس، وتبتلع المسجد الأقصى في القدس، القدس رأس مال فلسطين الأول، أظهر ما يميز فلسطين أنّها بلد القدس الشريف، ولماذا؟ لأن القدس بلد المسجد الأقصى الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم، كلنا يحفظ أوّل سورة الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]. لم

يصف المسجد الحرام بشيء، ولكن وصف المسجد الأقصى بقوله: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾. البركة حول هذا المسجد، فلسطين أرض مباركة، بارك الله فيها للعالمين، كما قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]. ووصفها عدة مرّات بالبركة.

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله يكيد اليهود له كيّداً، ويمكرون به مكرًا كُبَارًا، يريدون أن يغتصبوا هذا المسجد على مرأى ومسمع من أمة الإسلام الكبرى، من العرب والهنود والأتراك والإفريقيين والأسويين وغيرهم، أكثر من مليار وثلثي المليار من المسلمين.

هؤلاء اليهود الصهيونيون يريدون أن يأكلوا ويبتلعوا المسجد الأقصى والأمة الإسلامية ترى وتسمع، أهذا يُعقل يا قوم؟ هل يُعقل أن يُبتلع المسجد الأقصى ونحن نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا ما يجري من حولنا؟

كما اقتسموا المسجد الإبراهيمي وجعلوا نصفه لليهود ونصفه للمسلمين، وكان مسجداً إسلامياً خالصاً، صليت فيه وخطبت فيه الجمعة في الستينيات، كان مسجداً كله للمسلمين، أصبح نصفه لليهود وأحياناً يمنعون المسلمين من الصلاة فيه، يريدون أن يفعلوا هذا بالمسجد الأقصى، كيف يسكت المسلمون في أنحاء العالم؟ المسلمون الذين ثاروا حينما جاء رجل قالوا: إنه مجنون أو شبه مجنون. وأحرق بعض المنبر الذي جاء به صلاح الدين الأيوبي إلى المسجد الأقصى، ثار المسلمون في أنحاء العالم: في المشرق والمغرب، وفي الشمال والجنوب، في بلاد العرب وبلاد المسلمين، وفرضوا على زعماء المسلمين أن يجتمعوا في أوّل قمّة إسلاميّة من أجل المسجد الأقصى.



المسجد الأقصى الآن تُدبر له المكاييد، يريد اليهود أن يقتسموه مكانيًا وزمانيًا ولا تقوم القيامة من أجل هذا، لا يقف المسلمون في كل مكان من أجل هذا الأمر، نحن نعجب لسكوت الأمة الإسلامية عما يفعل اليهود، يوم الأربعاء الماضي اقتحم اليهود باحات المسجد الأقصى، يريدون أن يصلوا في داخل المسجد تحت الحراسة الإسرائيلية، وقام الطلبة والطالبات الذين يدرسون وكبروا وأعلنوا الثورة على هؤلاء، ولم يمكنوهم بأن يقوموا بالصلوات التلمودية التي يريدونها.

هؤلاء اليهود يخططون لأمر عظيم، يريدون أن يقيموا كنيسًا كبيرًا عند ساحة البراق يأخذ من هنا ومن هنا، ويفرضونه على المسلمين، أين حكام المسلمين؟ أين الجمعيات الإسلامية؟! هناك جمعيات ومؤسسات كثيرة أنا رأس أحدها، رأس مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية، وهناك مؤسسات وهيئات وجمعيات كثيرة في العالم العربي، وفي داخل القدس، وفي داخل فلسطين وفي الأردن، وهناك ملوك ورؤساء مسؤولون عن المسجد الأقصى، أين هؤلاء ممّا يجري؟ لماذا لا تثورون؟ لماذا لا تدعون الأمة إلى الثورة؟ كيف نسكت على ما يجري في فلسطين؟ إننا إذا سكتنا على هذا سنصبح يومًا ونجد اليهود قد فرضوا أنفسهم، وفرضوا مؤسساتهم، وفرضوا أفكارهم ومشروعاتهم على الأمة الإسلامية.

يا أمة القرآن، يا أمة مُحَمَّد ﷺ، يا أمة المساجد المقدسة الثلاثة الكبرى: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، يا أمة هذه المساجد، غاروا على أنفسكم، غاروا على مقدساتكم، غاروا على حرماكم، لا تسكتوا أبدًا عن هؤلاء الظالمين، نحن أولى بأن نغار على

حقنا، ولا نسكت على أعدائنا أبداً، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، هذه قضية المسجد الأقصى.

ثورة سوريا:

ثم هناك قضايا كبرى أيُّها الإخوة، قضايا إخواننا في سوريا، سوريا التي أُصيبت أُمس، دخل الجيش النظامي واحتل بعض الأماكن وأخذها من الجيش الحر، هذا ما يجري أمامنا، لأن الجيش النظامي تأتيه أسلحة من روسيا، وأسلحة من إيران، ويأتيه رجال إيرانيون من شيعة إيران، وعراقيون من شيعة العراق، ولبنانيون من شيعة حزب الله، يأتي هؤلاء إلى الجيش، الذي عنده من الطائرات ومن البوارج الحربيّة، ومن المدافع ومن راجمات الصواريخ، ومن القنابل الذكية، ومن الأسلحة الثقيلة والخفيفة، ومن الذخائر ما لا يُحصى، عنده من هذا كله؛ فماذا عند إخواننا في سوريا؟! عندهم القليل، هل تمدّهم البلاد العربيّة؟ هناك بعض البلاد العربيّة أمدت مصر بالمليارات؛ ما كان أحوج سوريا إلى هذه المليارات أو بعضها! سوريا هي الأحق!

الشيعة يدفعون أموالهم، ويدفعون رجالهم، ويدفعون سلاحهم، ويعملون بكل قوتهم لنصرة أنصارهم في سوريا، وأنصارهم في سوريا قليلون ولكن معهم الجيش، ومعهم الحمقى من أهل السُّنّة، الذين يسيرون في ركاب هؤلاء، ولا يعلمون أنّهم يسعون إلى قتلهم في النهاية، أين حكام العرب الذين دفعوا المليارات؟ لماذا لا يدفعونها لتسليح السوريين، لإمدادهم بالأسلحة؟

وكنا نريد أن يكون في الغرب أناس منصفون، ينصفون المستضعفين



من الناس، يمدونهم بالأسلحة، ولكن للأسف خاب ظننا في هؤلاء، الأمريكيان الذين قالوا ما قالوا.. تخاذلوا وتراجعوا؛ حتى أصبحوا بعيداً عن الأمر، وصار كل ما يهمهم الأسلحة الكيماوية، ومن أجل إسرائيل، كانوا يخشون على إسرائيل من هذه الأسلحة، ولولا هذا ما اهتموا بها!

وتركوا إخواننا في سوريا وحدهم، تأتيهم بعض الأسلحة الخفيفة أو القليلة من قطر ومن السعودية، ومن بعض البلاد، ولكن ليس بالقوة التي تمكن الجيش الحر من أعدائه، هذا حرام على الأمة الإسلامية، حرام عليكم أن تخذلوا إخوانكم، ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴿[التوبة: ٣٨، ٣٩].

من مواقف مصر الأخيرة:

كانت مصر مع سوريا خصوصاً في الأيام الأخيرة، ولكن سرعان ما انقلب أعداء الأمة وغيروا اتجاه مصر، بعد أن كانت مصر تتجه إلى مساندة إخواننا في فلسطين وإخواننا في سوريا؛ فإذا بمصر تتجه إلى حرب أشقائها، تحارب أهل غزة، تمنع أهل غزة من الخروج للاستشفاء، أو لأي شيء يحتاجونه، لا توصل إليهم ما يريدون من متاع: من مأكّل، من مشرب، من دواء، من ملابس، من غطاء!

هؤلاء الذين ركبوا الموجة سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، الذين يضيّقون على أهل غزة ويفسحون المجال للإسرائيليين، قالوا لهم: نحن معكم، اطمئنوا، افعلوا ما شئتم. هؤلاء الظالمون الكاذبون سيأخذهم الله كما يأخذ كل ظالم، وكما يأخذ كل كاذب، وكما يأخذ كل جبار، الله

تعالى يقول: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، ويقول: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦١]، ويقول: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]. وهؤلاء يجمعون هذه الثلاث.

هؤلاء الناس الذين رأينا كيف يتعاملون مع شاب مصري مؤمن استطاع أن يحصل على الميدالية الذهبية في روسيا في لعبة الكونغوفو، بمجرد أن كشف هذا الشاب عن نفسه، وأنه يؤمن بأهل رابعة العدوية، الذين قُتلوا مظلومين في هذه الساحة، مهما حاولوا أن يقللوا أعداد القتلى وأنه لا يزيد على ألف ومائتين، قولوا ما تقولون، هل يذهب هذا العدد المقتول ظلماً وهدراً؟!

هذا الشاب أعلن أنه مع هؤلاء؛ فجن جنون هؤلاء، هؤلاء ليس لهم عقول، هذا الشاب المؤمن المستقيم الذي جلب لكم هذه الميدالية، هُزمت في إفريقيا وجاء لهم بالنصر شاب مؤمن اسمه مُحَمَّد يوسف، وجاء هذا اليوم بميدالية ذهبية، جن جنونهم، سحبوها منه، وفعلوا به الأفاعيل، وقام أحد القضاة المجانين المهووسين يقول: اسحبوا منه الجنسية. هذا رجل مصري عاش في مصر، آباؤه وأجداده في مصر، فكيف تُسحب منه الجنسية؟ هؤلاء قوم فقدوا عقولهم، وفقدوا دينهم، وفقدوا هويتهم، وأصبحوا يرتكبون الحماقات، ولا عجب فهم يرتكبون الجرائم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نحييك يا أخ مُحَمَّد يوسف، نحييك هنا في قطر وفي بلاد الخليج، وفي البلاد العربية والبلاد الإسلامية، ليأخذوا منك ما يأخذوا، نحن نعطيك كل شيء تستحقه، لا تبالي بهؤلاء، الله معك، والشعوب معك، والمؤمنون في كل مكان معك، والرجال الأشراف معك، ولن يترك الله عملك أبداً.

أيها الإخوة، كنتُ أريدُ أن أُحدِّثكم عن الإخوة في العراق، والإخوة في بلاد أخرى، ولكن الوقت لا يكفي.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهمَّ إِنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُّنيا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ استر عوراتنا، وآمن رَوْعَاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، ربَّنَا آتِنَا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهمَّ إِنَّا نسألك أن تعز الإسلام وتؤيد المسلمين، اللهمَّ انصر إخواننا في مصر، وانصر إخواننا في سوريا، وانصر إخواننا في العراق، وانصر إخواننا في فلسطين، وإخواننا في الأردن، وإخواننا في لبنان، وإخواننا في إيران، وإخواننا في باكستان، وفي أفغانستان، وفي بنجلاديش، وإخواننا في تونس، وفي ليبيا، وفي اليمن، وفي المغرب، وفي موريتانيا، وفي نيجيريا، وفي السودان، وإخواننا في الصومال، وإخواننا في أثيوبيا، وإخواننا في إريتريا، وإخواننا في إندونيسيا، وإخواننا في ماليزيا، وإخواننا في الفلبين، وإخواننا المضطهدين في كل مكان.

اللهمَّ كن لهؤلاء ولا تكن عليهم، وأعنهم ولا تُعن عليهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، واهدهم ويسر الهدى إليهم، واجعلهم لك ذكارين، لك شكارين، لك محسنين، إليك منيبين، اللهمَّ تقبل توبتهم، وأجب دعوتهم، وثبت حجتهم، واهد قلوبهم، وسدد ألسنتهم، واسل سخائم صدورهم، اللهمَّ إِنَّا نسألك أن تأخذ الظالمين الكاذبين الجبارين في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة أخذ عزيز مقتدر، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهمَّ رد عنا كيدهم،

وَقُلْ حَذِّهِمْ، وَأَدِلْ دَوْلَتَهُمْ، وَأَذْهَبْ عَنْ أَرْضِكَ سُلْطَانَهُمْ، وَلَا تَدْعَ لَهُمْ سَبِيلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَانَنَا فِي تُونِسَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ قَوِّ شَوْكَتَهُمْ، اللَّهُمَّ بَيِّنْ حُجَّتَهُمْ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ، اللَّهُمَّ خَيِّبْ ظَنَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ شَرًّا بِهَذِهِ الْبِلَادِ، رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَّا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

* * *





الأمل واليأس في القرآن الكريم (١)^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا مَعَ مَوْضُوعَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَقْتَبِسُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَوْضُوعًا مِنْ الْمَوْضُوعَاتِ، وَفِي الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ نَعْلُقُ عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالْوُقَائِعِ، الَّتِي تَقَعُ فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ.

حَدِيثُنَا الْيَوْمَ عَنِ الْأَمَلِ وَالْيَأْسِ، الْأَمَلُ فِي النُّصْرَةِ وَالْفَرْجِ وَالْيَسْرِ وَالْإِنْفِتَاحِ، وَالْيَأْسُ مِنْ ذَلِكَ. وَالْأَمَلُ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَالَّذِي يَمْلِكُ هَذَا الْكَوْنَ كُلَّهُ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وَالَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي هَذَا الْكَوْنَ وَحْدَهُ، وَالَّذِي أَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، هَذَا إِلَهُ الْعَظِيمِ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَعْجُزُ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ، الْمُؤْمِنُ دَائِمًا وَاثِقٌ بِنُصْرَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاثِقٌ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ سَيَفْرُجُ الْكَرْبَ، وَاثِقٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُزِيلُ الْعُسْرَ، سَيَجْعَلُ مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ يُسْرًا!

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، بِتَارِيخِ ١٥ نَوْفَمْبَرِ ٢٠١٣ م.

الإيمان هو أساس الأمل:

هذا الإيمان هو أساس الأمل، هو الذي يضيء الحياة المظلمة عند الناس، المؤمن لا يرى في هذه الحياة إلا شعاعاً ونوراً، لا تُظلم عليه الحياة أبداً، لا تضيق الأرض على المؤمن مهما ظن الناس أنها ضاقت. لَعْمُرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ بَآهْلِهَا وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(١)

ولكن أخلاق المؤمنين لا تضيق أبداً، دائماً أخلاق المؤمنين واسعة منفتحة، المؤمن واثق بأن النصر قادم، وأنَّ الفرج آتٍ لا ريب فيه، وأنَّ الله سيجعل مع العسر يسراً، هناك آية تقول: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]. وهناك آية أخرى تقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٨]. يقول سيّدنا عبد الله بن مسعود: اليسر مع العسر دائماً، لو دخل العسر جحرًا لتبعه اليسر^(٢). هذا شأن المؤمن.

أمل نوح ﷺ في الله:

ومن ينظر ويقرأ ويتأمل في هذا الكتاب العزيز، في القرآن الكريم: يجد هذا واضحاً في سير أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام. ابدأ من عهد نوح ﷺ، كيف عاش نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً، أي إذا قدرنا عمر الجيل بثلاثين عاماً يكون قد عاش ثلاثة وثلاثين جيلاً، جيل يذهب وجيل يأتي، وكل جيل أكفر ممّن كان قبله، لا يستجيبون لدعوة نوح، العصا من العصيّة، والحية لا تلد إلا حِيّة، كفار بعضهم من بعض، عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً، مثل هذا ينبغي أن يئس ويقول: لم تعد

(١) من شعر عمرو بن الأهتم. كما في المفضليات ص ١٢٧، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٦.

(٢) رواه ابن الجعد في مسنده (١٠٩٩).

هناك فائدة، سيتغلب الكفر على الإيمان، وستنتصر الجاهلية على الإسلام. ولكن نوحًا لم يئس أبدًا.

أمره الله ﷻ أن يصنع الفلك، يصنع السفينة، لأنه أعلمه أنه سيكون هناك نجاة للمؤمنين بهذه السفينة، وسيهلك الله الكافرين جميعًا، وكان المشركون يمرون على نوح ﷺ وهو يصنع السفينة، ويسخرون منه، فيقول لهم: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩].

وجاء اليوم الذي حدث فيه الطوفان، الطوفان ماء ينزل من السماء، وماء يخرج من الأرض، أصبح الماء يغمر الناس في كل مكان، لا يجد الناس خلاصًا منه أبدًا، وقال نوح لمن آمن معه وهم قليلون، ﴿وَمَا أَمْنٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، قال لهم: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، وقال لابنه: ﴿يَبْنِىْ أَرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣]، لا جبل ولا غير جبل، ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

دعا نوح ﷺ ربه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]. دعا ربه بهذا الدعاء فكان الطوفان، وكان الهلاك للقوم؛ إلا من أنجاه الله تعالى، فهذا هو الرسول الأوّل الذي أشرك قومه بالله وكفروا به.

أمل إبراهيم ﷺ في رحمة الله وقدرته:

وانظر بعد ذلك إلى سيّدنا إبراهيم، وأمل سيّدنا إبراهيم في الله، دعا إبراهيم قومه إلى عبادة الله، كانوا يعبدون الأصنام؛ فدعاهم إلى الله

الواحد، هذه أصنام لا تبصر ولا تسمع، ولا تضر ولا تنفع، ولا تخفض ولا ترفع؛ فدعوا هذه الأصنام واعبدوا الله.

وزهبوا إلى أحد أعيادهم، وأخذ إبراهيم فأسه معه - وكان فتى شابًا - وكسّر هذه الأصنام، جعلها جُذاذاً فُتاتًا؛ إلّا أكبر صنم بينها، تركه لعلهم يسألونه حينما يعودون عما حل بما حوله، ولما رجعوا من عيدهم قالوا: من فعل هذا؟ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، جاؤوا بإبراهيم وسألوه: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِهْلَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿ [الأنبياء: ٦٢، ٦٣]. اسألوا كبيرهم فهو الذي فعل هذا، ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ * ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿ [الأنبياء: ٦٤، ٦٥].

رجعوا إلى أنفسهم وعقولهم لحظات، يعود الإنسان فيها إلى رشده ويفكر بعقله، ثم انتكسوا، وانقلبوا على رؤوسهم، وأصبحوا يهددون إبراهيم، وأبوا إلّا أن يركبوا رؤوسهم ويتمردوا على عقولهم، ويلقوا إبراهيم في النار!

وفعلًا أقاموا نارًا هائلة، ثم ألقيوا إبراهيم فيها من بعيد، عن طريق المقلع، ولكن الله ﷻ حوّل النار إلى روح ورياحين، وقال للنار: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠]، النار التي تحرق في العادة لم تحرق إبراهيم، حولها الله إلى جنة لإبراهيم، مع أنهم كانوا يحشدون كل الأشياء التي تؤججها، وكانت المرأة تتبرع بصاقتها وذهبها لحراس الأصنام هؤلاء؛ ليؤججوا النار لإبراهيم حتى لا تبقي فيه باقية، ولكن الله نجّى إبراهيم من النار!

نجا إبراهيم من النار، وترك قومه إلى بلد آخر، وهناك بلغ إبراهيم الثمانين كما قيل، ولم يكن له ولد، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ

الصَّالِحِينَ ﴿[الصفات: ١٠٠]﴾. اشتاق إلى الولد فوهب الله له الولد الأول: إسماعيل، من هاجر التي وهبها ملك مصر لسارة، وكانت قصة إسماعيل مع أبيه؛ حين تعلق به أبوه، وأصبح محبًا له لا يكاد يفارقه، حتّى رأى في المنام أنّه يذبحه، ورؤيا الأنبياء حق، فعرف أنّ الله يريد منه هذا الامتحان العسير، ﴿كَأَلْ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ ﴿[الصفات: ١٠٢]﴾، وفعلًا أمسك بالسكين، وتلّه للجبين، وشرع يذبح ابنه، حين ذلك جاءه النداء الإلهي: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ١٠٤، ١٠٥].

نحن لا نريد أن تذبح ولدك، إنّما نريد أن نختبرك، نمتحنك، نبتيك، وقد نجحت في الامتحان والابتلاء، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۖ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠٦، ١٠٧]، فداه الله بكبش، وكان هذا أساس الأضحية في الإسلام، حينما نضحى في عيد الأضحية نتذكر قصة سيّدنا إبراهيم حين نجّى الله ابنه إسماعيل من الذبح بهذا الفداء، نجّى الله إسماعيل وأعطى إبراهيم مكافأة أخرى، بشره بإسحاق نبياً من الصالحين.

بشارة الملائكة بإسماعيل وإسحاق  :

لم يكن عنده ولد واحد؛ فأعطاه الله إسماعيل، وقال له: سنعطيك واحداً آخر. كما قال إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]. وهبه الله ولدين: غلام حليم هو إسماعيل، الذي تمثل حلمه في أنّه قبل الذبح ولم يبال، وغلام عليم هو إسحاق، ﴿إِنَّا بُشِّرْنَا بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، واحد من أهل الحلم وواحد من أهل العلم.

وقالت سارة امرأة سيدنا إبراهيم؛ لما بشرتها الملائكة بأنها ستلد إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، ﴿قَالَتْ يَوَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]، هكذا بلغ إبراهيم كل الخير بالأمل، أمله في رحمة الله، وفي قدرة الله، وفي عزة الله وعجل.

ونجد هذا الأمل عند أحد أحفاد إبراهيم عليه السلام، عند يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، فقد ابتلي يعقوب في ابنه الحبيب الأول يوسف عليه السلام، الذي أحبه من كل قلبه، وغار إخوته منه، ودبروا له ما دبروا، وكان أن ألقوه في الجُبِّ، وجاءت سيارة فأخذوه، وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين، واشتراه عزيز مصر، وقال لامراته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف: ٢١]. وكان يوسف صغيراً عمره خمس سنين أو نحو ذلك.

محنة يوسف عليه السلام :

ولما بلغ ما بلغ فُتنت به امرأة العزيز، فقد كان يوسف آية في الحُسن، في الجمال، في الشباب، في النضارة، فتنت به المرأة، ودعته إلى نفسها بصريح العبارة، قالت: هيت لك. وكان يمكن ليوسف أن يفعل ما يفعله، أن يقع في مثل هذه البلوى، فهو شاب مكتمل الشباب، وليس عنده زوجة، وهو غريب ليس في بلده، لا يوجد أحد يستحيي منه، والمرأة هي التي دعته ولم يدعها، فكان يمكن أن يرتكب الجريمة، ولكنه ردع المرأة بروادع الدين، وروادع الأخلاق، وروادع المصلحة، وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وجاءت المرأة بالنسوة وأرتهن ما أرتهن، وقالت لهن: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِّنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، صرّحت لهم بما كان منها: أنا راودته عن نفسه، ولكنه طلب العصمة، لجأ إلى من يعصمه عني، ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِّنَ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، في أوّل الأمر استعملت الإغراء، وهذه المرة تستعمل التهديد، فماذا كان من يوسف؟ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيُسْجَنَّنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٥].

يعقوب لم يئس من روح الله، ويوسف لم يفقد أمله:

وظل في السجن بضع سنين، حوالي تسع سنين، إلى أن هيا الله ما هيا، وخرج من السجن وأصبح عزيز مصر، وجاء إخوته إليه يطلبون المؤونة، حتّى كان ما كان وفقد يعقوب عليه السلام ابنه الثاني شقيق يوسف، فقد كان أولاد يعقوب من عدة نساء، فيوسف وأخوه من أم واحدة، والآخرون من أمهات أخرى، فحينما فقد يعقوب بنيامين شقيق يوسف قال: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]. قالوا: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوًا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]. قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٦، ٨٧].

تصوروا يعقوب بعد عشرات السنين: لم يئس من أن يجد يوسف الذي زعم إخوته أن الذئب أكله، ولكنه لم يصدق هذا، فأصبح يتمني يوسف، ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. هكذا أوصى

يعقوب بنيه، ولذلك رجعوا إلى مصر ووصية أبيهم في رؤوسهم وعلى ألسنتهم، فلما دخلوا على يوسف قالوا: ﴿يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَلَةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]. لا تساوي شيئاً ذا بال، البضاعة التي جاؤوا بها ليأخذوا مكانها قمحاً بضاعة قليلة وضعيفة، ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * [يوسف: ٨٨، ٨٩].

لم يئس يعقوب من روح الله، وعلم أبناءه هذا الدرس، وبحثوا عن يوسف ووجدوه، وكشف يوسف عن نفسه، ﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. من حصل على التقوى والصبر؛ فإن الله لن يضيعه أبداً، الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. الصبر والتقوى كان شعار يوسف وأخيه، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * [يوسف: ٩٠ - ٩٢].

وكان يوسف نفسه مثلاً للأمل، لأنه لم يفقد أمله أبداً في أن يلقي أباه، قال لإخوته: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]. وجمع الله الشمل، قال لهم يوسف: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

دخل يعقوب وأهله وأبنائه وأحفاده، دخلوا جميعاً إلى مصر آمنين، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ

قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال لهم: هذه حقيقة رؤياي حينما رأيت الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدين لي، أبوه وامرأة أبيه التي كأنها أمه؛ فهي التي ربته صغيرا، وإخوته الأحد عشر، كلهم سجدوا لهم وانحنوا له، فتحققت الرؤيا.

وجاء الله بكم من البدو حيث حياتكم في ضيق وضنك، إلى هذه البلاد الزراعية الواسعة بلاد النيل، قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾. ولم يقل: أخرجني من الجب. لأنه لا يريد أن يذكر ما فعله إخوته، يريد أن يفتح صفحة جديدة بيضاء تسع الجميع، وهنا دعا يوسف عليه السلام في آخر حياته: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. هكذا دعا يوسف عليه السلام.

محنة موسى عليه السلام:

أنبياء الله لهم تجارب عديدة في الأمل في الله، وحقق الله آمالهم، بعد يعقوب ويوسف: نجد سيدنا موسى عليه السلام، الذي بدأ الله محنته من أول يوم! سيدنا يوسف بدأ محنته بعد عدة سنين، أمّا موسى فبدأ محنته منذ وُلِدَ، أوحى الله إلى أم موسى ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وُلِدَ موسى في عهد فرعون، الذي كان ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، وألهم الله أمه أن ترميه في البحر إذا خافت عليه، ومن هي الأم التي إذا خافت على ابنها ترميه في البحر؟!

ولكن هذه أم مؤمنة استمعت إلى وحي الله، وهيات التابوت، ووضعت فيه موسى، ورمته في البحر، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، تتبعه من بعيد، وانظري أين يذهب، إلى أن رأت أنه ذهب ناحية قصر فرعون، وأن آل فرعن التقطوه، ﴿فَالنَّقْطَةُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

تصوروا أن موسى هو الذي سيزيل الله على يده ملك فرعون، فكيف يزيله؟ يهين فرعون ليربي موسى، فرعون الذي فعل الأفاعيل وقتل من قتل من الناس، ألوفاً من الرجال قتلهم ليحمي ملكه، يشاء الله أن يأتي إلى فرعون من سيقتله، ويأخذه في قصره يربيه بما عنده من أطايب ومن ثمرات، هكذا أراد الله ﷻ! كان فرعون في البداية يريد أن يقتل موسى، ولكن امرأة فرعون قالت له: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

تحقق وعد الله لأم موسى:

ثم ذهبت أخت موسى إلى آل فرعون، وقد حرم الله المراضع على موسى، لا يتناول ثدي أي مرضعة، رفض أن يرضع من أي امرأة، فقالت لهم أخت موسى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ [القصص: ١٢]. قالت لهم: أنا أعرف امرأة كان عندها طفلة وماتت، وعندها حليب، وتستطيع أن ترضعه لكم، وهم مخلصون لكم. فرحبوا بهذا وأعطوا موسى إلى أخته، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص: ١٣]، وتحقق وعد الله لأم موسى: ﴿إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَىٰكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

وظل موسى حتى بلغ أشده واستوى، سنين طويلة حدث فيها ما حدث، وقتل موسى رجلاً خطأ ففر من مصر إلى مدين، وتزوج في مدين، وعاش فيها عشر سنين، ثم عاد إلى مصر ليواجه فرعون المتجبر المتأله، الذي قال للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. بعثه الله إلى هذا الطاغية، ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]، واجهه موسى وأخوه برسالة ربهما، أن يرسل معهما بني إسرائيل، ﴿فَأَنبَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَى﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٧، ٤٨]، وكان ما كان من موسى ﷺ، تعرفون القصة، وهي مبثوثة في القرآن الكريم، كل المسلمين يعرفون قصة موسى لأنها موضحة في كتاب الله بحذافيرها.

مصير فرعون ومن معه:

نَجَّى الله موسى من فرعون، فلق البحر بعصاه، ودخل موسى وقومه، ودخل فرعون وجنوده وراءهم، فما كاد موسى وقومه يصلون إلى الشاطئ حتى أطبق البحر على فرعون وجنوده، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، هكذا يقول القرآن: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥]. حتى فرعون، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩٢]، بعد أن غرق أبقى الله بدنه؛ حتى يرى الناس جثته، فيعتبروا بمصيره.

نجا موسى وقومه إلى صحراء سيناء، وحكم الله عليهم أن يبقوا في هذه الصحراء أربعين سنة يتيهون في الأرض، ليعيشوا في أرض ليس فيها جبروت فرعون، ولا ذل بني إسرائيل لفرعون، لتتربى أجيال عديدة على الحرية.

هكذا نصر الله موسى وأخاه هارون على فرعون، وهياً لبني إسرائيل حياة جديدة، هذا ما صنعه الله تعالى لنبيه موسى وأخيه هارون.

وهناك أيها الإخوة أنبياء آخرون، سيّدنا زكريا، وسيّدنا أيوب، وسيّدنا يونس ذو النون، هؤلاء لا يتّسع المقام أن نتحدث عنهم في هذا اليوم، لا بدّ لنا من خطبة أخرى نستكمل فيها ماذا صنع أولياء الله حتّى نزل النصر عليهم؟ وماذا صنع الآخرون أيضاً؟ فالنصر يأتي ممّا يصنع المؤمنون، ومما يصنع الظالمون، الظالمون أيضاً يصنعون ما يعجل الله بهم نقمته، لا يمكن أن يدع الله الظالمين لشأنهم؛ فهم يفسدون في الأرض، يعيشون فيها فساداً، يتجبرون على المستضعفين، هؤلاء الظالمون المستكبرون يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، أَخَذَا أَلِيمًا شَدِيدًا، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]. فلا بدّ لنا من عودة أخرى في خطبة أخرى إن شاء الله؛ لنستكمل قصّة الأمل واليأس، يأس الكافرين وأمل المؤمنين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

ثورة سوريا:

لا بدّ لنا في كل خطبة أن نعرّج على حياة المسلمين، على واقع المسلمين، على ما يجري في بلاد المسلمين، وما يجري في بلاد المسلمين يندى له الجبين، وتبكي له الأعين، وتتفطر له الأكباد، بلاد المسلمين الآن تحتاج كلها إلى أن يتحدث عنها المتحدثون، وأن يفتش في أمرها كل من يريد أن يعرف ماذا يجري في هذه الأمة.

بعض النَّاس يقولون: الشيخ القرضاوي قال لنا: الأمة انتصرت، ونحن في زمن الربيع العربي. ونحن الآن نعود من الربيع العربي إلى الخريف، وأنَّ الأمة انتكست، وأنَّها لن تقوم من هذه النكسة.

وأنا أقول لهؤلاء: كذبتهم والله، لا يمكن أن تنتكس هذه الأمة انتكاسة لا مخرج منها، هذا مستحيل، كل انتكاسة لا بدّ لها من مخرج، كل كربة لا بدّ لها من فرج، كل مصيبة لا بدّ لها من زوال، هذه سنة الله وَعَلَيْكُمْ، لا يمكن أن تستمرَّ الكُرب أبد الدهر، ولا يمكن أن يستمرَّ الظلام أبد الدهر، إن بعد الظلام فجرًا، وإن بعد العسر يسرًا، وإن بعد الهزيمة نصرًا، هذه سنن الله، كيف تنكرون سنن الله يا قوم؟

نحن نؤمن بأن سنن الله غالبية، يمكن أن تنزل بالأمة بعض النوازل؛ نتيجة غفلة منها، نتيجة أنَّها لم تأخذ للأمر حقه، لم تقم بسنن الله، لم

تراع ما يجب، أهملت بعض الأشياء بناء على طيبة قلوبها، وثقت بأناس ظالمين، ظنت فيهم الخير وهم ليسوا بأهل خير، ظنت فيهم الطيبة وهم أهل خبث، ظنت فيهم الصلاح وهم أهل فساد، فلم تعمل الأمة بما يجب أن تعمل، لم تأخذ بالحزم، ولذلك جرى ما جرى.

ولكن هذا لا يدوم أبدًا أيُّها الإخوة، دوام الحال من المحال، إن ما يجري في بلادنا، ما يجري في سوريا لا يمكن أن يستمر أبدًا، لأن من المحال على الله وَعَلَّك أن يترك قلة من الناس يتحكمون في الشعب، الشعب في حقيقته ضدهم، الناس يدعون عليهم في صباحهم ومساءهم، في ليلهم ونهارهم، وفي خلواتهم في جنح الليل يدعون الله تعالى عليهم: أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

المرأة التي فقدت زوجها، والبنت التي فقدت أباه، والابن الذي فقد أباه، والأخ الذي فقد أخاه، والأب الذي فقد ابنه: كل هؤلاء يدعون على هؤلاء، أتظنون أن دعوة هؤلاء ضائعة؟ لا والله أبدًا، دعوات المؤمنين لا تضيع، دعوة المظلوم لا تضيع أبدًا، «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١). ويقول النبي ﷺ: «احذروا دعوة المظلوم ولو كان كافرًا؛ فليس بينها وبين الله حجاب»^(٢). حتَّى الكافر المظلوم، فما بالك بالمؤمن المظلوم؟ الله سُبْحَانَهُ يستجيب هذه الدعوات.

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٥١.

سِهامُ الليلِ صائبةُ المرامي إذا وُتِرَتْ بأوتارِ الخُشوعِ
يُصَوِّبُهَا إِلَى المَرْمَى رِجَالُ يُطِيلُونَ الشُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ
إذا أُوتِرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ قَلْبًا فما يُغْنِي التَّحَصُّنُ بِالدُّرُوعِ^(١)
هذه سهام الليل، سهام الله، ثقوا أن هذه السهام لا بد أن تصيب مرماها.

الله يمهّل ولا يهمل:

هؤلاء الذين يظنون أنّ الظالمين سيأخذون الغنيمة لقمة سائغة، وغنيمة باردة وبيضة مقشورة، لا والله هذا لا يمكن أبداً، إنّ الله سيأخذ الظالمين، هذه سنة الله!

من سنن الأمل في الله: أنّ الله يمهّل الظالمين ولا يهملهم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿[القلم: ٤٤، ٤٥]، كيد الله كيد متين، وأسرع الماكرين وأعظمهم هو الله، فكيد الله لا يُغلب، ومكر الله لا يُغلب أبداً، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهمُ رُؤِداً﴾ [الطارق: ١٥ - ١٧].

سينتصر المؤمنون في سوريا، صحيح هناك فئات تجتمع عليهم، يجتمع عليهم الإيرانيون، ويعثون إليهم برجال حرسهم، وبالأقوياء الأشداء المتمرسون على الحروب منهم، ويرسلون إليهم برجالهم من رجال العراق، ويعثون إليهم برجالهم من رجال لبنان (حزب الله) وأمثاله، وما هو بحزب الله؛ بل هو حزب الطاغوت وحزب الشيطان، الشيعة من كل البلاد يجمعون بعضهم إلى بعض؛ ليقاتلوا أهل السنة في سوريا، يقولون: هي قلعتنا الأخيرة لا يمكن أن نُسلم فيها، إيران تدفع برجالها وبأموالها، وبأسلحتها وبكيدها وبسياستها، تعمل في هذه المعركة.

(١) القائل هو إبراهيم الدسوقي صاحب الضريح المشهور في مصر، كما في روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين، للشيخ أحمد بن محمد الوتري ص ٥٠، نسخة حجرية طبع المطبعة الخيرية بالجمالية القاهرة سنة ١٣٠٦هـ.

ونحن نقول لأهل السُّنة في بلاد السُّنة، وهم أكثر من مليار ونصف في العالم: يا أهل السُّنة والجماعة، كيف تتركون إخوانكم يُقتلون؟ كيف تدعون النساء لهؤلاء الذئاب يفترسونهم؟ كيف تتركون الأطفال؟ كيف تتركون الشيوخ؟ كيف تتركون المدنيين؟ كيف تتركونهم يُقتلون؟ هؤلاء يقتلون النَّاسَ بحماقة وبجراً، يفعلون الأفاعيل والله، لا يمكن أن يتركهم الله أبداً، أنا واثق أن الله ﷻ سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وأنا أنادي إخواننا أهل السُّنة والجماعة في سوريا، من المعارضة، من المقاتلين أيّاً كانت وجهتهم، المقاتلون جميعاً من كل الفئات لا ينبغي أن يختلفوا، يجب أن يتفق الجميع؛ ليعارضوا هذا التكتل الشيعي الذي يقاتل المسلمين، حرام عليكم ألا تتفقوا يا أهل السُّنة، كونوا من تكونوا، ولكن ليتفق الجميع على أن يكونوا ضد هؤلاء، ليحموا المسلمين، والله لو اتفقت جميعاً لنصركم الله عليهم.

وعلى المسلمين في كلِّ مكان - حُكَّامًا ومحكومين - أن ينصروا هؤلاء الإخوة المستضعفين، الذين استضعفهم هؤلاء: يضربونهم بالبوارج من البحر، وبالمدبابات من البر، وبالطائرات من الجو، وبالمقاتلين والشبيحة من الأرض، يقتلونهم بكل ما يستطيعون، يقتلونهم بكل طريقة، يذبحون أحياناً، يقطعون الإنسان تقطيعاً، هؤلاء لا يبالون بشيء!

قفوا مع إخوانكم أيُّها المسلمون، يا أيُّها الإخوة في سوريا، يا أيُّها الإخوة في بلاد العرب، يا أيُّها الإخوة في بلاد المسلمين، يا أيُّها الإخوة في بلاد العالم، قفوا مع إخوانكم، لا تتركوهم أبداً، حرام عليكم والله أن تتركوا هؤلاء الإخوة في سوريا، إنَّهم يحتاجون إليكم: إلى أسلحتكم، إلى أيديكم، إلى أموالكم. هناك أناس يأكلون من القمامة، ولا يكادون

يجدون ما يأكلون، والمسلمون في كل مكان يستمتعون بما آتاهم الله وَجَّكَ، حرام عليك يا أخي والله: أن تأكل ملء بطنك، وتضحك ملء سنك، وتنام ملء جفنك، وإخوانك يئنون من الجوع أنين الملسوع، حرام عليك هذا يا أخي، قفوا أيها الإخوة مع إخوانكم.

إخوانكم على حق، ما طلبوا إلا أن تكون لهم حریتهم، وأن يكون شأنهم بأيديهم، وأن يكون لهم ما تم لإخوانهم في تونس وفي مصر، وفي ليبيا وفي اليمن، هذا مطلبهم من أول يوم، فأبى الظالمون، أبى بشار الأسد وجماعته ومن يؤيد ظلمه، وسيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، سينتقم الله تعالى منهم، الله يعلم ما يفعلون، لا تظن يا بشار الأسد ومن معك أنك غائب عن الله، الله يعلم ما تفعل في الليل والنهار، بإخواننا من أهل السنة في سوريا.

وليس الأمر موقوفًا على أهل السنة أيها الإخوة، إنهم يقتلون حتى من كان من النصيرية وليس معهم، ومن النصيرية أناس أشرف يرفضون هذا الظلم ولا يقبلونه، فهم ضد هؤلاء، ومن النصارى كذلك، ومن الأشوريين، ومن العرب وغير العرب، من الأكرد، كل هؤلاء ضد هؤلاء الظالمين، فثقوا أيها الإخوة أن الله ﷻ سينصر المؤمنين المضطهدين، هؤلاء المضطهدون لهم يوم قريب، سيمكنهم الله من أعدائهم، سينصرهم عليهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. هذه كلمة لإخوتنا في سوريا.

الانقلاب العسكري في مصر:

وهناك كلمة أخرى أقولها لإخوتنا في مصر، أقول لإخوتنا في مصر: لقد قرب النصر إن شاء الله، النصر آتٍ لا ريب فيه، الشعب المصري

معكم، مع الدكتور مرسى وإخوانه، التحالف الذي يؤيد الشرعية، الشرعية أن تبقى الأمور كما اتفق عليها أهل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م. ما اتفقوا عليه يجب أن يبقى، وقد أقاموا دستوراً، وصنعوا انتخابات خمس مرات، وأقر ذلك الشعب، لا يستطيع أحد أن يخرج الشعب المصري من هذا إلا أن تأتي انتخابات جديدة، ولم تأتِ انتخابات.

قالوا: ذهب الناس إلى ميدان التحرير. هذا لا يغني عما جاءت به الصناديق، صناديق الانتخاب لا يغني عنها شيء، ما جاءت به الصناديق يظل هو المعتمد، أمّا هؤلاء الذين يخرجون عن هذا فهم خارجون على الشعب، وخارجون على الشرع، وخارجون على الدستور والقانون، لا تجوز الطاعة لهم، من أطاعهم فقد خالف شرع الله.

شرع الله يقول: الذي انتخبته وعاهدته، وعاهدت الله أن تكون معه لا بد أن يظل هكذا؛ حتى يأتي انتخاب آخر بعد أربع سنين، ولذلك هؤلاء ليس معهم شرعية إطلاقاً، كل من يؤيد هؤلاء هو خارج عن الشرع، خارج عن الدستور، الآن يحاولون أن يعملوا دستوراً، لا يتسع الوقت لأحدثكم عما يجري في هذا الدستور، كل المواد العظيمة في دستور الشعب يريدون أن يحذفوها منه، حتى الأمور التي تُبنى على الأخلاق والإيمان والدين والوطنية، يريد هؤلاء أن يحذفوها.

لا بد للشعب المصري أن يحافظ على دستوره، ويحافظ على رئيسه، ويحافظ على نظامه الدستوري الديمقراطي الذي كافح الشعب من أجله، ظل الشعب ستين سنة في مصر صابراً على ما يُحكم به، وقبل الذل والهوان حتى كتب الله له الحرية مرة أخرى، وخارج الشعب عن بكرة أبيه، رجالاً ونساءً، وشباباً وشيوخاً، ومسلمين ومسيحيين، وإسلاميين

وليبراليين، من كل الفئات خرج الشعب كله يريد الحرية، بعد أن أخذنا الحرية بأيدينا، وأصبحنا نعيش بها ولها كيف نتركها؟

كان النَّاس في عهد مرسى يتكلمون كما يشاؤون، ويكتبون كما يشاؤون، ويتظاهرون كما يشاؤون، من الذي هيأ لهم أن يذهبوا ميدان التحرير؟ مُحَمَّد مرسى هو الذي هيأ هذه الحرية، كان يمكن أن يكبل النَّاس بقانون الطوارئ ومنع التجول، كما فعل هؤلاء ويمنع الناس، ولكنه ترك الحرية للناس!

هذه الحياة لا بدَّ أن تعود إلى مصر، وسيظل الشعب المصري متمسكًا بها، ولا يزال رغم ما يفعل الفاعلون، منع التجول وملء الشوارع بالدبابات والمدرعات، وقتل الناس، قتلوا بالآلاف، وسجنوا بالآلاف، وفتنوا النَّاس في حياتهم، وفي أجسامهم وفي أنفسهم.

حتى البنات لم يسلمن من بطشهم، ما رأينا أناسًا يعتقلون البنات، أنا اعتُقلت في أيام الملك فاروق فلم تعتقل امرأة واحدة، واعتُقلت في أيام عبد الناصر في الاعتقال الأول سنة ١٩٥٤م. وفي الاعتقال الثاني في أكتوبر من نفس العام، لم تعتقل امرأة واحدة، في سنة ١٩٦٥م. اعتقلوا أعدادًا قليلة من النساء كان من بينهن الأخت زينب الغزالي، التي عُدَّت ما عُدَّت، رحمها الله وتقبلها في الصالحين.

أمَّا هؤلاء فيأخذون النساء الآن بالعشرات والمئات، هؤلاء الظلمة المستكبرون في الأرض، لا يمكن للشعب المصري أن يسكت على ذلك أبدًا، الشعب المصري رفض هذا، وكل الشعوب العربيَّة الحرة ترفض هذا، وكل الشعوب الإسلاميَّة في العالم ترفض هذا، وكل الأحرار في العالم يرفضون هذا، كل ذي ضمير حي، كل ذي عقل حر، كل ذي إرادة نافذة، كلهم

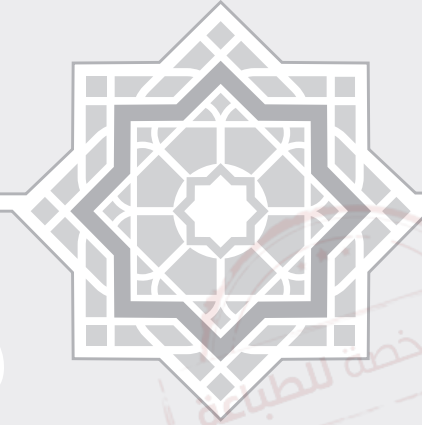
يرفضون أن يُساق الشعب كأنهم أبقار أو غنم، يساقون إلى (زريبتهم)، لا والله، هذا الشعب المصري شعب حُرٍّ أبِّي، يرفض أن يُساق إلى الذل والهوان.

سيظل الشعب المصري ضد هؤلاء، وسيصبر على تكاليف الحرية، ولن يضمن أبدًا في سبيل حريته بكل ما تستحق، سيدفع الغالي والرخيص من أجل أن تنال مصر حريتها، فثقوا أيُّها الإخوة أنَّ الله تعالى معكم ولن يترككم أعمالكم، أنَّ الله تعالى سينصر المؤمنين على الكافرين، سينصر أنصار الحرية على أدعيائها، سينصر أهل الحق على أهل الباطل، سينصر أهل العدل على أهل الظلم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللهمَّ اسْتَرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهمَّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، اللهمَّ خُذِ الظَّالِمِينَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ، اللهمَّ عَلَيْكَ بِالظَّالِمِينَ، اللهمَّ انصر المظلومين، اللهمَّ انصر عبادك المؤمنين، اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَعْزِمَهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ تَرْفَعَ شَأْنَهُمْ، اللهمَّ مَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ.

اللهمَّ افكك بقوتك أسرنا، واجبر برحمتك كسرنا، وتولَّ بعنايتك أمرنا، اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَعِزَّ الْإِسْلَامَ، وَأَنْ تَعْلِي كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ تَرْفَعَ رَايَةَ الْقُرْآنِ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللهمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، اللهمَّ صلِّ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٣٢١
سورة البقرة		
﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٣١	٢٤٣
﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٣٢	٢٤٣
﴿قَالَ يَتَكَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾	٣٣	٢٤٣
﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾	٥٧ - ٥٩	٢٦٧
﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مَصْرًا﴾	٦١	١٨٤
﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٨٣	١٣٤
﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾	١٠٢	٢٠١
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾	١١٤	٣١٠، ٢٦٩
﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	٣٤٦
﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	١٢٤	٢٦٧
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	١٤٥، ٧٥ ٣٣٤، ١٦٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾	١٤٥	٣٤٧
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ﴾	١٥٥ - ١٥٧	٢٨١
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	١٣٧، ٦٩
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾	١٨٠	١٤٠
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾	١٨٥	٣٢٣
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	١٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾	٢٠٦	٢٠٧
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	١٨٠
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	٢١٤	٢٩٩، ٢٩٨
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٥	١٣٧
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾	٢١٧	٣١٥
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾	٢٢٠	١٤١
﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾	٢٤٧	٨٧
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾	٢٥٠	٢٨٣
﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾	٢٥١	١٨٤، ٨٢
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾	٢٥٨	٨
﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾	٢٧٣	٥٥
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾	٢٧٥	٦٩
﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾	٢٧٦	٦٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾	١٤	٣٤٣
﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾	٣٥	٢٢٤
﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ ﴾	٣٦	٢٢٤
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ ﴾	٣٧	٢٢٤ ، ١٨٨
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ ﴾	٣٨	٢٢٤ ، ١٨٨
﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾	٥٣	٣٥٠
﴿ وَمَكْرُوءًا وَمَكْرُوءًا ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ ﴾	٥٤	٣٢٧
﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾	١٠٢	٩١
﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾	١٠٣	٢١٢ ، ١٦٣
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۖ ﴾	١٠٥	٢١٢
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	١٦٣ ، ١٤٥ ، ٧٥
﴿ وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۖ ﴾	١٢٠	٣٦٦
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتِمِ إِذْ لَقِيَ اللَّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	٣٠١ ، ٢٨٥
﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾	١٢٦	٢٩٨
﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾	١٤٠	٣٠٨ ، ٢٦٢
﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ ﴾	١٥٩	٥٧
﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ ﴾	١٦٠	٣٠٣
﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ ﴾	١٧٠	٩٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾	١٧٣	٣٠١
﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾	١٧٤	٣٠١
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	١٨١	١٢٤
﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	١٢٤
﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾	١٨٦	٣٦٦، ٢٨١، ٤
سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٢٠٢، ٢٠١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾	٢	١٣٨
﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْبَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًى﴾	٣	١٣٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾	٦	١٣٩
﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾	٨	١٣٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا﴾	١٠	١٣٨
﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٢٦٥، ٤٧
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٣٤	٢٢٥، ٢٠٦، ٢٠١
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٣٦	١٣٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾	٥٨	٢٦١، ٢٦٠
﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾	٧٦	٢١٦
﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾	٩٢	١٧١
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ﴾	١٦٣	٢٠٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾	٢	٣١٥، ٧٣
﴿أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾	٢١	٢٥٤
﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾	٢٢	٢٥٤
﴿قَالَ لَا قُتْلَنَكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١٥٠، ١٥١ ٢٤٧، ٣٤٤
﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَنُقَتِّلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُتْلَكَ﴾	٢٨	١٥١، ٢٤٧، ٣٤٤
﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾	٢٩	١٥١
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَاصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٣٠	١٥١، ٢٤٨ ٣٤٤، ٣٤٥
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾	٣١	١٥١، ٢٤٨
﴿أَنَّهُ، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٢	٩٦، ٢٥٧، ٣١١
﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾	٤٩	٣٤٧
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	٥١	٤٢، ٢٤٨
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	٦٤	١٢٤
﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾	٧٧	٣٤٦
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾	٨٧	٤، ٢٠٧
﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾	٨٨	٤، ٢٠٧
﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾	٩٧	٣١٥
سورة الأنعام		
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾	٢١	٤٢، ٢٧٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٤٤	٣٢٨
﴿ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٤٥	١٠٦، ٢٥٨، ٣٢٨، ٣٧٠
﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	٥٥	٣٢٢
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ ﴾	٩٠	١٩١
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾	٩٣	٢٧٠
﴿ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾	٩٤	١٢٢
﴿ أَنْظِرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾	٩٩	١٠٥
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾	١١٢	٤، ٥٤، ٣٢٥
﴿ وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	١١٦	٣٥٠
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾	١٢٣	٣٢٦، ٣٢٧
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	١٣٢	٢٧١، ٣٢٨، ٣٧٨
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾	١٥٢	١٤٠
سورة الأعراف		
﴿ ثُمَّ لَا تَبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾	١٧	٣٤١
﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا ﴾	٢٠ - ٢٢	٢٤٤
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٢٣	٢٤٤
﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾	٢٩	٢٦١
﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُودَ زِينَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾	٣١	٢٠٧
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾	٣٢	٢٠٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾	١٠٧	٤٦
﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴾	١٠٨	٤٦
﴿ يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾	١١٥	٣٣
﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿	١١٧ - ١٢٢	٣٤
﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿	١٢١ ، ١٢٢	٢٠٥ ، ١٨٣
﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦	٤٧
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾	١٣٠	٤٧
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ﴾	١٣٣	٤٧ ، ٣٢٨
﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾	١٣٤	٤٨
﴿ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَقْتَهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾	١٣٦	٥١
﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ ﴾	١٣٧	٥١
﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾	١٤٨	٣٤٥
﴿ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا ﴾	١٧٥	٣٤٨
﴿ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾	١٧٦	٣٤٨ ، ٣٤٩
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٨٢	٢٧١ ، ٣٢٨
﴿ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّا كِيدَىٰ مَتِينٌ ﴾	١٨٣	٢٧١ ، ٣٢٨
سورة الأنفال		
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾	١	٥٨
﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	٢٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٢	٢٨٣
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٦	٣٠١، ٢٨٥
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ﴾	٤١	١٣٧
﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾	٤٥	٢٨٢
﴿وَلَا تَنَزِعُوا عَنْفُسَكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٤٦	٢١٢
﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٣١٣
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾	٧٣	٢٣٨
سورة التوبة		
﴿إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾	٢٥	٣٠٢
﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٦	٣٠٢
﴿وَيَا أَيُّهَا اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	٣٢	٣٣٧
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾	٣٤	٦٥
﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾	٣٨	٣٥٥
﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾	٣٩	٣٥٥
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٧١	١٠٧
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِهِ، لَنْصَدَّقَنَّهُ﴾	٧٥ - ٧٧	١٢٤
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ﴾	١٠٠	٩١
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	١٣١، ٨٠
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾	١١٤	١٦٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٨٨
﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾	٣٢	٢٨٦
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٤٤	٢٦٤
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٩٩
﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾	٧٥	١١
﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٨١	٣٤
﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾	٨٢	٣٣٧، ٣٤
﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾	٨٣	١٨٢، ١١
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٨٥	١٨٣
﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	٨٦	١٨٣
﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾	٩٢	٣٦٩، ٢٦٧، ٥١
سورة هود		
﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾	٣٨	٣٦١
﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٣٩	٣٦١
﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٤٠	٣٦١، ٢٠٣
﴿أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٤١	٣٦١
﴿يَنْبِئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾	٤٢	٣٦١
﴿سَأَوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾	٤٣	٣٦١، ٢٠٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَيْكَ عَادٌ جَحْدُوا بِأَيَّتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	٥٩	٨
﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾	٧١	٢٢١
﴿قَالَتْ يَوْنُسُ أَيُّهَا الَّذِي أَنَا عَبْرٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ عَجِيبٌ﴾	٧٢	٢٢١، ٢٢٨، ٣٦٤
﴿قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾	٧٣	٢٢١، ٢٢٨، ٣٦٤
﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾	٨١	٢٠٤
﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾	٨٩	١٧٥
﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾	٩٨	٥١
﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾	٩٩	٥١
﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٤٢، ٥١، ٩٦، ١٦٤، ٢٤٨، ٢٥٨، ٢٧٦، ٣٧٠، ٣٢٨، ٢٩٧
﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتُمْسِكُمْ النَّارُ﴾	١١٣	٢٤٢
﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	١٢٠	١٩٠، ٢٨٣
سورة يوسف		
﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾	١٠	١١٩، ١٥٤
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾	١٤	١٧٠
﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوُهُ قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلَمٌ﴾	١٩	١٥٤
﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾	٢٠	١٥٤
﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾	٢١	٢٣، ١٥٤، ٣٦٤
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	٢٢	١٧، ١٥٨
﴿وَرَزَوْنَاهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾	٢٣	١٥٤، ١٥٥، ٣٦٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾	٣٠	١٥٥
﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾	٣١	١٥٥
﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾	٣٢	٣٦٥ ، ١٥٥
﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	٣٣	٣٦٥ ، ١٥٦
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٣٤	٣٦٥ ، ١٥٦
﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ، حَتَّىٰ حِينٍ﴾	٣٥	٣٦٥ ، ١٥٦
﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٣٦	١٥٨
﴿يَصْصَحِي السِّجْنَءَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٣٩	١٥٧
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾	٤٠	١٥٧
﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾	٤٣	١٥٧
﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلُمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلُمِ بِعَالِمِينَ﴾	٤٤	١٥٧
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾	٤٦	١٥٨
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ﴾	٥٠	١٥٧
﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾	٥٣	٣٤٤ ، ٣٤١
﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾	٥٥	١٧٤
﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾	٧٨	١٥٨
﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٨٣	٣٦٥
﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفُ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾	٨٥	٣٦٥
﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَفِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨٦	٣٦٥
﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾	٨٧	٣٦٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾	٨٨	٣٦٦
﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُونُسُ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾	٨٩	٣٦٦
﴿ قَالُوا أَءِتَيْنَاكَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾	٩٠	٣٦٦، ١٥٨
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾	٩١	٣٦٦
﴿ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾	٩٢	٣٦٦
﴿ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾	٩٣	٣٦٦
﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾	٩٩	٣٦٦، ١٥٨، ١٠
﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾	١٠٠	٣٦٦، ٣٦٧
﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾	١٠١	٣٦٧
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾	١١٠	٣٧٥
﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾	١١١	١٩٠
سورة الرعد		
﴿ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَدَابٌ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فِيمَكْتُ فِي الْأَرْضِ ﴾	١٧	٣٢٣، ٣١٤، ٢٤٠
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	٢٨	٢٢٠
﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾	٣٧	٣٤٧
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾	٣٨	٢٠٣
سورة إبراهيم		
﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾	٧	١١٧، ١٠٥، ١٠٤
﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ﴾	١٢	٢٨٢
﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	٣٥٦، ٣١٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾	٢٧	٢٨٣
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٣٢	٦٤
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ﴾	٣٣	٦٥
﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾	٣٤	٢٦٩ ، ٢٤٧ ، ٦٥
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾	٣٧	٢٢٠
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾	٣٩	٣٦٣ ، ٢٢٠ ، ١٥٣
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٢	٣٢٨ ، ٩٦
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾	٥٣	٣٦٣
سورة النحل		
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾	٧٢	٢٠٠ ، ١٦١
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	١٩٠
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾	٩٠	٢٦٠
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	١٠٢	٢٨٣
﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	١٠٥	٣١١
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	١٢٨	١٧
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	١	٣٥٢ ، ٣٥١
﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾	١٦	١٢٠
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	٣٣	٧٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾	٣٤	١٤٠
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾	٧٠	٣٣٤
﴿ وَلَوْلَا أَن تَبْنَتْنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾	٧٤	٢٨٣
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٢٤٠، ٢١٥
﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾	١٠٣	٣٦٩، ٢٦٦، ٥١
﴿ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴾	١٠٦	٢٨٣
سورة الكهف		
﴿ فَضَرْبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾	١١	١٨٩
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾	١٣	١٨٩
﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾	١٨	١٩٠
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾	٢٢	١٨٩
﴿ وَلَيْشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾	٢٥	١٨٩
﴿ وَلَا نُنْطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾	٢٨	٣٤٦
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ ﴾	٣٢	١١٤
﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْهُمَا أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴾	٣٣	١١٤
﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾	٣٤	١١٤
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾	٣٥	١١٤، ١١٥
﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾	٣٦	١١٤
﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾	٣٧	١١٥
﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾	٣٨	١١٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	٣٩ - ٤١	١١٥ ، ١١٦
﴿ فَأَصْبَحَ يَقُودُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾	٤٢	١١٦
﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَضُرُّونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴾	٤٣	١١٦ ، ١١٧
﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾	٤٤	١١٧
﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ﴾	٤٩	٣٢٩
﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾	٥٠	٣٤٣
﴿ أَسْتَطْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا ﴾	٧٧	١٣٤
﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾	٧٨	١٣٤
﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾	٨٢	١٣٤
سورة مريم		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾	٤ - ٦	٢٢٤
﴿ يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَسَّى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾	٧	٢٢٤
﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ ﴾	٩	٢٢٥
﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾	١٢	١٧ ، ١٥٢ ، ١٨٨
﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾	١٣	١٨٨
﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾	١٤	١٨٨
﴿ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾	١٥	١٨٨
﴿ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾	٤٢ - ٤٥	١٦٧
﴿ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِتِي يَا بُرْهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْحَمَنَكَ ﴾	٤٦	١٦٧
﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾	٥٤	١٦٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾	٥٥	١٦٨
﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾	٧١	٣٣٠
﴿ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾	٧٢	٣٣٠
سورة طه		
﴿ فَلَمَّا أَنْهَا نُودِيَ يَمُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	١١ - ١٦	١٧٦، ٢٩
﴿ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾	١٦	٣٤٦
﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا ﴾	١٧ - ٢١	١٧٦، ٢٩
﴿ ءَايَةٌ أُخْرَى * لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى * أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	٢٢ - ٣٥	١٧٦
﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَى ﴾	٢٢	١٧٦، ٢٩
﴿ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾	٢٣	٢٩
﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	٢٤	٣٦٩، ١٨٢، ٣٠
﴿ رَبِّ أَشْرِحْ لِي صَدْرِي * وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾	٢٥ - ٣٥	٣٣١، ٣٠
﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	٤٣	١٧٧
﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾	٤٤	١٧٧، ٣٠
﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾	٤٥	٣٠
﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾	٤٦	٢٦٦، ٣٠
﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ﴾	٤٧	٣٦٩، ٤٦، ٣١، ٣٠
﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾	٤٨	٣٦٩، ٣١
﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾	٥٩	٣٢
﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾	٦١	٣٥٦، ٣١٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾	٦٤	٣٣
﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾	٦٥ - ٦٧	٣٣
﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾	٦٨	٣٣
﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾	٦٩	٣٣
﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾	٧١	٣٤، ٣٥ ٤٧، ١٨٣
﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	٧٢	٣٥
﴿إِنَّا أَنَا بِرَبِّنا لَیَغْفِرُنَا خَطِئِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَیْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَابْقَى﴾	٧٣	٣٥
﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾	٧٤	٣٥، ٣٢٩
﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾	٧٥	٣٥، ٣٢٩
﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾	٧٦	٣٥
﴿فَأَضْرَبَ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى﴾	٧٧	٢٦٦
﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ﴾	٧٨	٢٦٦
﴿يَقُومُوا إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾	٩٠	٣٤٥
﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾	٩١	٣٤٥
﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾	٩٦	٣٤٥
﴿وَقَدْ حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾	١١١	٣٥٦
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾	١٢١، ١٢٢	٢٤٤
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٣١٤، ٣٣٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	٣٠	١٠٥
﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾	٥٧	١٥٢
﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾	٥٨	١٥٢
﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ﴾	٥٩	١٥٢
﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾	٦٠	١٥٢، ١٦٦، ٣٦٢
﴿ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾	٦٢	٣٦٢
﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾	٦٣	٣٦٢
﴿فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٦٤	٣٦٢
﴿ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾	٦٥	٣٦٢
﴿يَنْتَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾	٦٩	١٥٣، ٣٦٢
﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾	٧٠	٣٦٢
﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾	٧١	٣٥٢
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَخَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾	٧٨	١٨٥
﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾	٧٩	١٨٥
﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾	٨٠	٨٣
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٨٣	١٨٦
﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾	٨٧	١٨٨، ١٨٧
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	١٨٨
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ﴾	٩٠	٢٢٥
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾	٩٢	١٦٣، ١٤٥، ٧٥ ٣٣٤، ٢٣٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾	٣٧	١٧
﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠	٣٠٠
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	٤١	٣٠٠
﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾	٧٨	٢١٣
سورة المؤمنون		
﴿أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ﴾	٤٧	٣١
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	٥٢	١٦٣، ١٤٥، ٧٥ ٣٣٤، ٢٣٩
﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾	١٠٩	٣٥٠
سورة النور		
﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾	٢٦	٢٠٣
﴿وَعَاثُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾	٣٣	٨٥، ٦٦
سورة الفرقان		
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	٣١	٣٢٥، ٢٨١، ٥٤
﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾	٣٢	٢٨٣
﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	٣٤٧
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾	٤٤	٣٤٧
سورة الشعراء		
﴿أَلَمْ نَرْبِكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾	١٨ - ٢٢	٣١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٣	٣٢
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾	٢٤	٣٢
﴿أَلَا تَسْتَعُونُ﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿	٢٥ - ٢٧	٣٢
﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢٨	٣٢
﴿لَئِنْ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾	٢٩	٣٢، ٩
﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾	٣٠	٣٢
﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	٣١	٣٢
﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾	٣٢	٣٢
﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾	٣٣	٣٢
﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾	٣٤	٣٢
﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾	٣٥	٣٢
﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	٣٦	٣٢
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾	٣٧	٣٢، ٣٣
﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾	٣٨	٣٢
﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُزُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾	٤١	٣٣
﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾	٤٢	٣٣
﴿وَقَالُوا بِعِزَّتِكَ لَأَنتَ أَكْبَرُ مِنَّا فَهِيَ الْغَالِبُ﴾	٤٤	٣٣
﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿	٤٦ - ٤٨	٤٦
﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾	٦١	٢٦٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٢٦٦
﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾	٦٣	٢٦٦
﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ	٧٧ - ٨٢	١٦٧
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾	٨٣ - ٨٩	١٦٧
﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾	٩٩ - ١٠١	٣٢٤
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ	١٥٠ - ١٥٢	١٣٠ ، ٨
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	٤٢ ، ١٦٤ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٣٣ ، ٣٥٤
سورة النمل		
﴿يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ﴾	١٨	٨٤
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾	١٩	٨٥ ، ٨٦
﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾	٢٠	٨٤
﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِلُطْفٍ مُبِينٍ﴾	٢١	٨٤
﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ﴾	٢٢	٨٤
﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	٨٤
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾	٣٢	٤٣
﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾	٣٤	٨ ، ٢٥ ، ٤٣
﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	٤٠	١١٥
﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٥٠ - ٥٣	٢٧٥
﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾	٦٠	١٠٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً﴾	٤	٩، ١٠، ١١، ٢٦، ٣٠، ١٥٩، ٣٦٧
﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾	٥	١٥، ٢٦
﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾	٦	١٥
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَلِّمِيهِ فِي الْيَمِّ﴾	٧	١٢، ١٥، ١٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾	٨	١٢، ١٣، ١٤، ٤٥، ٣٦٨، ٢٤٢، ١٦٩
﴿قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	١٣، ٣١، ١٦٩، ٣٦٨، ٢٠٥
﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	١١	١٢، ٣٦٨
﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾	١٢	١٣، ١٥، ١٧٠، ٣٦٨
﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آثَمِهِ كَيْ نَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾	١٣	١٥، ١٧٠، ٣٦٨
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾	١٤	١٧، ١٧٠
﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ﴾	١٥	١٧، ١٨، ٢٦، ١٦٠، ١٧١، ٣٣٠، ٣٤١
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	١٦	١٨، ٢٦، ١٧١
﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾	١٧	١٨، ١٧١، ٣٣١
﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾	١٨	١٧٢، ٢٧
﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾	١٩	٢٧، ١٧٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾	٢٠	٢٧، ١٧٢، ٢٢٢
﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٢١	٢٧، ١٧٢، ٢٢٢
﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾	٢٢	٢٧، ١٧٢، ٢٢٢
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ﴾	٢٣	٢٧، ١٧٣، ٢٢٢
﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	٢٤	٢٨، ١٧٣، ٢٢٢
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾	٢٥	٢٢٢، ٢٢٣، ١٧٣، ١٧٤
﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبْتَ اسْتَغْرَهُ ابْنُ خَيْرٍ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾	٢٦	٢٨، ١٧٤، ٢٢٣
﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌ﴾	٢٧	٢٩، ١٧٥، ٢٢٣
﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ﴾	٢٨	٢٩، ١٧٥، ٢٢٣
﴿عَاسِكٍ مِّنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾	٢٩	٢٩، ١٧٥، ٢٢٨
﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾	٣٠	١٧٥
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾	٣٣	٣٠
﴿وَأَخِي هَارُوتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾	٣٤	٣٠
﴿فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾	٣٨	٩، ٣٠، ٤٩، ١٦٨، ٣٦٩
﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	٣٩	٤٥
﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾	٤٠	١٤، ٤٥، ٢٤٣
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾	٤١	٢٤٣
﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعَنَكُمُ اللَّهُ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾	٤٢	٢٤٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٤٩	٣٤٧
﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾	٥٠	٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٩
﴿ وَءَايَنَّهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِن مَفَاتِحَهُ، لَنَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾	٧٦	٤٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١١٣
﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾	٧٧	٩٩، ١٠٠
﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ ﴾	٧٨	٩٩، ١٠٠، ٣٢٨
﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾	٧٩	١٠٠
﴿ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾	٨٠	١٠١
﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ ﴾	٨١	١٠١
﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ ﴾	٨٢	١٠٢
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾	٨٣	١٠٢
سورة العنكبوت		
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾	٤٠	١٠٢
﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾	٤٦	١٩٧
سورة الروم		
﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَٰغِبُونَ ﴾	٢ - ٥	٢٩٩
﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾	٢١	٢٠٠، ٢٠١، ٢٢٠
﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴾	٢٩	٣٤٠
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٢٩٩
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾	٥٤	٤٥، ١٤٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة لقمان		
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾	٢٠	٦٤
﴿يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾	٣٣	٢٦٣ ، ٢٤٥
سورة السجدة		
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾	١٨	٣٢٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾	٢٢	٣٢٣ ، ٢٦٩
سورة الأحزاب		
﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾	٤	٢٢٥
﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾	٥	٢٢٥ ، ١٤
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾	٢٥ - ٢٧	٣٠٢
﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ الْأَزْوَاجِ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	٢٨	٢٢٦ ، ٢٢٧
﴿وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ﴾	٢٩	٢٢٧
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾	٣٣	٢٢٨
﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾	٣٤	٢٢٨
﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾	٣٧	٢٢٥ ، ٢٢٦
﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾	٤٤	١٨٠
﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	٧٢	٢٤٧ ، ٢٦٩
سورة سبأ		
﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	١١	٨٣
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَهَا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا﴾	١٢	٨٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَةٍ﴾	١٣	٨٣
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾	١٥	١٠٤
﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَىءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾	١٦	١٠٥
﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾	١٧	١٠٦
﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ﴾	٣٢	٣٢٥
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	٣٤	١١٩
﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾	٣٥	١١٩
﴿وَمَا آنَفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	٣٩	١١٧، ٧٢، ٧١
سورة فاطر		
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	١٤٦
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	٤٣	٢٩٨، ٢٧٥
سورة يس		
﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾	٣٣ - ٣٥	١١٦، ٦٢
﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾	٣٥	٨٥
﴿وَأَمَّنُّوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾	٥٩	٣٣٢
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾	٧١	٦٣
﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾	٧٢	٦٣
﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ﴾	٧٣	٦٣
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	٣٥٩، ٢٢١، ١٠١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصافات		
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	١٠٠	٣٦٢
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾	١٠٢	٣٦٣، ٢٢٢، ١٥٣
﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾	١٠٣	٢٢٢، ١٥٣
﴿ أَنْ يَتَّخِذَهُمْ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٠٤ - ١١١	١٥٣، ١٦٨، ٣٦٣، ٢٢٢
﴿ وَبَشِّرْهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	١١٢	٢٢٢
﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾	١١٣	٢٢٢، ٢٦٧
﴿ فَالْتَقِمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾	١٤٢	١٨٧
﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٧١	٢٩٩
﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾	١٧٢	٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠٧
﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾	١٧٣	٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٠
سورة ص		
﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾	١٧ - ٢٠	٨٢
﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾	٢٦	٣٤٦
﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾	٣٥ - ٣٩	٨٣، ١٨٥
﴿ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿	٣٧، ٣٨	٨٣
﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿	٤١	١٨٦
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿	٤٤	١٨٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾	٣	٣٠٠
سورة خافر		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾	٢٣	٩٨ ، ٤٥
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاجِرٌ كَذَّابٌ﴾	٢٤	٩٨ ، ٤٥
﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾	٢٦	٤٨
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾	٢٧	٤٨
﴿أَنقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	٢٨	٣٠٠ ، ٤٩
﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾	٢٩	٤٩ ، ٤٨
﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾	٣٨ - ٤٥	٥٠
﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾	٤٥	٥٠
﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾	٤٦	٥٠
﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	٥١	٢٩٩
سورة فصلت		
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦	١١٥ ، ٦١
سورة الشورى		
﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾	١١	٢٠٠
﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۖ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	١٧	٣٢٢
﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	٤٠	٢٤٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٥٥	٣٦٩، ٥١
﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ لَا يُفَرِّغُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿	٧٤ - ٧٨	٣٢١
سورة الدخان		
﴿ اَنْ اَدُوْا اِلَىٰ عِبَادِ اللّٰهِ اِنِّي لَكُمْ رَسُوْلٌ اٰمِيْنٌ ﴾	١٨	١٦٠
﴿ وَاَنْ لَا تَعْلُوْا عَلٰى اللّٰهِ اِنِّيْ ءَاتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ مُّبِيْنٍ ﴾	١٩	١٦٠
﴿ وَاِنِّيْ عٰدْتُ بَرِيٍّ وَرَبِّكُمْ اَنْ تَرْجُمُوْهُنَّ ﴾ وَاِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا لِيْ فَاَعٰزِلُوْنَ ﴿	٢٠ - ٢٢	٣٢٨
﴿ اِنَّهٗ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾	٣١	١٥٩، ٤٤، ٣٠، ١١
﴿ اَهُمْ خَيْرٌ اَمْ قَوْمٌ تُبَّعَ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ اَهْلَكْتَهُمْ اِنَّهُمْ كَانُوْا مُّجْرِمِيْنَ ﴾	٣٧	٣٢٨
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	٦٤
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلٰى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْاَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴾	١٨	٣٤٨
﴿ اِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوْا عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَّاِنَّ الظّٰلِمِيْنَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾	١٩	٣٤٨
﴿ اَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْاِلٰهَهُ هَوْنَهُ وَاَضَلَّهٗ اللّٰهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَّخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهٖ وَقَلْبِهٖ ﴾	٢٣	٣٤٨
سورة الأحقاف		
﴿ رِيْحٌ فِيْهَا عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴾	٢٤	٣٢٩، ٣٢٩
﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِاَمْرِ رَبِّهَا فَاَصْبَحُوْا لَا يُرَىٰ اِلَّا مَسٰكِنُهُمْ ﴾	٢٥	٣٢٩، ٣٢٩
سورة محمد		
﴿ وَالَّذِيْنَ قُلُوْا فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ فَلَنْ يُضِلَّ اَعْمَالَهُمْ ﴾ سَيَهْدِيْهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿	٤ - ٧	٣٠٨، ٢٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾	١٤	٣٤٩
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾	١٦	٣٤٩
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾	٣١	٢٨١
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	١ - ٣	٣٠٢
سورة الحجرات		
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٠	٥٨
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾	١٣	٨٩
سورة ق		
﴿ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾	٣٠	١٠٣
سورة النجم		
﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾	١ - ٤	٣٤٢
﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾	٢٣	٣٤٠
سورة القمر		
﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾	٤٧	٣٣٠، ٣٢١
﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾	٤٨	٣٣٠، ٣٢١
سورة الرحمن		
﴿ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ سِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾	٤١	٣٣٢
سورة الحديد		
﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾	٧	٦٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾	١١	١٢٤
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾	٢٥	٣٢٢
سورة المجادلة		
﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ ﴾	٦	٣٢٩
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٧	١٠٥
﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾	١٩	٢٣٦
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾	٢٠	٢٣٦
﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٢١	٢٣٦، ٣٠٣
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾	٢٢	٢٣٦
سورة الحشر		
﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾	٢	٣٠٤
﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾	٧	١٣٧
سورة الجمعة		
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾	٩	١٩٢
سورة المنافقون		
﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٨	١٤٦
سورة الطلاق		
﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	٧	٣٦٠
سورة التحريم		
﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	١ - ٣	٢٢٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنْ نُوَبِّإِلَى اللَّهِ فَقَدِ اصْغَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾	٤	٢٢٩
﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَةً مُؤْمِنَةً قَلِيلًا﴾	٥	٢٢٩
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٣٤٠
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾	١٠	٢٠٣
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾	١١	٢٠٥، ٤٩
سورة الملك		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾	١٥	٦٤
﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٢٢	٣٣١
سورة القلم		
﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	١١٧
﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاظٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾	١٠ - ١٦	١٢٣
﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾	١٧، ١٨	١١٧، ١١٨
﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾	١٩، ٢٠	١١٨، ١١٩
﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾	٢٣	١١٨
﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَغَدَا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرٍ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾	٢٤ - ٢٦	١١٨
﴿بَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ﴾	٢٧	١١٨
﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾	٢٨	١١٨، ١١٩
﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	٢٩	١١٩
﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	٣٣	١١٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَجَعَلُ الْمُتْسِلِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾	٣٦، ٣٥	٣٢٣
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾	٤٥، ٤٤	٣٧٣
سورة المعارج		
﴿يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيهِ * وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾	١٥ - ١١	٣٢٩
سورة نوح		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾	٦، ٥	٢٠٣
﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾	٢١	٨
﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا﴾	٢٢	٨
﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	٣٦١
﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾	٢٧	٣٦١
سورة المزمل		
﴿يَأْتِيهَا الْمُرْئِلُ * فَرَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَضْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾	٥ - ١	٢٨٤
سورة المدثر		
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا﴾	٣٠ - ١١	١٢٣
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾	٤٢ - ٣٨	٣٣٠
﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾	٤٤، ٤٣	٣٣٠
سورة القيامة		
﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	٢	٣٤٤
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	٢	٢٨٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المرسلات		
﴿ أَلَمْ نُنْهِكِ الْأَوَّلِينَ * نُمُ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾	١٦ - ١٨	٣٢٩
سورة النازعات		
﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى * وَاهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخْشَى ﴾	١٨ ، ١٩	١٧٧ ، ٣١
﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾	٢٤	٣٠ ، ٩ ٣٦٩ ، ١٦٨
سورة عبس		
﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَجْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾	٣٤ - ٣٧	٢٤٥
﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾	٣٧	٢٦٣
سورة المطففين		
﴿ وَيَلُّ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾	١ - ٦	٢٥٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾	٢٩ - ٣١	٣٣٢
﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾	٣٤ - ٣٦	٣٣٢
سورة البروج		
﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ مُّشْهُودٍ ﴾	١ - ٧	٢٨٦
﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾	٨	٢٨٧
سورة الطارق		
﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَكَيْدُ كَيْدًا * فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيدًا ﴾	١٥ - ١٧	٣٧٣ ، ٣٢٧ ، ٢٧١
سورة الأعلى		
﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾	٢ - ٥	٢٦٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفجر		
﴿وَالْفَجْرِ﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿	٢، ١	٣١٥
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴿	١٤ - ٦	٤٤
﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿	١٤ - ١٠	١١، ٤٥، ١٠٣، ٣٢٩، ٢٧٥
﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿	٣٠ - ٢٧	٣٤٤
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿	٤	٢٧٩
سورة الليل		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿	٦، ٥	٨٨
﴿فَسَنِّيَرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿	٧	٨٨
﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿ فَسَنِّيَرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿	١٠ - ٨	٨٨
﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿	٢١ - ١٤	٩٠، ٨٩
سورة الضحى		
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿	٥	٩٠
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿	٩ - ٦	١٣٦
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿	١٠، ٩	١٣٦
سورة الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿	٨ - ٥	٣٦٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٣٣٤
سورة العلق		
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ * أَن رَّاهُ اسْتَعْجَلَ﴾	٧، ٦	١١٤
سورة البينة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾	٧	٣٤١
سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾	١١ - ٦	٢٦٣
سورة الهمة		
﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾	٩ - ١	١٢٣
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾	١	١٣٥
﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ﴾	٢	١٣٥
﴿وَلَا يُخِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾	٣	١٣٥
سورة النصر		
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾	١	٣٠٢
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾	٥ - ١	١٢٢، ١٢١

* * *



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
٢٤٦	أتدرون من المُفْلِس؟ قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له
٢٥١	اتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنَّها ليس بينها وبين الله حِجاب
٢٥١	اتَّقُوا دعوةَ المظلوم وإن كان كافرًا، فليس بينها وبين الله حِجاب
١٨٥، ١٨٤	أَحَبُّ الصَّيَامِ إلى الله صِيَامُ داود، كان يصومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا
٣١٦	أَحْتَسِبُ على الله في يوم عرفة أن يُكَفِّرَ السنةَ الباقية، والسنةَ المُسْتَقْبَلَةَ
٣٧٢	احذروا دعوةَ المظلوم ولو كان كافرًا؛ فليس بينها وبين الله حِجاب
١٢١	أَرَأَيْتَكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تريد أن تُغِيرَ عليكم
٢٠٠	استوصوا بالنساء؛ فَإِنَّ المرأةَ خُلِقَتْ من ضِلَعٍ
٢٨٢	أَشَدُّ النَّاسِ بلاءَ الأنبياء، ثُمَّ الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجلُ على قَدَرِ دِينِهِ
٢٨٥	أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالها شاعرٌ كَلِمَةُ لَبِيد بن رَبِيعَةَ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا الله باطلٌ
١٥٠	اغتنم خمسا قبل خمس: شبَابَكَ قبل هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِكَ
١٣٨	اغسل حَوْبَتِي، واقبل تَوْبَتِي
٢٠٥، ١٣	أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وفاطمةُ بنتُ مُحَمَّدٍ
٢٤٩	أَكُلْ أولادك نحلتهم مثل هذا؟ أعطيتهم مثل هذه العطية؟ قال: لا
٢٠٦	أَلَا أَخْبِرُكَ بخيرِ ما يَكْنِزُ المرءُ: المرأةُ الصالحةُ، إذا نظر إليها سرته

رقم الصفحة	الحديث
٨٧	اللَّهُمَّ أَحْنِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، واحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ
١٥٦	اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا
٢٠٧	إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ - لَيْسَ هَذَا مِنَ الْكِبَرِ - الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ
٢٧٦، ١٦٤، ٤٢	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ
١٣	إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ
٥٦	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ
٨٦	إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُيئَ لَهُ أَنْ يَمْسَكَ بِجَنِي وَأَنْ يَحْبِسَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ
١٣٦	أَنَا وَكَافُلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ
٢٥٠	إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ب	
٢٠٨	بَحْسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ
ت	
١٦١	تَنَاحُوا تَنَاسَلُوا تَكْثُرُوا
٢٠٦	تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا
ث	
٣١٧، ٣١٦	ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يَفْطُرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
ح	
٦٨	الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ
خ	
٥	خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءٌ، فَإِذَا صَارَ رِشْوَةً عَلَى الدِّينِ فَلَا تَأْخُذُوهُ
٢٨٧، ٢٨٦	خُذُوا الْعَطَاءَ مَا دَامَ عَطَاءٌ... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمُوتٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ خَيْرٌ



الحديث	رقم الصفحة
د	
دخلت امرأة النار في هرة حبستها؛ فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل	٢٦٨
دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروبٌ إلا فرّج الله عنه	١٨٨ ، ١٨٧
دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء	٣٧٢
الدُّنيا متاعٌ، وخير متاعها المرأة الصّالحة	٢٠٨ ، ٢٠٧
س	
سبعة يُظِلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: الإمام العادل	١٤٩
ع	
عَجِبَ ربُّنا من شابٍّ لا صبوة له	١٤٩
عن عُمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيمَ أبلاه	١٥٠
ف	
فأجدُ امرأة تبادرني - تريد أن تدخل الجنة معي أو قبلي -	١٣٦
فأكثروا فيهنَّ من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير	٣١٦
ك	
كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه	٨٢
ل	
لا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٢١٢ ، ١٦٢ ، ١٦٣
لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض	٢٤٠
لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة؛ حتَّى يُسألَ عن أربع: عن عُمره فيمَ أفناه؟	٦٧
لا تسألني امرأة منهنَّ إلا أخبرتها، إنَّ الله لم يبعثني مُعْتَنًا ولا مُتَعَتًّا	٢٢٧

رقم الصفحة	الحديث
٢٩٠	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام
٨٩	لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي
٣١٢	لا يزال المؤمن في فسحة من دينه؛ حتى يسفك دمًا حرامًا
٣١١، ٧٦	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم بغير حق
٧٠	ليس منّا من بات شبعان، وجاره إلى جنبه جائع
م	
١٨٥، ٨٢	ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده
٥٦	ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا انتزع من شيء إلا شانه
٣١٦، ٣١٥	ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر
٨٨	ماذا تركت لأهلك يا أبا بكر
١٦٢	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد
٣٩	المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم
١٤	من احتكر فهو خاطئ
١٩٣	من راح في الساعة الأولى - أي في الفوج الأول - فكأنما قرب بدنة
٢٦٨	من قتل عصفورًا عبثًا؛ عَجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب
١٤٦	من مشى مع ظالم ليُعينه وهو يعلم أنه ظالم، فقد خرج من الإسلام
٥٦	مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله
١٦٢، ٣٩	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا
ن	
٣٠٣	نوفي لهم بشرطهم، ونستعين الله عليهم



رقم الصفحة	الحديث
و	
١٣	وأصبحت من النساء التي أكملهن الله، من أربع نساء أكملهن الله
١٣	والله تعالى وضع عن الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه
١٥١	ومن سنّ سنّة سيئة؛ فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة
٢٤٨	ومن ظلم إحدى الزوجتين جاء يوم القيامة وأحد شقيّه مائلاً
ي	
٢٢٧	يا عائشة، إنني أريد أن أعرض عليك أمراً أحبُّ ألاّ تعجلي فيه
٢٦٤	يا عائشة، لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته
٢٤١	يا عبادي، إنني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته حراماً بينكم، فلا تظالموا
٦٨	يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي المرء ما أخذ منه: أمن الحلال أم من الحرام

* * *



فهرس الموضوعات

- ٤..... • من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥..... • من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧..... ١ - الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٥)
- ٧..... الملوك والحكام الظلمة
- ٨..... فرعون مصر
- ٩..... إن فرعون علا في الأرض
- ١٠..... جعل أهلها شيعة
- ١٠..... استضعاف بني إسرائيل
- ١١..... إنَّه كان من المفسدين
- ١٢..... ميلاد موسى ﷺ
- ١٤..... ذكر المرأة وأثرها
- ١٥..... نعمة الله على الذين استضعفوا
- ١٦..... تهيئة الله للأسباب
- ١٦..... تربية موسى في قصر فرعون
- ١٧..... فاستغاثه الذي هو من شيعته
- ١٩..... موقف قطر من الربيع العربي



- ٢١.....ثورة سوريا
- ٢٢.....حكم الأسر الجمهوريّة
- ٢٢.....الجيش الحر هو من يمثل سوريا الحرة
- ٢٥.....٢ - الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٦)
- ٢٦.....إن فرعون علا في الأرض
- ٢٧.....وأصبح في المدينة خائفا يترقب
- ٢٧.....فسقى لهما
- ٢٨.....القوي الأمين
- ٢٩.....آنس من جانب الطور نارا
- ٣٠.....اذهب إلى فرعون إنه طغى
- ٣٠.....فقلوا له قولا لينا
- ٣٢.....فجمع السحرة
- ٣٣.....إنك أنت الأعلى
- ٣٤.....آمنا برب العالمين
- ٣٥.....لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
- ٣٧.....دعم قطر لمصر
- ٣٨.....الذكرى الثانية لثورة ٢٥ يناير
- ٣٩.....ثورة سوريا
- ٤٣.....٣ - الملوك والحُكَّام في القرآن الكريم (٧)
- ٤٤.....فرعون مصر
- ٤٥.....فرعون وهامان وقارون
- ٤٥.....عسكر فرعون وجنوده

- ٤٦.....قارون والرأسمالية الطاغية
- ٤٧.....ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين
- ٤٨.....ذروني أقتل موسى
- ٤٨.....مؤمن آل فرعون
- ٥١.....فأغرقناه ومن معه جميعا
- ٥٣.....ضرورة نبذ العنف في مصر
- ٥٣.....حقيقة الشعب المصري
- ٥٤.....الفساد ترك وراءه مرافق غير صالحة
- ٥٦.....إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
- ٥٧.....العنف مرفوض
- ٥٨.....إخوتنا في سوريا
- ٦١.....٤ - المال والغنى في القرآن الكريم
- ٦١.....المال في الحقيقة هو مال الله
- ٦٢.....هذا صنع الله
- ٦٣.....الله تعالى هو من يمنح الجهد والفكر لكسب المال
- ٦٣.....سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
- ٦٥.....نِعَمَ اللَّهُ لَا تُحْصَى
- ٦٥.....هداية الإنسان لأنواع النقود
- ٦٦.....تملك الإنسان هو تملك مجازي
- ٦٧.....لله تعالى أوامر تتعلق بالمال
- ٦٧.....تحري الحلال، واجتناب الحرام في الأموال

- ٦٩..... من أين اكتسبه، وفيَم أنفقه
- ٦٩..... الحقوق المالية في المال
- ٧١..... المؤمن أمين على ما استخلفه الله فيه
- ٧١..... نماذج من الأسخياء
- ٧٣..... القمّة الإسلاميّة في القاهرة
- ٧٥..... أمّة محمد لا تترايط والأمم الأخرى تتوحد
- ٧٦..... اغتيال شكري بلعيد
- ٧٧..... أحكام بالإعدام والمؤبد في بنجلاديش
- ٧٨..... الناس لا يُقتل من أجل آرائهم
- ٧٩..... هذا أمر ينكره كل المسلمين
- ٨١..... ٥ - الأغنياء في القرآن الكريم (١)
- ٨١..... ملك ولكنه إذا أكل لا يشبع
- ٨٢..... داود عليه السلام أوتي الملك والحكمة
- ٨٢..... تليين الحديد لداود عليه السلام
- ٨٣..... ملك لا ينبغي مثله لأحد من بعد سليمان عليه السلام
- ٨٣..... تسخير المخلوقات له
- ٨٤..... هدهد أتى بنياً يقين
- ٨٥..... كان نعم الغني الشاكر
- ٨٦..... آخر ما يتمناه الصالح
- ٨٦..... تسبيحة في صحيفة المؤمن خير ملك سليمان
- ٨٧..... الملك طالوت عليه السلام زاده الله بسطة في العلم والجسم
- ٨٨..... أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا

- ٨٩.....إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى
- ٩١.....مُحَارَبَةُ الْإِسْلَامِ
- ٩١.....كَيْفَ تَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟
- ٩١.....نَحَارِبُ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ وَلَنْ نُفَرِّطَ فِيهِ
- ٩٢.....ثَوْرَةٌ سُورِيَا
- ٩٣.....كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ نَخْوَةٌ يَقِفُ مَعَ الشَّعْبِ السُّورِيِّ
- ٩٤.....الانتخابات النيابية في مصر
- ٩٥.....استقرار تونس
- ٩٥.....قضية بنجلاديش
- ٩٨.....٦ - الأغنياء في القرآن الكريم (٢)
- ٩٨.....نموذج قارون
- ٩٩.....أحسن كما أحسن الله إليك
- ١٠٠.....شأن الأغنياء الرأسماليين الطغاة
- ١٠٠.....ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا
- ١٠١.....نهاية قارون
- ١٠٢.....الجنة للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا
- ١٠٣.....أهل سبأ
- ١٠٥.....فأعرضوا فأرسل الله عليهم سيل العرم
- ١٠٦.....جزاء الكفر بنعم الله
- ١٠٧.....قضية فلسطين
- ١١٠.....قضية الأسرى في سجون الصهاينة
- ١١٠.....قضية العراق



- ٧ - الأغنياء في القرآن الكريم (٣) ١١٣
- صاحب الجنتين ١١٣
- مخطئ من لا يعرف قوانين الله وسننه ١١٥
- فأصبح يُقَلَّبُ كَفِّهِ على ما أنفق ١١٦
- الشكر يضاعف النعمة ١١٧
- أصحاب الجنة ١١٧
- فطائف عليها طائف من ربك ١١٨
- المجتمع ممزوج بين الخير والشر ١١٨
- من أغنياء العرب ١١٩
- دور المترفين في تدمير الأمم وهلاك المجتمعات ١٢٠
- أبو لهب أحد أغنياء قريش ١٢١
- ومن أغنياء قريش الوليد بن المغيرة ١٢٢
- الأخنس بن شريق ١٢٣
- الأغنياء من المنافقين واليهود ١٢٤
- ثورة سوريا ١٢٥
- مقتل الشيخ البوطي ١٢٦
- ثورة مصر ١٢٩
- ٨ - اليتيم في القرآن الكريم ١٣٢
- من هو اليتيم؟ ١٣٣
- اهتمام الأديان جميعًا باليتيم ١٣٤
- اهتمام الإسلام باليتيم ١٣٥

- ثانياً الاهتمام بأموال اليتامى ١٣٨
- الوصية الواجبة لليتيم ١٣٩
- وصية القرآن بمال اليتيم ١٤٠
- أطفال الشوارع ١٤٢
- ثورة سوريا ١٤٥
- ٩ - الشباب في القرآن الكريم (١) ١٤٨
- مرحلة القوة بين مرحلتي الضعف ١٤٨
- اغتنم شبابك قبل هرمك ١٥٠
- قصة ابن آدم ١٥٠
- إبراهيم عليه السلام ١٥٢
- إسماعيل عليه السلام ١٥٣
- يوسف عليه السلام ١٥٣
- دعوة يوسف عليه السلام في السجن ١٥٦
- رؤيا الملك وتعبير يوسف عليه السلام ١٥٧
- موسى عليه السلام ١٥٩
- وحدة الأمة ١٦١
- من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ١٦٢
- سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ١٦٤
- ١٠ - الشباب في القرآن الكريم (٢) ١٦٦
- دعوة إبراهيم لأبيه وللناس ١٦٧
- موقف إسماعيل عليه والسلام ووصفه في القرآن ١٦٨

- ١٦٨..... موسى ﷺ
- ١٦٩..... الأنبياء يُرَبُّون في أتون المحنة
- ١٧٠..... بعض المشاهد من شباب موسى ﷺ
- ١٧٢..... إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بك لِيَقْتُلُوكَ
- ١٧٤..... إِنَّ خَيْرَ من استَأْجَرْتَ القَوِيَّ الأَمِينُ
- ١٧٥..... نبوة موسى بالوادي المقدس طُوًى
- ١٧٧..... القول اللين مطلوب من الداعية
- ١٧٨..... زيارة المجاهد إسماعيل هَنِيَّةَ قَطْرَ
- ١٧٩..... تفجيرات بوسطن وتكساس
- ١٨٤..... ١١ - الشباب في القرآن الكريم (٣)
- ١٨٢..... ذرية من قوم موسى آمنوا به على خوف من فرعون
- ١٨٣..... حياة جديدة في الصحراء
- ١٨٤..... داود ﷺ
- ١٨٥..... سليمان ﷺ
- ١٨٦..... أيوب ﷺ
- ١٨٧..... يونس ﷺ
- ١٨٧..... دعوةُ ذي النُّونِ
- ١٨٨..... يحيى ﷺ
- ١٨٩..... أهل الكهف
- ١٩٠..... لقد كان في قصصهم عبرة
- ١٩٠..... أولئك الذين هدى الله فبهِدَاهِمِ اقْتَدِهْ
- ١٩٢..... التبكير إلى الجمعة

- سيظل الإسلام صخرة عاتية ١٩٢
- قضية العراق ١٩٤
- نرفض التمدد فوق الإسلام ١٩٥
- مؤتمر الحوار بين الأديان في قطر ١٩٦
- ١٢ - الزوجة في القرآن الكريم (١) ٢٠٠
- الزوجة في القرآن الكريم ٢٠٠
- معنى خلق حواء من آدم ٢٠٠
- حواء زوجة سيدنا آدم ٢٠١
- زوجة سيدنا نوح ٢٠٣
- زوجة سيدنا لوط ٢٠٤
- آسيا زوجة فرعون ٢٠٤
- فاظفر بذات الدين ٢٠٦
- الإسلام أباح الزينة والتمتع بجمال الدنيا ٢٠٧
- شرٌ عظيم أن تحتقر الناس ٢٠٨
- كانت لي شروط للزواج ٢٠٨
- زيارة إلى غزّة ٢١٠
- الوحدة وإنهاء الانقسام ٢١٢
- التضامن مع شعب سوريا ٢١٥
- اضطهاد الدعاة في بنغلاديش ٢١٧
- ١٣ - الزوجة في القرآن الكريم (٢) ٢١٩
- مقومات الحياة الزوجية الصالحة ٢٢٠
- هاجر زوجة سيدنا إبراهيم ٢٢٠



- ٢٢١..... سارة زوجة سيّدنا إبراهيم
- ٢٢٢..... امتحان إبراهيم في ولده
- ٢٢٢..... زوجة سيّدنا موسى
- ٢٢٣..... امرأة عمران
- ٢٢٤..... زوجة سيّدنا زكريّا
- ٢٢٥..... أم المؤمنين زينب بنت جحش
- ٢٢٦..... تخيير النبيّ أزواجه
- ٢٢٨..... أهل بيت النبيّ ﷺ
- ٢٢٩..... قصة التحريم
- ٢٣٠..... القضية السوريّة
- ٢٣٠..... الوحدة بين مصر وسوريا
- ٢٣٢..... عائلة الأسد وطائفتها
- ٢٣٣..... ثورة سوريا
- ٢٣٨..... خاب ظنّنا في الشيعة
- ٢٤٣..... ١٤ - الظلم في القرآن الكريم (١)
- ٢٤٢..... لا تدع لظالم بطول العمر
- ٢٤٢..... احذر أن تكون عوناً لظالم
- ٢٤٣..... ظلم الإنسان لنفسه بمعصية الله
- ٢٤٥..... الظلم بين العباد
- ٢٤٦..... يوم القيامة يوم استيفاء الحقوق

- الظلم من طبيعة النفس البشريّة ٢٤٧
- أول ظلم وقع في الأرض ٢٤٧
- اعدل بين الأولاد ٢٤٩
- الظلم ظلمات يقوم القيامة ٢٥٠
- ظلم الضعفاء ٢٥١
- من قضايا فلسطين ٢٥٣
- حقوق البدو في صحراء النقب ٢٥٥
- الانقلاب العسكري في مصر ٢٥٦
- ١٥ - الظلم في القرآن الكريم (٢) ٢٦٣
- ابتلاء العلماء في العصر العباسي ٢٦١
- استكثر من الحسنات ٢٦٣
- احذر من المظالم ٢٦٤
- لا تستهن بكلمة تقولها ٢٦٤
- موسى عليه السلام غادر مصر خوفاً من بطش فرعون ٢٦٦
- التحذير من ظلم الحيوان ٢٦٧
- أظلم الظالمين ٢٧٠
- الله يمهّل ولا يمهّل ٢٧١
- في وداع نيلسون مانديلا ٢٧٣
- الانقلاب العسكري في مصر ٢٧٤
- ١٦ - ثبات المؤمنين في المحن والشدائد ٢٧٩
- الدنيا دار ابتلاء وامتحان ٢٧٩



- ٢٨٠..... ابتلاء حَمَلَة الرسالات وأصحاب الدعوات
- ٢٨٢..... الثبات والصبر
- ٢٨٣..... تثبيت الله المؤمنين
- ٢٨٦..... الثبات على الحق والاستمسك به
- ٢٨٨..... قضية فلسطين
- ٢٩٠..... قضية العراق
- ٢٩٢..... قضية السودان
- ٢٩٣..... الانقلاب العسكري في مصر
- ٢٩٥..... القضية السورية
- ٢٩٨..... ١٧ - النصر وقواعده في القرآن الكريم
- ٢٩٨..... النصر من عند الله
- ٢٩٩..... الله تعالى يؤتي النصر لمن يستحقه
- ٣٠٠..... قوانين النصر لا تعتمد على القوة أو الكثرة
- ٣٠٣..... إن ينصركم الله فلا غالب لكم
- ٣٠٤..... معاركنا مع اليهود
- ٣٠٥..... قيام الكيان الصهيوني
- ٣٠٥..... معاركنا الحديثة مع اليهود
- ٣٠٧..... نصر العاشر من رمضان
- ٣٠٨..... إن تنصروا الله ينصركم
- ٣٠٩..... ندعو الجيش المصري أن يكون مع الشعب
- ٣١١..... أنتم أيُّها الجنود من الشعب
- ٣١٥..... العمل الصالح في عشر ذي الحجة

- ١٨ - المجرمون في القرآن الكريم ٣٢٠
- رسل الله جاؤوا بالتوحيد والعدل ٣٢١
- المسلمون ليسوا كالمجرمين ٣٢٣
- لا يمكن التحايل على شرع الله ٣٢٤
- احذر من شياطين الإنس والجن ٣٢٥
- المؤمن دائمًا في الشدائد ٣٢٦
- في كل قرية أكابر مجرميها ٣٢٦
- إن ربك لبالمرصاد ٣٢٨
- مصير المجرمين ٣٣٠
- ابتلاء الأمة بالحكام الظالمين ٣٣٤
- ١٩ - اتباع الهوى في القرآن الكريم ٣٤٢
- خلق الله أنواع ٣٤٠
- النفس الأمارة والنفس اللوامة ٣٤١
- العقل يدعو إلى اتباع الهدى ٣٤٢
- أربعة أشياء حذر منها العلماء الربانيون ٣٤٣
- أول جريمة في الأرض ارتكبت بسبب النفس ٣٤٤
- أثر هوى النفس ٣٤٥
- كل الأنبياء نهوا عن اتباع الهوى ٣٤٦
- تحذير القرآن من اتباع هوى النفس ٣٤٧
- قضية القدس والمسجد الأقصى ٣٥١
- ثورة سوريا ٣٥٤
- من مواقف مصر الأخيرة ٣٥٥



- ٢٠ - الأمل واليأس في القرآن الكريم (١) ٣٥٩
- الإيمان هو أساس الأمل ٣٦٠
- أمل نوح عليه السلام في الله ٣٦٠
- أمل إبراهيم عليه السلام في رحمة الله وقدرته ٣٦١
- بشارة الملائكة بإسماعيل وإسحاق عليهما السلام ٣٦٣
- محنة يوسف عليه السلام ٣٦٤
- يعقوب لم يئس من رُوح الله، ويوسف لم يفقد أمله ٣٦٥
- محنة موسى عليه السلام ٣٦٧
- تحقق وعد الله لأُم موسى ٣٦٨
- مصير فرعون ومن معه ٣٦٩
- ثورة سوريا ٣٧١
- الله يمهل ولا يهمل ٣٧٣
- الانقلاب العسكري في مصر ٣٧٥
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٣٨١
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤١٧
- فهرس الموضوعات ٤٢٢

* * *

فهرس كتب المجلد

١٨٦ - خطب الشيخ القرضاوي (٢٣) ٥

١٨٧ - خطب الشيخ القرضاوي (٢٤) ٤٧٩

* * *

